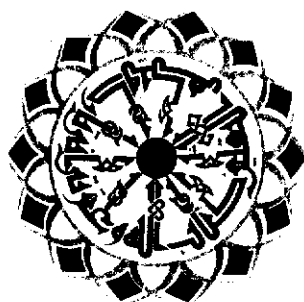


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سِرِّ الْقُلُوبِ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّة جَامِعَةُ

الْعِدَدُ السَّادِسُ عَشَرَ • السَّنَةُ الرَّابِعَةُ • شَوَّال - ذِي الْحِجَّةِ ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي:

* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم. ص.ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هاتف: ٧٤٠٢٩٤ فاكس: ٧٣٥١٧٩

الاسلامية جامعة

يعنى باحياء المعارف
الاسلامية من منبع
سقين والدفع عن
يم القرآن الكريم وسنة
سور الشريعة وخط
البيت الاطهار
تقبل نتائج العلماء
مفكرين والكتاب
الاسلاميين التي تصب
في رسالته الثقلين
سريس وحدة الامة
الاسلامية وتثبيت
سوكنها في أرجاء
العالم

اء السواردة في
سوضوعات لا تعبر
الضرورة عن رأي
لمجمع أو المجلة
سلسل الموضوعات
مع لاعتبارات فنية
في ضمن يرفد المجلة
سحتاجاته الاحتفاظ
صورة منها، فبأنها لا
نشرت أم لم تنشر.

كلمة التحرير

- * الانزواء الأميركي مرة أخرى بقلم المشرف العام ٤

من أفاق القيادة الإسلامية

- * العلم والعمل ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام ظله) ٧

دراسات

- * نظام العلاقات الاجتماعية العامة في مدرسة أهل البيت (ع)
القسم الاول السيد محمد باقر الحكيم ١٥
* تأثير المذاهب النبوية في العقيدة والسلوك النيل ابو قرون (السودان) ٦٦
* لمحات من حياة الفقيه السيد احمد الخميني (رحمه الله) عباس كاظم
ترجمة: عباس الاسدي ١٢٦
* مداليل حديث الثقلين عز الدين سليم (العراق) ١٤٧
* التطور السياسي للمرجعية الاسلامية في تاريخها المعاصر (١)
عبد الكريم آل نجف ١٦٦

تحقيقات

- * منزلة أهل البيت (ع) لدى المجتمعات الاسلامية الشيخ محمد واعظ زادة الخراساني ١٠٠

مقارنات

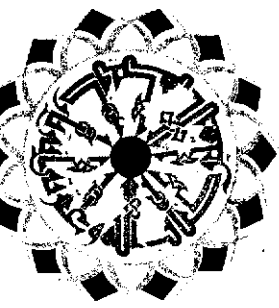
- * التغيير الاجتماعي المنشود من منظار واقعة الطف (٢)
..... د. السيد زهير الاعرجي ٧٤

شبهة ورد

- * البداء في القرآن والحديث (١) الشيخ محمد هادي معرفة ٥٠

فنون وآداب

- * قصيدة: يا من اهذب روجي في محبته صبايح الدين صوناي (المانيا) ١٦٤
* خاطرة: وهل أنت إلا وارث الانبياء محمد علي الحلو (العراق) ١٨٩
* نظرية الادب الاسلامي بين الفكرة والتكوين عامر ملا عبيدي (العراق) ١٩٧



الجمعية العالمية لأهل البيت

□ أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

١٨١ * روايات الامام علي (ع) القسم الاول ناصر البيدهندي

□ رأي

* دور المنظمات الشعبية في تحقيق الاهداف الدولية

١٤١ الامين العام للمجمع العالمي لاهل البيت (ع)

□ مختارات

١٣٤ * قراءة جديدة في اوراق كربلائية فاطمة سالم (الأردن)

□ من غرر حكم اهل البيت (ع)

١٩٢ * حوائج الناس اليكم نعمة عبد القادر فرج الله

□ تعريف

٢٠٧ * كتاب في مقال: القضاء في الفقه الاسلامي الشيخ احمد الظاهري

□ من أنباء القرن

٢٣٠ * أنباء وتقارير

□ مع قراء الثقلين

٢٥٣ * رسائل القراء

□ فهرس

* فهرست مواد السنة الرابعة لمجلة رسالة الثقلين للاعداد ١٢ - ١٦

٢٥٩ محرم الحرام - ذي الحجة ١٤١٦ هـ / تموز ١٩٩٥ م - مايس ١٩٩٦ م

شهر المحرم:

الشيخ

محمد علي التستاحي

رئيس المحرم:

الشيخ

فؤاد كاظم المرقاوي

العِدَّةُ السَّادِسُ عَشَرَ

السَّنَةُ الرَّابِعَةُ

شَوَّال - ذِي الْحِجَّةِ

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

الدين والسياسة .. مرة أخرى

كلمة التحرير

* بقلم

المشرف العام

رغم أن مجلتنا ثقافية قبل أي شيء آخر إلا أن الالتحام بين الثقافة والسياسة أحياناً لا يدعنا إلا أن ندخل عالم السياسة لنحمي ثقافتنا الانسانية من الآفات التي ينتجها الخلط السياسي ونزوات السياسيين.

ذلك أن افكاراً جديدة تطرح على الساحة بثوب ثقافي محض ولكنها تستهدف تحقيق مصالح سياسية لثيمة على حساب الثقافة واستغلالها السيئ.

إن سوق الثقافة العالمية يعج بالمفاهيم المستغلة فهناك فكرة النظام العالمي الجديد التي طبل لها قادة أميركا ثم خفّت لغة التأييد.

وهناك فكرة حقوق الانسان التي جعلها قادة الغرب محوراً لسياساتهم.

وهناك فكرة صراع الحضارات التي طرحها منظرو الغرب ولاسيما مفكرو أميركا السياسيون داعين إلى تكتل حضاري لمواجهة الحضارة الاسلامية.

وهناك فكرة الحملة العالمية الممتكئة ضد (الصحة الاسلامية) والحركة الاسلامية بكل صراحة.

وهناك فكرة تذويب العلاقات الاسرية بطرح تعريف جديد للعائلة ليشمل حتى التجمعات الشاذة.

وهناك لغة (بيع الارض في مقابل السلام) التي تحاول تجذير الوجود الاسرائيلي في المنطقة الاسلامية.

وهناك الكثير من امثال هذه التصورات التي يمكن اعتبارها في الاصل ثقافية ولكنها تستعمل لتحقيق اهداف سياسية لثيمة.

والملاحظ في البين أن أميركا تقود كل هذه السوح، وتتحدى كل الآخرين في هذا المجال وهي تتوهم نفسها قائدة للحضارة الانسانية؛ اما اولئك الذين لا ينسجمون معها فهم المتوحشون البعيدون عن ركب الحضارة.

والملاحظ أن التخطيط متكامل؛ فهناك نظام عالمي جديد يحكمه قطب سياسي واحد ويسوده مفهوم واحد للحقوق الانسانية، ويتحرك فيه تعريف واحد للحضارة ليسحق المفاهيم الأخرى، وهناك تكتل قوي لحذف كل العقبات التي تقف بوجه هذا النظام الزاحف؛ واهم هذه العقبات هي المفاهيم الانسانية الاصلية للعائلة والبناء الاجتماعي، والصحة الاسلامية، والقيم الدينية، وهناك تعميق لوجود النظم العميلة والقواعد الاستعمارية وفي طليعتها الوجود الصهيوني الغاصب.

ولن ندخل في تفاصيل هذه المسيرة، وإنما نحاول أن نعبرها إلى النتيجة الحاصلة.

ذلك أن من الواضح ان هذا السير الجامع يسبح ضد التيار الانساني والفطري والالهي في الارض، وهو بطبيعة الحال يصطدم بكل نداءات الفطرة وتقاومه كل انماط الوجدان الحي في كل مكان، لأنه الباطل و ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ وها هي النتائج امامنا التي يمكن أن نعبر عنها بـ (الانزواء).

نعم ليس هناك إلا الانزواء الكامل؛ فنظرية النظام العالمي الجديد التي تقوده أميركا اثبتت فشلها مرات ومرات بعد أن احست باقي الدول أن لها سيادتها وأنها لن تنقاد لنزوات دولة مادية عاتية مهما كانت قوتها. وهكذا واجهت أميركا الفشل تلو الفشل في قضايا كثيرة، وفي طليعتها: دعوتها لمحاصرة ايران، وقطع العلاقات النفطية معها ومع ليبيا وكوبا، ودعوتها لادانة ايران بحجة اتجاهها لتطوير صناعاتها الذرية، حتى دعوتها الطفولية لعدم اقامة اية علاقة ثقافية وسياسية مع الجمهورية الاسلامية، وهو ما شاهدناه في اعتراضها على اقامة علاقات طيبة مع تركيا ومع الدول الافريقية مثلاً؛ وقد انتهت كل هذه الدعوات بالفشل الذريع.

كما واجهت أميركا موقفاً دولياً واسع الابعاد يرفض مفاهيمها في مجال

حقوق الانسان، بل يدين انتهاكها هي لهذه الحقوق.

كما رأينا فشلها الذريع في مؤتمر السكان في القاهرة، ومؤتمر المرأة في بكين في فرض مفاهيمها الاجتماعية الانحلالية حتى على الصيغ القانونية الفرعية للدول الاخرى من خلال زج الامم المتحدة في ميدان محاربة الفضيلة، وقد اثمرت حربها المعلنة على الصحوة الاسلامية اتساعاً عظيماً في مساحة هذه الصحوة والتفاف الجماهير الاسلامية حول عناصرها ورموزها، ودعر كل النظم العميلة من هذه النتيجة.

وكذلك مجت الجماهير الاسلامية فكرة الارض في قبال السلام واكتشفت اللعبة البغيضة الكامنة فيها.

واخيراً وجدنا الغرب نفسه يرفض فكرة صراع الحضارات ويعمل بقوة وبما يلفت النظر لإقامة ندوات الحوار مع الحواضر الاسلامية، كما رأينا العناصر الدينية في الغرب تفتح ابواب الحوار البناء مع هذه الحواضر على اساس اصيلة متينة ليبدأ عصر مشرق للحوار بين الحضارات.

وبعد كل هذا الا يحق لنا أن نعلن هنا عصر الانزواء الأميركي نتيجة لطيش حكام أميركا وسخف سياساتها، وجشعها الذي اعمى قلوب منظريها رغم ادعاءاتهم العريضة.

قال الله تبارك وتعالى :

وَلَا تَجْعَلُوا لِلدِّينِ سُبُلًا

شُكْرًا وَطَائِعًا : آية ٤٣

من آفاق القيادة الإسلامية

العلم والعمل

✽ ولي أمر المسلمين
آية الله السيد الخامنئي
«دام ظله»

ملقطات من خطابات القاهما ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية سماحة
آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مد ظله) في الجموع المؤمنة من العمال
والمعلمين بمناسبة يوم العمل والمعلم.

في الحقيقة إننا لو أمعنا النظر جيداً لوجدنا أنَّ كلَّ فرد وجماعة
وأمة ترتبط دنياهم وأخراهم ارتباطاً وثيقاً بهذين الأمرين: العلم
والعمل، ولا يمكن لكل منهما أن يحتفظ بكامل خصائصه ما لم يُقرن بالآخر.
فالعلم بلا عمل لا يجدي نفعاً، وقد ورد في الحديث: «العالم بلا عمل كالشجرة بلا
ثمر»، كذلك حال العمل بلا علم، حيث ورد في الحديث الشريف: «المتعب بلا علم
كحمار الطاحون». إذن لا فائدة من العمل بلا علم وإن كان ذلك العمل عبادة الله
عزَّاسمه؛ فهو أشبه ما يكون بدوران الشخص حول نفسه؛ إذ لا ينتج عن مثل
هذه الحركة أي تقدّم. وقد جعل الله لكل منهما ثواباً وأجرًا، فللعلم أجر وثواب
وللعمل كذلك.

نحن إذ نشيد بالعلم، نشيد بالمعلم حقيقة؛ لأنّه هو الذي يمنح العلم
للآخرين، ولا يمكن الحصول على العلم دون معلم، فمن أراد علماً أخذه عنه.
وكذا حال العمل، فتكريم العمل إنما هو - في الواقع - تكريم للعامل وتثمين

لدوره، إذ لا معنى لعمل دون عامل. لاحظوا جيداً مدى الترابط الموجود بين هذه المفاهيم، إذ يمكننا أن نعتبر العلم والعمل جناحي الشعب اللذين ينهضان به نحو التطور والتكامل. فالشعب الفاقد للعلم والعاطل عن العمل لا يمكنه التقدم والتطور.

واليوم يتحتم علينا أن نسعى ونثابر للالتحاق بركب التقدم. وهذا ما نأمل تحقيقه - إن شاء الله - بهمة أبناء هذا الشعب البطل. الأمر الذي أود الإشارة إليه أنّ الأسرة القاجارية منذ عهد ناصر الدين شاه فصاعداً، ومن ثم أسرة «بهلوي» قد دمرت مصير هذا الشعب، وبددتا طاقاته و ثرواته بلده.

واليوم حيث اندثر ذكرهم وذهبوا إلى بارئهم ليلاقوا جزاءهم جاء دورنا أنا وأنتم. ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾. ومن الواضح أنه ومنذ اليوم الأول للثورة وإلى الآن تحقق العديد من الانجازات الضخمة في مجال العلم والعمل، وإنّ إنكار هذه المنجزات العظيمة يجافي الحق والإنصاف، وإذا وجد هنالك من ينكر ذلك، فهو من قبيل من يشك في طلوع الشمس وهو في وضع النهار.

إنّ نظرة خاطفة إلى الوضع العام للبلد كقيلة بإعطائنا انطباعات إيجابية ومتفائلة عن مجمل الوضع خلال الأعوام الماضية، حيث نجد ازدياداً كبيراً في نسبة الطلاب، والمعلمين، والاساتذة، والمتخصصين، وطلبة الجامعات، والمعامل. كما أننا نجد تقدماً ملحوظاً في الزراعة، والصناعة، والمنجزات الصناعية الدقيقة والتميزة، والابتكارات والإبداعات. كل هذا إنما جاء به الإسلام وهو من بركات الثورة الإسلامية ونحن لا نستطيع أن ننسب هذه المنجزات والأعمال إلى أنفسنا وأن نقول إنّنا الذين حققنا كل ذلك، بل هذا من خصائص وثمار الإسلام والإيمان، ومن خصائص الحضور الفاعل للشعب في سوح العمل والمواجهة، ومن خصائص كون الحكومة نابعة من صميم الشعب. هذه هي منجزات الثورة إلى الآن، والأجر على الله.

ولكن علينا أن نعوض عن الأعمال والمشاريع التي لم نستطع القيام بها في

السابق بالشروع فيها في المستقبل.

وهنا أود الإشارة إلى مسألة مهمة هي: هل العلم والعمل هما نوع من أنواع التكسب لتأمين المعاش؟ والجواب هو لا.

إنَّ التعليم والعمل هما وسيلة لتأمين المعاش، لكن هناك أموراً يحصل عليها المعلم والعامل أهم من لقمة العيش. أحد هذه الأمور هو الأجر الإلهي. تيقنوا أنَّ التعليم والعمل فيهما أجر وثواب. فأنتم الذين تعملون في المعامل والمصانع أو في المزرعة أو تعكفون في غرف التخطيط والبرمجة في عمل معين، أو تدرسون الطلاب في المدارس أو توفرون للمعلم والاستاذ ما يحتاج إليه من مستلزمات ومتطلبات في عمله، ليعلم جميع أولئك أنهم في عبادة في كل ما يزاولونه من أعمال في هذه المجالات، وهذا أمر مهم للغاية. إنَّ الشيء الذي نحاسب عليه أنا وأنتم على السواء بعد الموت، ليس لقمة العيش التي حصلنا عليها في دنيانا، لنا ولأهلنا، وإنما ما ينفعنا هناك هو العمل الصالح. يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. لا حظوا كم تكررت عبارة «الإيمان والعمل الصالح» في القرآن الكريم، وأحد مصاديق هذا العمل الصالح هو نفس النشاط التعليمي الذي تقومون به في قاعة الدرس، أو العمل الذي تقومون به في المصنع أو في المزرعة.

إنَّ نشر العلم وتوفير فرص العمل عبادة، كما أنَّ الصلاة وقراءة القرآن عبادة. وهذا ليس بالأمر الهين أبداً. ونتساءل هنا لماذا جعل الله للعمل والتعليم الأجر والثواب؟ وهل يعقل أنَّ الله سبحانه وتعالى يقوم بفعل ما عبثاً ومن دون هدف أو غاية؟ وللإجابة على السؤال نقول: إنَّ الهدف من وراء جعل الثواب على التعليم والعمل هو أنَّ الله تعالى جعل كمال البشرية في العلم والعمل، والمجتمع العاقل عن العمل أو الذي يتكاسل في العمل وكذلك المجتمع الجاهل لا يستطيعان ارتقاء مدارج الكمال البشري. وهذا يعني أنَّ لا فائدة من وراء حياتهم وسوف لا يجنون منها شيئاً، وهذا ثابت في علم الله الأزلي الشامل. وكلما كان العمل أكثر نفعاً كان الثواب أكثر. وليس المقصود بالعلم هنا علوم الدين فقط، وأنَّ تعليم القرآن فقط مثلاً هو الذي يستتبع الأجر والثواب، وأنكم

إذا علمتم الآخرين الجبر والمثلثات والفيزياء والهندسة، فلا ثواب لكم. كلا، فالمقصود هذا المعنى، فمادتم تصنعون من أبناء الامة علماء يفيدون المجتمع بعلمهم، فإنّ تدريسكم هذا فيه ثواب وأجر. هذا هو منطق الإسلام. إذن المكسب الأول هو تحصيل الثواب الإلهي.

ومن الثمرات الأخرى التي تترتب على العمل والتعليم هي مساهمتم في بناء صرح مستقبل مجتمكم، وهذه مسألة مهمة للغاية.

إنّ النزاع الدائر في العالم -سواء في الماضي أو الآن أو في المستقبل - سببه أنّ القوى الاستكبارية تسعى إلى تقرير مصير الشعوب وفق ما تشاء. فأميركا التي نراها اليوم تزعق وترعد وتملأ الدنيا ضجيجاً - وإن كانت في الغالب لا تجني سوى الخيبة والخسران - تظن أنّ لها حقاً في التدخل والتلاعب بمصير الآخرين، وتعتقد أنّ هذا الحق ينشأ من كونها قوة عظمى؛ ولذلك تريد أن تفرض إرادتها على العالم، فنراها تتدخل في شؤون الدول الأخرى تدخلاً سافراً.

والسؤال المطروح هنا هو هل تستطيع أميركا وغيرها من الدول الاستكبارية أن تقرر مصير العالم حسب ما تشاء، أو لا تستطيع؟ إنّ أميركا لن تستطيع ذلك؛ بشرط أن يمتلك الشعب الذي يواجه أميركا الإرادة والعزم السياسي، وأن يكون أبنائوه فاعلين ومجدين يتفجرون طاقة وحيوية، وبذلك لن تستطيع أميركا أن تحقق أهدافها.

إن الأمر الذي يجب أن نهتم به هو العمل والتعليم. عليكم أيها المعلمون أن تربيوا جيل الشباب عليكم أن تنموا لدى الأحداث والمراهقين روح العمل وروح الاستقلال وطلب العلم، لا أن يتربوا على حب الشهادات واللهاث وراء تحصيلها. الشهادة إنما تكشف عن أنّ حاملها لديه هذا القدر من المعلومات ليس إلا، ولا يمكن أن تكون هي الملاك أو المعيار، ولا ينبغي أن يُرتب عليها أي أثر، فالمهم هو العلم. المجتمع بحاجة إلى العلم والعمل، وعلى الجميع أن يعملوا. يجب أن يدخل مبدأ الإحساس بالمسؤولية تجاه العمل «ضمير العمل» ضمن الثقافة العامة للمجتمع. عندما يقوم الشخص بعمل ما ينبغي أن يكون

قيامه بذلك العمل كما لو أن هناك من يراقبه، وهذا الإحساس بالمراقبة لا بد أن يستمر معه في كل مكان حتى ولو كان في غرفة وحده. ومن هنا لا بد أن يكون العمل متقناً وفيه سمة إبداع وابتكار. وكذا يجب أن يسدّ هذا العمل حاجة ضرورية وملحة للمجتمع.

إنَّ أحد الأعمال التي تستلزم الإحساس بالمسؤولية أو ما يسمى «ضمير عمل» هو «التعليم والتربية». فعلى المعلم الذي يدرّس في مدينة نائية أو قرية أن يدرس كما لو كان هناك مشرف يشرف على طريقة تدريسه. هذا هو ما نعينه بمبدأ «الإحساس بالمسؤولية تجاه العمل».

وفي الوقت الذي يكون فيه الشعب قد استعد للعمل وشمر عن ساعدي الجد والاجتهاد، لا يحق لأحد أن يتماهل أو يقصر في عمله، فهناك من الناس من لا يقعه التعب والإرهاق عن العمل، فتجده يقبل عليه برغبة عارمة بالرغم مما يعانيه من تعب. مع عدم وجود من يحاسبه، ولكن الذي يدفعه للعمل هو التفكير بالرقابة الإلهية، وأنَّ الناس بحاجة إلى عمله هذا. يجب أن تعم هذه الروح كافة أفراد المجتمع. وهذا هو المعنى الذي قصدناه من طرحنا للمكرة «الإحساس بالمسؤولية تجاه العمل».

غاية العلم والعمل:

إنَّ اقتران العلم بالعمل اقتران جميل، وربما أمكن اعتباره حركة نموذجية نهتدي بها إلى طريقنا اهتداءً أفضل، أي أن يتقدّم العلم ويقترّب من التطبيق والواقعية أكثر وأن يستفيد العمل من تجارب العلم أكبر.

إنَّ جميع الأمور - سواء ما يتعلّق منها بالعمل أو ما يتعلّق بالتربية والتعليم - يمكن إنجازها بأحد نحوين: الأول: ذو غاية وهدف، والثاني، بلا غاية وهدف.

فتارة يبحث الشخص لنفسه عن عمل دون أن يبالي كثيراً بنوعية ذلك العمل، وإنّما المهم عنده أن يعمل ويحصل على أرباح. وتارة أخرى يبحث عن العمل الأكثر فائدة والذي يحتاجه الناس، فيختاره لنفسه. وهذا هو ما يسمى

بالعمل الهادف. ولقد اهتم الشرع الإسلامي كثيراً بهذا النوع من الأعمال، وأولى نوعية العمل نظره وعنايته، فمثلاً يشترط في العبادات قصد القربة، وقصد القربة معناه الهدفية وأن يأتي الإنسان بالعمل قربة إلى الله وابتغاء لمرضاته. وربما لا يختلف ظاهر العمل وشكله المادي كثيراً، إلا أن روح العمل تختلف.

فمثلاً ورد في الشرع الإسلامي استحباب غسل الجمعة. قد يبدو للإنسان أن هذا الغسل إنما شرع للنظافة ولكي يُنظف الإنسان جسمه على الأقل مرة واحدة في الاسبوع، وبذلك تُحَرِّز النظافة التي أَرادها الإسلام. ولكن لو مكثتم يوم الجمعة ساعة كاملة في حوض السباحة وتنظفتم بالماء والصابون دون نية غسل الجمعة فسوف لن يُكتب لكم ثواب غسل الجمعة الذي حدّده الشارع. إنَّ الشكل الظاهري للعمل واحد - وهو الغسل -، وهدفه الظاهري في كلا الموردين - أي في غسل الجمعة وفي الارتماس في حوض الماء - هو النظافة أيضاً، إلا أن في غسل الجمعة شيئاً زائداً وهو الهدفية، فما هو الهدف؟ الهدف أن يُمثّل العمل قربةً إلى الله.

إنَّ الإسلام يريد من المسلمين أن ينجزوا جميع أعمالهم قربة إلى الله حتى يحصلوا على فائدتين: الأولى هي الفائدة المادية من ذلك العمل، والأخرى هي الفائدة المعنوية والروحية التي يحصل عليها الإنسان من خلال قصده للقربة والتي لولاها لما حصل عليها. فعندما تتناولون الطعام بقصد أن يكسب الجسم القدرة على مواصلة الحياة لأنَّ الله أراد ذلك، فهنا الطعام هو الطعام نفسه بقيمته الغذائية التي يكتسبها الجسم، ولذّته التي تشعر بها النفس، ولكن يضاف إلى ذلك حصول ثواب الله. لماذا؟ لأنكم مع الاعتناء بأجسامكم قد وجهتم أنفسكم وجعلتم لها هدفاً.

وإذا ما سيطرت مثل هذه النفسية على الإنسان في جميع شؤون حياته فسوف لا يقترب الحرام ولا يأكله ولا يديني من فمه طعاماً جاء عن طريق السرقة والظلم، وسوف لا يلوّح بيده بحركة ظالمة ولا يفكر فيما يعود بالضرر على الإنسانية وعلى أخواته من المسلمين. أي أن هذا الشيء الذي يبدو صغيراً جداً - نية القربة - سيؤدي إلى إقصاء جميع مشاكل الحياة عن الإنسان

بالتدريج كالجرائم والذنوب والتعمّد بشتى صوره والشهوات والأطماع وأمثالها. انظروا كيف تنطلق حكمة الدين والأحكام الشرعية من دائرة صغيرة وبسيطة وتنتشر وتستوعب مساحة واسعة. ولذا فإنّ قصد القربة يعني جعل الأعمال ذات هدف وغاية.

إنّ مادة العمل ليست هي الحاسمة، وإنّما الحاسم والمهم هو روح العمل، فإنّ مجرد أن يتحرك ذراع ويدير عجلة لا يخلق إبداعاً، إنّما المهم هو الإبداع المعنوي والأخلاقي، فينبغي معرفة لماذا تدور العجلة ولأي شيء؟ ولا يكفي مجرد تأسيس قاعة للدرس ليبذل المعلم فيها قصارى جهده متحرّفاً لتربية الطالب وإشباعه بالمعلومات والمعارف ويعلمه الكلمة بعد الأخرى، فهذا كله لا يكفي لصنع إبداع، بل لابدّ من التعرّف على المادة التي تُدرس وما هي الغاية منها ولأي جهة يُمارس التعليم والتربية؟ هذا هو المهم.

في بعض بقاع العالم يتم حالياً تدريس العلوم للقضاء على القيم الإنسانية. فهناك من يتعلّم العلم لكي يقدّم العون إلى المتربّصين خلف الحدود وفي البلدان الأجنبية ولأهداف شيطانية وهذا ليس إبداعاً. وفي يوم ما وفي أرضنا المقدسة هذه كان هناك من اكتسب العلم ليسوق النجتمع نحو فساد أكثر وأفضع، وهذا العمل لا يملك أي قيمة واعتبار، إنّما المهم هو الهدفية وروح العمل.

إنّ كل حركة علمية وثقافية وعملية تنجز لصالح النظام والجمهورية الإسلامية وتطوير الصناعة والتقدم والإعمار في هذه البلاد هي عبادة، ولا فرق بين هذا المصنع وذاك وهذه المدرسة وتلك، فلو أنّ المعلم حالياً في إيران الإسلامية علّم الطالب كلمة بقصد تقديم خدمة إلى هذه البلاد - التي هي حالياً مهد الإسلام وساحة عظمة أحكامه ومظاهره المعنوية والإلهية وإشعاعها - فإنّ هذه الكلمة حسنة وإن صارت مئة كلمة غدت مئة حسنة، وإن استوعب التعليم ليله ونهاره ملأت الحسنات أوقاته.

إنّ العامل الذي يعمل في مصنع أو يخطط أو يشرف أو يقدم أي مجهود آخر لأجل تطوير إيران الإسلامية وتقدمها وازدهارها، ولكي تستغني عن

الأجانب ولا تقلق من ناحية الحظر الاقتصادي الذي تفرضه هذه القوة العظمى أو تلك، فإنَّ هذا العامل يحصل في كل لحظة من عمله على حسنة ويكون قد أتى بعبادة، وكل من يتعاون معه في هذا العمل سيشاركه في هذه العبادة دون أن ينقص ثواب العامل الأول. إنَّ العطاء الإلهي بهذا الشكل، فأحياناً يشترك عشرة أشخاص بإنجاز عمل واحد لكنَّهم يحصلون على عشر حسنات، لا أن تنقسم الحسنة الواحدة بينهم، بل إنَّ لكل واحد منهم ثواباً مستقلاً عند الله تعالى. واليوم أيضاً لدولتكم هذه الخصوصية.

قلما توجد في الدنيا قاعة درس وصالة مصنع أو مختبر أو جامعة يشملها الله برضاه، بل حتى ساعات استراحة المعلم والعامل - الذي يستريح بقصد أن يكون قادراً على العمل في الغد - يكون مشمولاً برضا الله.

قوله: *كُلُّكُمْ عَابِدٌ* : ٤١

الْعَالِمُ يُرْشِدُكَ
وَالْعَمَلُ يُبْلِغُ بِكَ الْفَائِةَ

عزير الحكيم : ٥٣

نظم العلاقات الاجتماعية

العامّة

في مَرَسَةِ أَهْلِ بَيْتِ

الْحُسَيْنِ الْأَوَّلِ

دراسات

✽ السيد

محمد باقر الحكيم

تمهيد



١ - التعريف بالعلاقات الاجتماعية :

يمثل نظام العلاقات الاجتماعية العامة والواجبات والحقوق المترتبة عليها أحد الأركان الأساسية والدعائم المهمة التي يقوم عليها المجتمع الانساني في النظرية الاسلامية.

ونريد بنظام العلاقات الاجتماعية مجموعة الواجبات والسنن والآداب والحقوق والالتزامات التي تنظم العلاقات العامة بين الناس والجماعة باعتبارهم أفراداً وأعضاء في الجماعة الانسانية، وكذلك شكل الارتباط والسلوك الانساني للجماعة بعضها مع البعض الآخر.

وهذا النظام هو غير النظام الذي ينظم العلاقات التي قد تنشأ وتولد من عهود ومواثيق وعقود خاصة حيث تترتب عليها بطبيعة الحال اشكال من الحقوق والواجبات والالتزامات الاخرى خاصة بها، وذلك مثل: عقود الزواج، والبيع، والاجارة، والولاء وغيرها. أو الواجبات والحقوق والمسؤوليات التي يتحملها الانسان من خلال وجوده في موقع معين أو عمل معين كالإمامة، والولاية، أو البيعة أو الادارة أو الضمان.

فنظام العلاقات الاجتماعية هو عبارة عن الحدود والموازين والضوابط

التي يعبر الإنسان من خلالها عن فهمه للحياة الاجتماعية الانسانية ومسؤوليته التضامنية تجاه الجماعة وتكاملها.

وبذلك يمثل نظام العلاقات الاجتماعية الإطار أو القاعدة الأساس التي يمكن أن تستقر عليها بقية الأنظمة الخاصة التي تتولد من العقود والالتزامات الخاصة أو المسؤوليات العامة المشخصة. وبالتالي يمكن لتلك الأنظمة الخاصة أن تؤدي دورها المطلوب في الحياة الانسانية وتحقيق التكامل لها، لأن نظام العلاقات العامة يعالج موضوع أصل العلاقة الاجتماعية والرابطة الانسانية.

والاساس التاريخي لنظام العلاقات الاجتماعية العامة هو علاقة الأسرة والزواج التي تطورت إلى علاقة العشيرة والقبائل والشعوب بعد ذلك، كما يشير القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ (٢).

(١) الحجرات : ١٣.

(٢) النساء : ١.

كما أن الأسرة في نفس الوقت تمثل اللبنة الأولى والأساس في مجمل النظرية الاسلامية في بناء المجتمع الانساني الصالح، وكذلك هي في نظر أهل البيت (عليه السلام)، حيث اهتم الاسلام بها ووضع للعلاقات فيها نظاماً دقيقاً محكماً وشاملاً ينظم مجموع العلاقات في الأسرة بأدق تفاصيلها ومختلف شؤونها. كما أن نظرية أهل البيت (عليه السلام) في الأسرة وفي العلاقة الزوجية فيها خصوصيات وامتيازات جعلها قادرة على مواجهة جميع المشكلات الاجتماعية ومواكبة جميع التطورات الاجتماعية.

ولكن مع ذلك لم نتناول موضوع الأسرة هنا في هذا البحث لسببين:

الأول: إن هذا الموضوع لأهميته من الناحية الاجتماعية والانسانية وشموليته وسعته يستحق بحثاً واسعاً مستقلاً، شأنه في ذلك شأن النظام الاقتصادي ونظام العقود والمعاملات ونظام العبادات وغيرها من الأنظمة التفصيلية التي تحتاج إلى بحث خاص.

الثاني : إن بحثنا هنا - كما ذكرنا - هو بحث عن نظام العلاقات العامة للجماعة، لأن موضوعنا هو الجماعة الصالحة، فنحن نتناول الجانب العام للجماعة دون الدخول في التفاصيل ودون الحديث عن العلاقات الخاصة التي تنشأ من العقود والعهود.

ولذلك فسوف نؤكد في نظام العلاقات العامة للجماعة الصالحة على أن أحد أسسه وقواعده المهمة هو الالتزام بالعهود والواجبات وأداء الحقوق، كما أننا سوف نشير إلى وجود مبدأ المعاملة الخاصة في أبعاد نظرية العلاقات العامة الاجتماعية الذي يعني وجود خصوصيات في المعاملة قد تنشأ بسبب الوضع الانساني الطبيعي كالأبوة والأخوة والشيخوخة، أو بسبب المضمون الانساني المتميز كالعلم والجهاد، أو بسبب العقود والالتزامات كالزواج وغيره. ولما كانت الأسرة في النظام الاسلامي أخذت صيغة متطورة وخاصة من خلال التشريعات فهي قد خرجت عن حالتها الأولى الفطرية والبدائية.

ولكن مع ذلك يجب أن نؤكد هنا أن إحكام بناء الأسرة وتقويته وجعلها أسرة صالحة له دور كبير في إحكام وتطور بناء العلاقات الاجتماعية العامة. لأن النظام الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية بالرغم من أنها مجموعة من القوانين والتشريعات والواجبات والحقوق والنشاطات والرسوم والآداب والشعائر، ولكنه في نفس الوقت يعبر عن رؤية أخلاقية للسلوك الاجتماعي وفهم عقائدي للكون والحياة والانسان والمبدأ والمعاد.

ولعل هذا هو الذي يفسر لنا تناول هذا الجانب من النظام في بحث الأخلاق والكتب الأخلاقية. ولكننا سوف نلاحظ بأنه بحث أشمل وفيه التزامات وواجبات ترتبط بموضوعات مهمة في الشريعة الاسلامية.

٢ - منهج البحث في العلاقات الاجتماعية :

والبحث في هذا الموضوع بحث واسع ومهم إذا أردنا أن نستوعب فيه النظرية الاسلامية في العلاقات الاجتماعية، ولكن نحاول هنا أن نتناوله بشكل يتناسب مع هذا الكتاب والهدف منه، حيث نتناول فيه النظرية الاسلامية في

العلاقات الاجتماعية بالقدر الذي يشير بشكل إجمالي إلى تصوّر أهل البيت (عليه السلام) على مستوى أبعاد النظرية والقواعد والأسس العامة لها وبعض المفردات والتطبيقات.

وسوف نلاحظ من خلال هذا البحث التداخل في العرض بين الأطر الإسلامية العامة المشتركة بين المسلمين والخصائص التي تميّز بها أهل البيت (عليه السلام) في بناء (الجماعة الصالحة) اجتماعياً. وهذا التداخل أمر طبيعي لأن أهل البيت (عليه السلام) أرادوا للجماعة الصالحة أن تكون الأسوة والقُدوة والمثال الصالح للجماعة المسلمة، واعتمدوا في هذا البناء على الإسلام الأصيل الكامل الذي ورثوه وعرفوه عن الكتاب الكريم وجدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

كما سوف نشير إن شاء الله في بعض الأحيان إلى بعض هذه الميزات والخصائص عند العرض.

ويتناول البحث في العلاقات الاجتماعية العامة بنظر الإسلام وأهل البيت (عليه السلام) جوانب ثلاثة يمكن تقسيم البحث على أساسها.

الأول: تشخيص وتحديد أبعاد النظرية في العلاقات في محتواها وأهدافها وآفاقها.

الثاني: القواعد والأسس العامة التي تحدد هذه العلاقات وتتحكّم في مسيرتها ونشاطاتها.

الثالث: البناء الفوقي لنظام العلاقات الاجتماعية، وهو عبارة عن التشريعات التي تتناول تفاصيل هذه العلاقات الاجتماعية وتشخص نوع السلوك وأشكاله المختلفة، بحيث تحقق الأهداف وتجسّد القواعد والأطر وترسم معالم الأبعاد المتعددة للنظرية.

المبحث الأول: أبعاد النظرية

يمكن تحديد أهم أبعاد النظرية في العلاقات الاجتماعية في الأمور التالية، علماً بأنه سيقت الإشارة إلى بعض هذه الأبعاد في بعض الفصول السابقة من البحث:

١- الانفتاح في العلاقات :

البعد الأول : الانفتاح والتوسع في العلاقات والمعايشة في مقابل الانطواء والعزلة والرهبة. حيث إن النظرية الاسلامية في العلاقات - في نظر أهل البيت (عليه السلام) - تتجه إلى تأكيد الفطرة الانسانية وترشيدها نحو الكمال في هذا المجال المهم، شأنها في ذلك شأن الأبعاد الأخرى للنظرية في مختلف المجالات الحيوية الأخرى.

ومن الواضح أن الفطرة الانسانية تدعو الانسان إلى هذا الاتجاه، وهو المعايشة مع الآخرين والارتباط والاستعانة بهم في قضاء حاجاتهم، والتعرف عليهم. ويمكن أن نفهم ذلك من القرآن الكريم عندما تحدث عن خلق الأزواج للانسان : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (٣).

(٣) الروم : ٢١.

والأوضح من ذلك ما أشار إليه القرآن الكريم في تقسيم الناس إلى شعوب وقبائل مع أنهم من أصل واحد من أن الهدف وراء ذلك هو «التعارف» وإيجاد هذه العلاقات العامة. كما أشارت إليه سورة الحجرات السابقة ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. وهناك العشرات من الأمثلة والموارد القرآنية التي تؤكد هذه الحقيقة الفطرية.

ونجد هذا الاتجاه واضحاً في حديث أهل البيت وتربيتهم لشييعتهم. وقد جاء تأكيد هذا البعد والاتجاه في نظرية العلاقات الاجتماعية من قبلهم (عليه السلام) في مثل ما ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) في حديث معتبر عن مرزم : «قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) : عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز إنه لا بد لكم من الناس، إن أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بد لبعضهم من بعض» (٤).

(٤) وسائل الشيعة ٨ : ٣٩٩.

ح ٥، باب أحكام العشرة ب ١.

استفادة الإخوان :

وكذلك نجد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون هذا الاتجاه في توجيه شييعتهم

إلى الإكثار من الأصحاب والأصدقاء.

فعن الامام الرضا عليه السلام أنه كان يقول: «من استفاد أخاً في الله استفاد بيتاً في الجنة»^(٥).

(٥) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٧.

ج ١، ب ٧.

وعن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «أكثرُوا من الأصدقاء في الدنيا فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فحوائج يقومون بها، وأما في الآخرة فإن أهل جهنم قالوا: ﴿ما لنا من شافعين﴾ ولا صديق حميم»^(٦).

(٦) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٧.

ج ٥، ب ٧.

وقد ورد تأكيداً لذلك عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال: «استكثرُوا من الإخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة» وقال: «استكثرُوا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة». وقال: «أكثرُوا من مؤاخاة المؤمنين فإن لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة»^(٧).

(٧) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٨.

ج ٦، ب ٧.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عمادٌ إذا استنجدتهم وظهورٌ
وليس كثيراً ألف خَلٍ وصاحب وإن عدواً واحداً لكثير

التحذير من الانقباض والشحناء:

كما نجد تأكيد هذا الاتجاه في تحذيرهم من الانقباض عن الناس أو الشحناء معهم والمراء والخصومة، حيث فسروا هذا التحذير بأنه يوجد الاختلال في العلاقات الاجتماعية.

فقد روي عن الامام المعصوم أنه قال: «الانقباض عن الناس مكسبة العداوة». وقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق».

كما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ ما كان جبرئيل يأتيني إلا قال: يا محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم»^(٨)، وسوف يأتي مزيد من التوضيح لهذا الموضوع في قاعدة ضبط العواطف والانفعالات.

(٨) وسائل الشيعة ١٨ : ٤٠٦.

ج ١، ص: ٥٦٧، ج ٢، ص:

٥٦٩، وفي باب ١٣٥ و ١٣٦ ما

ينفع في المقام.

المدارة :

كما نجد هذا التوجّه من العلاقات أيضاً في الأمر والتوجيه لمدارة الناس، ففي الحديث الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرني بالفرائض»^(٩). وسوف يأتي المزيد من التوضيح لذلك في قاعدة حسن الخلق والمدارة.

العزلة والرهينة :

وقد يبدو من بعض الروايات أن العزلة والابتعاد عن ممارسة العمل الاجتماعي والعلاقات العامة مع الناس هو المنهج الأفضل. فقد ورد في نص عن الامام الصادق عليه السلام رواه الكليني في روضة الكافي بسند معتبر عن حفص ابن غياث أنه قال : «إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل، فإن عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا تراني ولا تتصنع ولا تداهن... ثم قال: نعم صومعة المسلم بيته، يكف فيه بصره ولسانه ونفسه وفرجه...»^(١٠).

وورد في تفسير علي بن ابراهيم عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: «طوبى لمن لازم بيته وأكل كسرتة وبكى على خطيئته، وكان من نفسه في تعب والناس منه في راحة»^(١١).

ولكن هذه الروايات يمكن تفسيرها - كما صنع صاحب الوسائل في تعليقه على هذه الأحاديث - بأنها تختص بالحالات الاستثنائية التي يجد الانسان فيها نفسه ضعيفاً أمام الضغوط والاغراءات فيحاطط لنفسه بالعزلة حيث يشق عليه اجتناب مفسد المعاشرة.

أو تفسيرها على أساس أنها أسلوب من أساليب التربية والتحذير والتنبيه إلى مخاطر المعاشرة التي هي أمر ضروري للناس لا يمكن أن يستغنوا عنه في حياتهم، فلا بدّ للانسان أن يكون حذراً من عواقبها وآثارها كما تشير إليه الرواية الاولى: «إن قدرت على أن لا تخرج...» ويؤكد هذا التفسير الرواية السابقة التي تقول: «ان أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابدّ لبعضهم من بعض». وإلا فإن الله سبحانه قد خلق الانسان للامتحان والابتلاء والفئة ليتكامل من

(٩) وسائل الشيعة ٥٤٠: ١٨٨

ب ٢٢١، ح ١

(١٠) وسائل الشيعة ١١

٢٨٣، ح ١. وفي الهامش بقية

نص الحديث.

(١١) وسائل الشيعة ١١

٢٨٣، ح ٥. وفي نفس الباب

احاديث اخرى بهذا الاتجاه.

خلال تحمّل المسؤولية واختيار الحق في مقابل الباطل، والصالح في مقابل الفاسد، كل ذلك حسب المسار الطبيعي لحركة الانسان في الكون والمجتمع. والهروب من الامتحان والفتنة بالهروب من المجتمع والحياة لا يحقق هذا الهدف التكاملي.

ومع قطع النظر عن هذين الاحتمالين اللذين يمكن الجمع بهما بين هذه الروايات لا يمكن الالتزام - علمياً - بالاتجاه الذي قد يفهم من مضمون القسم الثاني من هذه الروايات على عمومه وإطلاقه، حيث إن القسم الأول من الروايات موافق للقرآن الكريم والسنة النبوية. وهو أكثر عدداً وأوثق سنداً وأكثر اشتهاً بين علماء الجماعة الصالحة وعليه العمل والسيرة العامة للعلماء والصالحين. وقد علّق العلامة الطبرسي في مجمع البيان على هذا الموضوع بقوله: «وقد جاء في الحديث النهي عن التبتّل والانقطاع عن الناس والجماعات والنهي عن الرهبانية والسياسة» (١٢).

(١٢) وسائل الشيعة ١١ :

٢٨٥

(١٣) الحديد : ٢٧.

ويؤكد الآية الكريمة: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها...﴾ (١٣) حيث إن الترهّب بمعنى الخوف والرهبة والتخشّع منه تعالى والتعبّد له وإن كانت مكتوبة على هؤلاء الناس من أتباع المسيح ﷺ ولكنهم لم يرعوها حق رعايتها فجعلوها انقطاعاً عن الناس والنساء وتخلّفاً عن الواجبات والمسؤوليات، وحرقة ومهنة وليست مجرد الفرار من أخطار القتل أو الفتنة (١٤).

(١٤) راجع : تفسير الطبرسي

في تفسير هذه الآية الكريمة، حيث يشير إلى حديث ابن مسعود الذي يذكر فيه النبي أن «رهبانية امتي : الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة».

٢ - تقوية البناء الاجتماعي :

والبعد الثاني في نظرية العلاقات هو أن الهدف من وراء العلاقات الاجتماعية بالإضافة إلى التكامل الذاتي في حركة الانسان نحو الله تعالى هو ترسيخ دعائم المجتمع الاسلامي وتقوية البنية الاجتماعية للسير في طريق التكامل الاجتماعي، وتحقيق أسباب القوة والعدل والرفاه والاستقرار، ولمواجهة وحلّ مختلف المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية.

وهذا البعد الذي يمثل هدفاً عاماً لنظرية العلاقات الاجتماعية في الاسلام يبدو واضحاً من خلال ملاحظة محتوى ومضمون العلاقات الاجتماعية القائمة على أساس «الولاء والحب والمودة» كما سوف نشير إلى ذلك وهو يبدو واضحاً أيضاً عند مراجعة تفاصيل النظرية وأحكامها.

ويمكن أن نجد موضوع تقوية البناء الاجتماعي واضحاً في عدة مبادئ أساسية أكدتها هذه النظرية في العلاقات، نشير إلى بعضها بشكل إجمالي:

التناصر والتعاون :

أ - منها: مبدأ التناصر والتعاون بين المسلمين والمؤمنين.

فقد ورد في الحديث الصحيح - كما مر - عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ رحماء بينهم متراحمين مغتفرين لما غاب عنهم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الانصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله».

وعن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «... ومن سمع رجلاً يتادي بالمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم» (١٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم» (١٦).

ب - ومنها: مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أعظم الواجبات الإلهية وأسمى الفرائض وأشرفها وقد ورد في الحديث أنه «... سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء. فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمين المذاهب وتحلّ المكاسب وتردّ المظالم وتعمّر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر...» (١٧).

وسوف يأتي مزيد توضيح لهذا الدور الذي يحققه الأمر بالمعروف من الاستقرار والإحكام.

ج - ومنها: مبدأ التكافل الاجتماعي والحقوق المتبادلة في العلاقة، الذي سبق الحديث عنه في النظام الاقتصادي، وسوف يأتي بعض التوضيح له في الحديث عن المفردات.

(١٥) وسائل الشيعة ٥٥٩: ١١.

٥٦٠، ب ١٨، ج ٣.

(١٦) وسائل الشيعة ٥٥٩: ١١.

ب ١٨، ج ١.

(١٧) وسائل الشيعة ٣٩٥: ١١.

ب ١٨، ج ٦.

د- ومنها: مبدأ حسن الظن بالآخرين، وحمل عمل الأخ المؤمن على أفضل وأحسن الاحتمالات، وغض النظر عن الأخطاء وستر العيوب الذي يوجب بطبيعة الحال التماسك في البناء الاجتماعي ويمنع حدوث الخلل فيه.

عن أبي بصير قال : «قال أبو عبد الله عليه السلام : لا تفتش الناس فتبقى بلا صديق» (١٨).

(١٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٥٨ ،

ب ٥٦ ، ج ٢ .

وعن الضحّاك بن مخلد قال : «سمعت الصادق عليه السلام يقول : ليس من الانصاف مطالبة الإخوان بالانصاف» (١٩).

(١٩) المصدر نفسه ج ٣ .

وعن أبي جعفر عن أبيه عن جده قال : «قال أمير المؤمنين عليه السلام : ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً» (٢٠).

(٢٠) البحار ٧٥ : ١٩٦ ، ب ٦٢ ،

ج ١١ .

هـ - ومنها: مبدأ المشورة والاستفادة من آراء وتجارب الآخرين، وكذلك ضرورة النصيحة للمسلمين في أداء الأعمال وانجازها أو في التعامل معهم.

عن أبي هريرة قال : «سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول : استرشدوا العاقل ولا تعصوه فتندموا» (٢١).

(٢١) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٩ ،

ب ٩ ، ج ١ .

وعن سليمان بن خالد قال : «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : استشر العاقل من الرجال الورع فإنه لا يأمر إلا بخير، وإياك والخلاف فإن مخالفة الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا» (٢٢).

(٢٢) وسائل الشيعة ٨ : ٤٢٦ ،

ج ٥ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مشاوره العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب» (٢٣).

(٢٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٢٦ ،

ج ٦ .

وعن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إن المشورة لا تكون إلا بحدودها، فمن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له، فأولها أن يكون الذي تشاوره عاقلاً، والثانية أن يكون حراً متديناً، والثالثة أن يكون صديقاً مؤاخياً والرابعة أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يُسرّ ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً جهد نفسه في النصيحة لك، وإذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرك إذا أطلعت عليه، وإذا أطلعت عليه على سرك فكان علمه به

كعلكم به تمت المشورة وكملت النصيحة» (٢٤).

٤٢٧، ح ٨.

٣- محتوئ العلاقة : المساواة والأخوة

وبعد الثالث في هذه النظرية هو تقويم أساس هذه العلاقة وتشخيص مضمونها ومحتواها، الأمر الذي يجعل العلاقة الاجتماعية قائمة على أساس نظرة واقعية لحقيقة الانسان وقيمه من ناحية، وطبيعة العلاقة الاجتماعية وتكون البنية الاجتماعية من ناحية أخرى.

وفي هذا المجال يقيم الانسان أفضل العلاقات بين الناس على أساس أنهم «متساوون» و«متكافئون» في الأصل، وأن بعضهم هو نظير البعض الآخر. فلا يمتاز أحدهم - بالأصل - على الآخرين «كلكم لآدم وآدم من تراب»، وإنما تنشأ الاختلافات والامتيازات لعوامل وأسباب طارئة تنشأ من حركة الانسان والمجتمع. بعضها حقة وصحيحة مثل الامتياز بـ «التقوى» و«العلم» و«الجهاد» و«الصفات الإرادية»، كالصبر والإحسان، وبعضها باطلة وغير واقعية مثل الامتياز بكثرة الأموال والأولاد أو القدرة والسلطة المادية.

أما طبيعة العلاقة الاجتماعية التي يجب أن يقوم عليها البناء الاجتماعي ومحتواها فهي علاقة الاخوة الاسلامية والايمانية، وهي أيضاً علاقة مساواة بين أبناء المجتمع الذي يقوم على أساس الاسلام والعقيدة الاسلامية.

فالمسلمون اخوة يتكافأون ويتساوون في قيمتهم المعنوية، كما أنهم في نفس الوقت تكون أواصر العلاقة والصلة بينهم شبيهة بالأواصر والصلات التي تربط بين الناس عندما يكونون من أب وأم واحدة. وبذلك وضع الاسلام الصلة والعلاقة في العقيدة اجتماعياً موضع الصلة والعلاقة النسبية التكوينية (الاخوة) وفي قيمتها وأهميتها.

فقد ورد في عدة أحاديث معتبرة التأكيد على هذا المفهوم في موضوع الزواج الذي كانت العرب وعموم المجتمعات الانسانية تشترط فيه شروطاً مادية ومعنوية لا علاقة لها بهذا المفهوم. ومن جملة هذه الروايات المعتمدة ما رواه الكليني في الكافي من قصة زواج «جويبر» وهو رجل من أهل اليمامة

أسلم فحسن إسلامه، وكان رجلاً قصيراً دميماً محتاجاً عارياً، ومن قباح السودان، حيث قال له رسول الله ﷺ: «... يا جوير إن الله قد وضع بالاسلام من كان في الجاهلية شريفاً، وشرف بالاسلام من كان في الجاهلية وضيعاً، وأعز بالاسلام من كان في الجاهلية ذليلاً، وأذهب بالاسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وبأساق أنسابها، فالناس اليوم كلهم أبيضهم وأسودهم وقرشهم وعريهم وعجمهم من آدم، وإن آدم خلقه الله من طين، وإن أحب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم...».

كما ورد فيها أيضاً: فقال له (زياد أبو البنت المخطوبة) رسول الله: «يا زياد، جوير مؤمن، والمؤمن كفؤ المؤمنة والمسلم كفؤ المسلمة فزوجه يا زياد»^(٢٥).

احترام الانسان في العلاقات العامة :

كما أن الاسلام الذي جعل الايمان إطاراً للعلاقة الاجتماعية بين المسلمين لم يغفل في نفس الوقت الجانب الانساني العام في هذه العلاقة وأخذها بنظر الاعتبار في مجمل تصوّره النظري كما يمكن أن يفهم ذلك من قول الامام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر المروي بطريق معتبر: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سيفاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(٢٦).

وهذا أمر واضح من خلال ما ورد من الحث على المجاملة العامة وحسن الخلق مع الناس جميعاً، مما يعني أن الأصل هو الاحتفاظ بالعلاقة الاجتماعية على المستوى الانساني ما لم تطرأ أوضاع استثنائية تفرض موقفاً آخر كالبراءة أو القطيعة.

عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مجالمة الناس ثلث العقل»^(٢٧). وعن أبي بصير عن أبي جعفر «أبي عبد الله عليه السلام» قال: «إن أعرابياً من بني تميم أتى النبي ﷺ فقال له: أوصني، فكان مما أوصاه: تحبب إلى الناس يحبوك»^(٢٨). ويؤكد ذلك موقف الاسلام من الكفار الذي ذكره القرآن الكريم، حيث فصل القرآن في العلاقة العامة بين الكفار والأعداء الذين يتخذون موقفاً سياسياً أو

(٢٥) الكافي ٥: ٣٣٩ - ٣٤٣.
ففي هذه القصة مواعظ وحكم رائعة، وكذلك في قصة زواج حبيب مثل ذلك كما أن في هذا الباب وما بعده قضايا أخرى تؤكد هذا المفهوم بحسن الاطلاع عليها.

(٢٦) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٢٧) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٤، ج ٢٠، ص ١٠.

(٢٨) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٣، ج ٢٠، ص ١٠.

عسكرياً عدوانياً ضد المسلمين، وبين الكفار العاديين الذين لا موقف لهم عدائي. حيث نهى القرآن الكريم - كما جاء في سورة الممتحنة - عن ولاء القسم الأول ومودته، وأجاز البر والقسط للقسم الثاني : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿ (٢٩).

(٢٩) الممتحنة : ٨ - ٩.

ويشير إلى ذلك أيضاً ما ورد في التأكيد على أهمية الدعوة لله والحوار بالأسلوب الذي يتسم بالعقلانية والمحافظة على العلاقة الانسانية الاجتماعية العامة من خلال الحكمة والموعظة الحسنة مع الكفار أو الآخرين من غير المسلمين أو الناس بشكل عام بدون فرق بين المسلم وغيره.

وكذلك ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف من النهي عن سب الكفار وذلك من أجل تجنب تصعيد وتشديد الموقف السلبي منهم، حيث انهم سوف يردون السب بمثله بطبيعة الحال.

عن عبد الرحمان بن الحجاج عن أبي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابان قال : «البادي منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم» (٣٠).

(٣٠) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٠.

٢٣

وعندما يضع الاسلام «الاخوة» كمحتوى لطبيعة العلاقة الاجتماعية في المجتمع الاسلامي يريد من ذلك أن يضعها من حيث محتواها الانساني إلى صف علاقة الاخوة النسبية التي يمتزج فيها الولاء والنصرة والحقوق الاجتماعية بالحب والود والمشاعر والعواطف الانسانية.

٤ - مستويات العلاقة :

والبعد الرابع في هذه النظرية هو أن الاسلام بالرغم من نظرة المساواة في أصل العلاقة الانسانية ومحتواها المتمثل في «الاخوة» بين أبناء المجتمع الاسلامي، إلا أنه لم يغفل في هذه النظرة «الواقع الاجتماعي» و«الحقائق الموضوعية» القائمة في أطراف العلاقة الاجتماعية. حيث نرى أن الاسلام قد

لاحظ في هذه العلاقة مستويين رئيسيين ينطلقان من الواقع الاجتماعي وتطور العلاقة في ضمن هذا الواقع بسبب الوضع النفسي والروحي والفكري لأطراف العلاقة:

أحدهما: العلاقة العامة التي تفرضها طبيعة وجود الإنسان في المجتمع، والتي يحقق الإنسان من خلالها ارتباطه بأفراد المجتمع الذي يعيش فيه ضمن الإطار العام للعلاقات.

وفي هذا المجال يمثل الإسلام الإطار العام لهذه العلاقة، والقاسم المشترك بين أطرافها في نظرته لوحدة المجتمع التي تقوم على أساس الالتزام بالإسلام والقبول به.

وفي هذا المستوى من العلاقة تحفظ الدماء والأموال والمواثيق والعهود، وكذلك المشاركة والمساهمة في المسؤولية الاجتماعية العامة كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكذلك الالتزام بالشعائر الإسلامية والآداب الاجتماعية العامة، مثل حضور صلوات الجماعة وتشجيع الجنائز وعيادة المرضى، والمراسيم الاجتماعية كالزواج وغيرها.

عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خطائنا من الناس؟ قال: فقال: «تؤدون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم» (٣١).

(٣١) وسائل الشريعة ٨: ٢٩٨.

أبواب أحكام العشرة، ب، ١٠.

ح ١٤.

كما أن أهل البيت عليهم السلام لا يكادون يشترطون إيجاد هذا المستوى من العلاقة إلا بعض الشروط العامة مثل اجتناب مواضع التهمة، وصحبة أهل البدع والمتجاهرين بالفسق والفجور، أو بعض المحترفين للمهن المحرمة.

عن الفجيع العقيلي - في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام - أنه قال فيها: «وياك ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء يغرر جليسه» (٣٢).

(٣٢) وسائل الشريعة ٨: ٤٢٢.

أبواب أحكام العشرة، ب، ١٩.

ح ٤٤.

وعن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا تصحبوا أهل البدع، ولا تجالسوهم فتكونوا عند الناس كواحد منهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين

خليله وقربينه» (٣٣).

(٣٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٢٠.

أبواب أحكام العشرة، ب ٢٧.

ج ١

وعن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً عن جعفر بن محمد عن آبائه عليه السلام، في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: «يا علي، من لم تنتفع بدينه ولا دنياه فلا خير لك في مجالسته...» (٣٤).

(٣٤) وسائل الشيعة ٨ : ٤٢١.

أبواب أحكام العشرة، ب ٢٨.

ج ١

على أنه لا يبعد أن يكون النهي في هذه الموارد إما بسبب الخوف من تطور العلاقة الاجتماعية إلى علاقة الصحبة، ولو بالحد الأدنى لها، أو أن النهي إنما هو عن إيجاد الحد الأدنى من الصحبة.

ثانيهما: العلاقة الخاصة التي يطلق عليها في الفهم والنظر الاجتماعي العرفيين (الصحبة).

وهذا المستوى وإن كان يشارك المستوى الأول في مجمل الآثار والنتائج، ولكن يمتاز عنه ببعض الشروط والحقوق والواجبات الإضافية التي عرفنا بعض أبعادها سابقاً، مثل الحقوق المالية، وبعض الحقوق الثقافية، كالتفاوض في أمور الدين وتعلمها وتعليمها، أو الأمور السياسية كتدريس الأوضاع العامة خصوصاً عندما تكون العلاقة في هذا المجال على مستوى عالٍ، كما سوف نوضح ذلك قريباً.

عن خيثمة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله والعمل الصالح، وأن يعود صحيحهم مريضهم، وليعد غنيهم على فقيرهم، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، وأن يتفاوضوا علم الدين، فإن ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحياناً أمرنا...» (٣٥).

(٣٥) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٠.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٠ ج ١.

ج ١

وعن ميسرة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال لي: «أتخلون وتحذثون تقولون ما شئتم؟ فقلت: إي والله، فقال: أما والله لو ددت أني معكم في بعض تلك المواطن» (٣٦). وقد سعى أهل البيت عليهم السلام لتطوير هذه العلاقة، روحياً ونفسياً لتصل إلى درجتها العالية، فتصبح متقدمة على الأخوة النسبية في مضمونها الانساني والاجتماعي والروحي، حيث يكون الحب والود فيها خالصاً لله تعالى ومن أجله، وتتصف في آثارها ونتائجها بالمساواة للإنسان بنفسه، بل وحتى إثار أخيه المؤمن على نفسه.

(٣٦) وسائل الشيعة ٨ : ٤١٠.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٠ ج ٢.

ج ٢

وجاء حديث أهل البيت عليهم السلام معبراً عن هذا الطور التكاملي للعلاقة في العلاقات الاجتماعية والجماعة الصالحة.

فقد روى الحسن بن محمد الطوسي في مجالسه بسند معتبر عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من الله عز وجل يسمع آخرهم كما يسمع أولهم فيقول: أين جيران الله جل جلاله في داره؟ فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون: ما كان عملكم في دار الدنيا فصرتم اليوم جيران الله تعالى في داره؟ فيقولون: كنا نتحاب في الله، ونتوازر في الله تعالى. قال: فينادي مناد من عند الله تعالى: صدق عبادي خلّوا سبيلهم. فينطلقون إلى جوار الله في الجنة بغير حساب» ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «فهؤلاء جيران الله في داره، يخاف الناس ولا يخافون، ويحاسب الناس ولا يحاسبون» (٣٧).

(٣٧) وسائل الشيعة ١١: ٤٣٤.

أبواب الأمر والنهي ب ١٥ ح ١٥٠

كما روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عز وجل وعن يمين الله فقال له ابن أبي يعفور: وما هن جعلت فداك؟ قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأخيه أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأخيه أهله، ويناصحه الولاية إلى أن قال: إذا كان منه بتلك المنزلة بثّه همه ففرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن، وإن كان عنده ما يفرج عنه فرّج عنه، وإلا دعا له إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لله خلقاً عن يمين العرش بين يدي الله وجوههم أبيض من الثلج، وأصوأ من الشمس الضاحية. يسأل السائل: ما هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء الذين تحابوا في جلال الله» (٣٨).

(٣٨) وسائل الشيعة ٨: ٥٤٢.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢٢ ح ٣.

ومن الملاحظ في هذه العلاقة الخاصة أن أهل البيت عليهم السلام افترضوا فيها الاختلاف في مستوى العلاقة بحيث يمكن أن تنقسم إلى الصحبة العامة والصحبة الخاصة، ويقوم الاختلاف في مستوى العلاقة على أساس درجة الالتزام العقائدي والمبدئي، وعمق ورسوخ القيم والمثل الدينية سلوكياً وعملياً. وهنا يصبح للإيمان والاعتقاد بولايتهم، والانتساب إلى الجماعة الصالحة دور مهم في ترسيخ هذه العلاقة، وترتب الحقوق والواجبات عليها. ويبدو ذلك واضحاً من خلال الأحاديث السابقة.

إخوان المكاشرة وإخوان الثقة :

كما أن أهل البيت عليه السلام في بعد آخر للاختلاف في مستوى العلاقة الاجتماعية يميزون بين صنفين من الناس هما صنف إخوان المكاشرة، وصنف إخوان الثقة. حيث لابد للإنسان أن يكتفي بالشروط العامة التي أشرنا إلى بعضها سابقاً مع الصنف الأول منهم، وهم أولئك الناس الذين يلتقي بهم في الحركة الاجتماعية العامة، فيصحبهم الانسان، ويقترن وجوده بوجودهم، ويصبحوا أخلاء له من خلال حسن المعاشرة والتودد والمعاملة بالحسنى، التي يعبر عنها أهل البيت عليه السلام بالمكاشرة، وهي التعامل بحسن الظاهر.

وأما الصنف الثاني من الناس، وهم إخوان الثقة فهم أولئك الناس الذين لابد له أن يختارهم بدقة من خلال التجربة والمعرفة بصدقهم وأمانتهم وحسن أخلاقهم، فيصح له أن يركن إليهم، ويثق بهم حيث يكونون معه في السراء والضراء، ويعتمد عليهم في شؤونه الخاصة ويكونون موضع سره وأمانته.

عن يونس بن عبد الرحمان، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: «قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام رجل بالبصرة فقال: أخبرنا عن الإخوان، فقال: الإخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة، فأما إخوان الثقة فهم كال كف والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه، واكتم سره، وأعنه وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل أنهم أعز من الكبريت الأحمر. وأما إخوان المكاشرة فإنك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابدل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان» (٣٩).

ويكون الإيمان أحد الشروط الأساسية في هذا الصنف، كما أن الحقوق الخاصة التي أكد عليها أهل البيت عليه السلام إنما هي حقوق مترتبة لمثل هذا الصنف من الناس.

ويشير إلى هذا النوع من التصنيف والاختلاف في درجة العلاقة، والشروط العامة والخاصة فيها مجموعة من النصوص التي وردت عن أهل البيت عليه السلام تتحدث عن شروط ومواصفات أخرى غير الإيمان لابد من الاهتمام بها في درجة العلاقة، سواء كانت الخصوصيات الإيجابية التي تقتضي تأكيد العلاقة

وترسيخها، مثل التقوى والورع والعقل والحكمة والكرم، أو الخيار من الناس، أو الخصوصيات السلبية التي تقتضي تخفيف العلاقة أو قطعها واجتنابها، مثل الحمق والفجور والكذب والبخل (٤٠).

٥ - المعاملة الخاصة :

وبالبعد الخامس في نظرية العلاقات الاجتماعية العامة في الاسلام، وعند أهل البيت (عليه السلام)، هو اختصاص بعض الفئات والأصناف من الناس بمعاملة اجتماعية خاصة.

فإن الاسلام في نظريته الاجتماعية وإن كان يؤمن بالمساواة بين الناس في الأخوة الانسانية، كما أشرنا، فالتنازع ذلك نلاحظ أن أهل البيت (عليه السلام) خصوا فئات اجتماعية بمعاملة خاصة في هذه العلاقات لأسباب موضوعية مختلفة، تقرها الفطرة الانسانية أو المقاييس العقلية الواقعية القائمة على أساس المصالح الاجتماعية العامة.

وهذه الأسباب قد تكون انسانية أو دينية أو سياسية ترتبط بالأبعاد المختلفة للنظرية الاسلامية العامة، أو بالعلاقات الاجتماعية بشكل خاص، الأمر الذي يجعل الأمور تأخذ نصابها وموقعها الطبيعي في الهيكلية العامة للمجتمع وأطراف العلاقة الاجتماعية.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعاملة الخاصة في مواضع عديدة، منها قوله تعالى : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ (٤١).

الأرحام :

١ - فالأرحام مثلاً والأقربون منهم بشكل خاص، والأبوان بشكل أخص لهم امتيازات في التعامل الاجتماعي، حيث يجب الاحتفاظ بأصل العلاقة الاجتماعية مع الرحم، ولا يجوز قطيعته، ويجب إكرام الأبوين، والبر بهما حتى

(٤٠) راجع الوسائل : ٨، ابواب احكام العشرة ٨ و ٩ و ١١ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ ص ٤٠٩ - ٤٢٢، حيث يبدو من الروايات في هذه الأبواب أن أئمة أهل البيت (عليه السلام) يشترطون في العلاقة الخاصة (الصحية) بمستوياتها شروطاً معينة ترتبط بالاساس الذي أنشأنا إليه آنفاً، بالإضافة إلى البحار ١٠٣ : ٥٠٢، ح ٨.

(٤١) النساء : ٣٦.

لو كان ذلك بالتزام الطاعة لهما، وامتنثال أوامرهما ضمن الحدود الشرعية.

فعن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء» فقام إليه عبدالله ابن الكواء الشكري فقال: يا أمير المؤمنين، أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟ فقال: نعم ويلك قطيعة الرحم، إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله، وإن أهل البيت ليتفردون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء» (٤٢).

وعن عنبسة العابد قال: جاء رجل فشكا إلى أبي عبدالله عليه السلام أقاربه فقال له: «أكظم غيظك وافعل» فقال: إنهم يفعلون ويفعلون، فقال: «أتريد أن تكون مثلهم فلا ينتظر الله إليكم» (٤٣).

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق أمك أن (*) تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً (*)»، ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، وإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه.

وأما حق أبيك فإن تعلم أنه أصلك، فإنه لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله.

وأما حق ولدك فإن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه. وأما حق أخيك فإن تعلم أنه يدك وعزك ووقتك، فلا تتخذ سلاحاً على معصية الله، ولا عداً للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه، والنصيحة له، فإن أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلا بالله» (٤٤).

وهذا التعامل الخاص مع الأرحام ينطلق من بعد إنساني، باعتبار الرابطة النسبية التي تمثل امتداداً للإنسان في وجوده وحركته يدرکہا ويحس بها بشكل فطري، بالإضافة إلى الجانب الأخلاقي في خصوص رعاية الأبوين

(٤٢) الأصول من الكافي ٣

٣٤٨، كتاب الايمان والكفر.

باب قطيعة الرحم، ح ٧

(٤٣) وسائل الشيعة ٨ ٥٩٣.

أبواب احكام العشرة:

ب ١٤٩، ح ٣.

(*) هكذا في المصدر، والذي

في مكارم الأخلاق للطبرسي

«وأما حقك أمك فإن تعلم»

وهو الصواب لوجوب الفاء

في جواب أما.

(*) في تحف العقول

«وأطعمتك من ثمرة قلبها ما

لا يطعم أحد أحداً».

(٤٤) وسائل الشيعة ١١

١٣٥، أبواب جهاد النفس، ب

ح ٣.

والبر بهما، لأنه لون من ألوان شكر النعمة ورد الجميل، واللفظ والرحمة بالكبار والضعفاء.

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴿٤٥﴾.

(٤٥) الإسراء : ٢٣ - ٢٤

على أن موضوع المعاملة الخاصة مع الأرحام يمثل بعداً اجتماعياً تنظيمياً مهماً، يرتبط بنظرة الاسلام إلى الهيكلية العامة للمجتمع التي تقوم على أساس افتراض أن الأسرة هي اللبنة والوحدة الاجتماعية الأولى والاساسية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي، كما أشرنا إلى ذلك في بداية هذا البحث.

العلماء :

٢ - والعلماء وأهل الفضل والمعرفة يخصصهم الاسلام بمعاملة اجتماعية خاصة أيضاً، لاعتبارات اخلاقية موضوعية واجتماعية.

أما الاعتبار الأخلاقي الموضوعي فلأن العلم يمثل قيمة حقيقية في نظر الاسلام تمنح الانسان درجة من الكمال والسمو ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ ﴿٤٦﴾.

(٤٦) المجادلة : ١١

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾ ﴿٤٧﴾. وأما الجانب الاجتماعي فإن للعلماء في النظرية الاسلامية من خلال رؤية أهل البيت (عليه السلام) موقعا اجتماعياً متميزاً، وهو قيادة التجربة الاسلامية، والولاية على الأمة.

(٤٧) الزمر : ٩

وإنما استحق أهل البيت (عليه السلام) هذه الولاية في الأمة دون غيرهم - كما أكدوا ذلك في أحاديثهم - باعتبار وجود هذه الخصوصية (العلم) فيهم بدرجة عالية ومتميزة.

كما أن ولي الأمر من بعدهم لا بد أن يكون عالماً بالاسلام، ومجتهداً في استنباط الأحكام الشرعية كما عرفنا ذلك آنفاً في بحث التنظيم السياسي العام. فقد روى الصدوق في الخصال عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «من حق

العالم ألا تكثر عليه السؤال، ولا تسبقه في الجواب، ولا تلج إذا أعرض، ولا تأخذ بثوبه إذا كسل، ولا تشر إليه بيدك، ولا تغمز بعينك، ولا تساره في مجلسه، ولا تطلب عوراته، وألا تقول: قال فلان خلاف قولك، ولا تفشي له سرأ، وتغتاب عنده أهدأ، وأن تحفظ له شاهداً وغائباً، وأن نعم القوم بالسلام وتخصه بالتحية، وتجلس بين يديه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته، ولا تمل من طول صحبته، فإنما هو مثل النخلة فانتظر متى تسقط عليك منه منفعة، والعالم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالم انكلم في الاسلام ثلثة لا تسد إلى يوم القيامة، وإن طالب العلم ليشيعه سبعون ألف ملك من مقربي السماء» (٤٨).

(٤٨) وسائل الشيعة ٨: ٥٥١، أبواب أحكام العشرة، ب ١٢٣، ج ٢.

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام): «فحقوق أئمتك ثلاثة، أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم حق سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك» (٤٩)، إلى أن يقول (عليه السلام): «وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وألا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أهدأ يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أهدأ، ولا تغتاب عنده أهدأ، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته، وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس» (٥٠).

(٥٠) وسائل الشيعة ١١: ٨٣٤، أبواب جهاد النفس، ب ٣، ج ٨.

الجيران:

٣- والجيران يستحقون معاملة خاصة في العلاقات العامة، ويبدو واضحاً أن البعد في هذا المعاملة الخاصة إنما هو البعد الاجتماعي، حيث يراد من خلال ذلك توطيد دعائم العلاقات الاجتماعية من خلال الواقع الجغرافي للمجتمع، وتحقيق التعاون في إيجاد البنية الاجتماعية المحلية السليمة والقوية.

وقد ورد تأكيد أهمية هذه المعاملة الخاصة في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) حتى أنه ورد في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لأولاده عند وفاته الإشارة إلى وصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجيران.

كما ورد في هذا المضمون حديث آخر رواه الصدوق في من لا يحضره

الفقيه، وكتاب عقاب الأعمال عن الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال: «من أذى جاره حزم الله عليه ربح الجنة، وماواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيع حق جاره فليس منا، وما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه...» (٥١).

(٥١) وسائل الشيعة ٨ : ٤٨٨،

أبواب أحكام العشرة، ب ٨٦، ج ٥.

وعن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام إن رسول الله ﷺ كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب، أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه» (٥٢).

(٥٢) وسائل الشيعة ٨ : ٤٨٧،

أبواب أحكام العشرة، ب ٨٦، ج ٢.

وعنه عليه السلام أنه قال: «اعلموا أنه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره» (٥٣).
وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع» (٥٤).

(٥٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٨٩،

أبواب أحكام العشرة، ب ٨٧، ج ٥.

وعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، ما حدّ الجار؟ قال: «أربعين داراً من كل جانب» (٥٥).

(٥٤) وسائل الشيعة ٨ : ٤٩٠،

أبواب أحكام العشرة، ب ٨٨، ج ١.

الضعفاء :

٤ - والضعفاء من الناس لا بد من معاملتهم معاملة خاصة أيضاً، سواء كان هذا الضعف بسبب الوضع الطبيعي للتركيبية الجسمية، مثل الاطفال والنساء والشيخوخ، أو كانوا من قبيل الذين يعرض لهم الضعف، مثل المعوقين والمتخلفين، حيث يبدو من الواضح البعد الانساني في هذا الجانب من التعامل. فعن أمير المؤمنين أنه قال في حديث له: «وارحموا ضعفاءكم، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم» (٥٦).

(٥٦) البحار ٧٨ : ٨٢، كتاب

الروضة، ب ١٦، ج ٨٥.

أو كان هذا الضعف بسبب الأوضاع الاقتصادية، مثل الفقراء والمساكين، وابتداء السبيل وغيرهم من المحتاجين.

(٥٧) البحار ٩٦ : ٣٥٦، كتاب

الصوم، ب ٤٦، ج ٢٥.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبة له: «وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم» (٥٧).

أو كان بسبب الأوضاع الاجتماعية، مثل اليتامى والمملوكين، أو العمال والمستأجرين والمستخدمين من الناس، الذين تفرض عليهم ظروفهم

الاجتماعية أن يكونوا تحت إدارة بعض الأشخاص ولايتهم.

فعن الصادق عن آبائه عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال في وصيته لعلي عليه السلام: «يا علي، أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه، ثم قال: يا علي من كفى يتيماً في نفقته بماله حتى يستغني وجبت له الجنة البتة. يا علي من مسح يده على رأس يتييم ترحماً له أعطاه الله بكل شعرة نوراً يوم القيامة» (٥٨).

(٥٨) وسائل الشيعة : ١١ :

٥٦٠، أبواب فعل المعروف، ب

١٩، ج ١.

ذرية الرسول :

٥ - وهناك تأكيد على رعاية ومعاملة خاصة لذرية رسول الله صلى الله عليه وآله من أولاد علي وفاطمة عليهما السلام، وذلك بسبب انتمائهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإكراماً له، وتقديراً لحقه، وتقديساً لشأنه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يقبل رأس أحد ولا يده إلا رسول الله صلى الله عليه وآله أو من أريد به رسول الله» (٥٩).

(٥٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٦٥،

أبواب أحكام العشرة، ب

٢٢٣، ج ٣.

وعن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «النظر إلى ذريتنا عبادة قلت: النظر إلى الأئمة منكم، أو النظر إلى ذرية النبي؟ فقال: بل النظر إلى جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله عبادة ما لم يفارقوا منهاجه، ولم يثقلوا بالمعاصي» (٦٠).

(٦٠) وسائل الشيعة ٨ : ٦٢٠،

أبواب أحكام العشرة، ب

١٦٥، ج ١.

المبحث الثاني : القواعد والأسس

الجانب الثاني من البحث في العلاقات الاجتماعية هو البحث في القواعد والأسس العامة التي لا بد أن تقوم عليها هذه العلاقات، وتحدد مسارها واتجاهاتها.

وتشكل هذه القواعد والأطر الخطوط العامة التي توجه مسيرة العلاقات الاجتماعية باتجاه التكامل الذاتي لحركة الفرد وسلوكه، والتكامل الاجتماعي لحركة الجماعة وأنشطتها وفعاليتها.

كما أنها في نفس الوقت تمثل الخلفية الأخلاقية لهذا السلوك الفردي والاجتماعي، حيث تؤكد أهمية دور الأخلاق في التكامل الانساني الفردي

والاجتماعي، وتجعل الأخلاق ذات هدف واضح على صعيد التكامل الفردي والاجتماعي.

وبدون هذه الضوابط الأخلاقية تتحول العلاقات الاجتماعية إلى قضية شكلية وآلية (ميكانيكية) شبيهة بالأعراف والتقاليد، حيث تصبح في معرض الانهيار، وخطر التفكك عندما تتعرض البنية الاجتماعية إلى الاهتزاز أو التغير، كما يحصل ذلك فعلاً في بعض حالات الهجرة والانتقال من مجتمع إلى مجتمع آخر، أو في حالات تعرض المجتمع إلى الغزو الثقافي والاجتماعي، أو تبدل الأنظمة السياسية، أو كما نلاحظه في المجتمعات الغربية التي تحولت فيها الأخلاق إلى مجرد قوانين وأعراف دون أن يكون لها مضمون يرتبط بالنفس والروح والوجدان.

ويمكن تلخيص هذه القواعد والأطر العامة في نظر أهل البيت عليهم السلام بالنقاط التالية:

- ١ - الالتزامات والواجبات الشرعية والعرفية العامة.
 - ٢ - ضبط العواطف والانفعالات وتوجيهها.
 - ٣ - العدل والإنصاف كحد أدنى في الموازنة بين النفس والآخرين.
 - ٤ - التودد والمجاملة الحسنة في التعامل العام.
 - ٥ - الاحسان واليد العليا في التكامل الاجتماعي.
 - ٦ - السلوك المتميز والقدوة الحسنة في الوضع الاجتماعي العام.
- وقد جاءت هذه الضوابط - كما سوف نلاحظ - منسجمة مع مجموعة الأبعاد السابقة للنظرية، سواء كان ذلك في اتجاهها العام، أو في أهدافها، أو في شكلها ومحتواها.

ونحتاج أن نتناول كل واحدة من هذه الضوابط بشيء من التحليل والشرح لتوضيح هذا الانسجام والارتباط بينها وبين الأبعاد السابقة.

١ - الواجبات الشرعية والعرفية:

أما القاعدة الأولى التي تمثل الالتزام بالواجبات الشرعية والعهود والعقود

العقلانية التي أقرها الشارع المقدس، والآداب العرفية العامة في مجمل السلوك في العلاقات الاجتماعية، فهي تعني في الحقيقة الالتزام الاخلاقي تجاه الله الواحد الأحد، والخالق المنعم على الانسان، لأن الله سبحانه وتعالى قد أخذ على الانسان الميثاق والعهد في التوحيد له، والطاعة والامتثال لأوامره ونواهي. فهذا الالتزام بالواجب الشرعي إنما هو وفاء بالميثاق والعهد، وقبول بالدين والنظام الاسلامي الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ لهداية البشرية، وإصلاح أمرها، وبناء المجتمع الانساني الصالح ليكونوا ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الأحكام الشرعية، والشرائع الإلهية من الأوامر والنواهي تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية، ومعبرة عن وجودها الواقعي، سواء في حركة الانسان الفردية أو الاجتماعية، فيكون الالتزام بها التزاماً وتحقيقاً لهذه المصالح، أو اجتناباً وابتعاداً عن هذه المفاسد والأضرار الموجودة في متعلقاتها.

وهذا مما ينسجم مع البعد الثاني للنظرية، وهو تقوية البناء الاجتماعي من خلال تحقيق هذه المصالح، واجتناب الأضرار والمفاسد.

كما أن الآداب العرفية العامة تعبر عن الالتزامات الاجتماعية المشروعة التي تواضع عليها الناس والمجتمع، ويكون الانسجام معها انسجاماً مع المجتمع والناس انفسهم، وهذا مما ينسجم في نفس الوقت مع البعد الأول للنظرية.

الواجب والحرام من الالتزامات :

ونجد تجسيد هذه الضابطة والإطار في مجموعة واسعة من المفردات في البناء الفوقي للعلاقات الاجتماعية، التي أكدتها النظرية الاسلامية، سواء في البعد الايجابي منها، أو البعد السلبي.

أما في البعد الايجابي فنجد ذلك في مثل الحث على مفردة الوفاء بالمواثيق، أو أداء الأمانة، أو حضور الجنائز وصلوات الجماعة والاجتماعات العامة، أو

في مثل عيادة المرضى، وغير ذلك مما سوف نشير إليه مستقبلاً.
وأما في بعدها السلبي فنجد ذلك في مفردات النهي عن إيذاء الناس، أو الإضرار بهم، أو هتك حرمتهم، أو تتبع عثراتهم، أو إشاعة الفاحشة بينهم، إلى غير ذلك من الموارد التي سوف نشير إليها.

٢ - ضبط العواطف والانفعالات :

أما القاعدة الثانية فهي تمثل الالتزام في العلاقات الاجتماعية ضبط العواطف والأحاسيس والمشاعر والانفعالات التي تطرأ على النفس الإنسانية بسبب التفاعل مع الأحداث ومشاهدتها، وتفاعلات آثارها ونتائجها.
وتعتبر هذه الضابطة في أحد أبعادها عن التكامل الذاتي في حركة الإنسان نحو الله تعالى.

فقد ورد في حديث أهل البيت عليهم السلام التأكيد عاماً على هذه الضابطة في الوصول إلى هذا التكامل، حيث روى الصدوق في من لا يحضره الفقيه، وثواب الأعمال عن شعيب العرقوفي، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتتهى وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار»^(٦١).
وفي حديث آخر رواه الكليني في الكافي بسند معتبر عن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من حق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له»^(٦٢).

(٦١) وسائل الشريعة ١١:

١٢٣، أبواب جهاد النفس، ب ٨، ج ٨.

(٦٢) وسائل الشريعة ١١:

٢٨٦، أبواب جهاد النفس، ب ٥٢، ج ١.

جهاد النفس وضبط العواطف :

ولا شك أن جهاد النفس هو من أعظم الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حركته التكاملية، حيث جاء التعبير عنه في الحديث الصحيح المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه «الجهاد الأكبر»^(٦٣).

(٦٣) وسائل الشريعة ١١:

١٢٢، أبواب جهاد النفس، ب ٨، ج ١.

وهذا الجهاد في الحقيقة إنما هو يعبر في أحد أبعادها عن ضبط العواطف، والسيطرة عليها، وتوجيهها بشكل صحيح بما ينسجم مع الحكم الشرعي، والأهداف الإلهية المقدسة.

وأهمية هذه الضابطة في جانبها الذاتي، إنما تنبع من موضوع تربية الإرادة الإنسانية، وتقويتها بشكل يجعلها منسجمة في فاعليتها واختيارها دائماً مع العقل وحكم الشرع، حيث أعطى الشارع المقدس أهمية خاصة للعقل، لأن الله تعالى جعل للعقل دوراً أساسياً في حركة الإنسان، وتوجيه إرادته نحو الصلاح، وتحقيق المصلحة النهائية للإنسان، وضبط العواطف والانفعالات له. وقد ورد في الحديث الشريف أن الله سبحانه وتعالى خلق العقل ثم قال له: «أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب. أما إني إياك أمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب» (٦٤).

وعن عبد الله بن سنان قال: «سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» (٦٥).

حسن الخلق وضبط العواطف :

ويؤثر هذا الجانب أيضاً على الجانب الآخر لهذه الضابطة، وهو الجانب الاجتماعي، حيث إن التكامل الذاتي للفرد يؤثر - بطبيعة الحال - على التكامل الذاتي للمجتمع كله، لأنه بالإضافة إلى أن المجتمع يتكون من هؤلاء الأفراد، فإن الفرد الصالح المتميز له تأثير واضح على بقية أفراد المجتمع إذا كان واقعه النفسي صالحاً، حيث ينعكس ذلك بالضرورة على سلوكه الاجتماعي في علاقاته مع الآخرين، ذلك أن الواقع النفسي للإنسان لا يمكن أن ينفك عن سلوكه الاجتماعي.

ولذلك مدح القرآن الكريم نبي الاسلام العظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ تأكيداً على هذا الجانب الأخلاقي في السلوك.

(٦٤) راجع الكافي ١: ١٠٠، كتاب العقل والجهل، ح ١، الوسائل ١١: ١٦٠، أبواب جهاد النفس، ب ٨، ح ٨.

(٦٥) عسل الشرائع ٤، ط الحيدرية (النجف).

٣- العدل والإنصاف ولو من النفس :

وأما القاعدة الثالثة فهي تمثل الالتزام في العلاقات الاجتماعية بمنهج العدل والإنصاف للناس حتى لو كان طرف هذه الموازنة هو نفس الإنسان، فضلاً عما إذا كان طرفها الأفراد الآخرين أبناء المجتمع.

وتعبر هذه الضوابط وهذا الأساس عن الخلفية الأخلاقية والعقائدية في النظرية الإسلامية التي يجب أن تقوم عليها العلاقات الاجتماعية، باعتبارها أحد الجوانب المهمة في النظام الاجتماعي، حيث إن الإسلام أقام نظامه بشكل عام على أساس العدل، سواء في رؤيته لقيمة الإنسان، أو في علاقة الإنسان مع الله تعالى، حيث يكون العدل الركن الثاني في هذه العلاقة بعد الإلهية، أو في إنتاج الثروة وتوزيعها، أو في نظام الحكم وفصل الخصوصات بين الناس. ومن هذا المنطلق نجد أهل البيت (عليه السلام) يؤكدون على موضوع (العدل) باعتباره قاعدة وأساساً للنظام الاجتماعي بشكل عام، وفي العلاقات الاجتماعية بشكل خاص.

وقد جاء هذا التأكيد في عدد من الاتجاهات.

العدل بين الناس :

أ - التأكيد على وجوب العدل بين الناس بشكل عام في مقام التعامل معهم. فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « اتقوا الله واعدلوا، فإنكم تعيرون على قوم لا يعدلون » (٦٦).

وعنه (عليه السلام) قال : « العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك » (٦٧).

(٦٦) وسائل الشريعة ١١ :

٢٣٣، أبواب جهاد النفس،

ب ٣٧، ج ١.

(٦٧) وسائل الشريعة ١١ :

٢٣٣، أبواب جهاد النفس، ب

٣٧، ج ٢.

رفض الظلم :

ب - تحريم ظلم الناس في مقام التعامل معهم، وهو نقيض العدل، حيث إن الظلم لا يظهر في المجتمع - عادة - إلا من خلال الاستئثار، واختلال الموازين الصحيحة في العلاقة الاجتماعية.

قال الإمام الصادق عليه السلام : «ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله» (٦٨).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : «ما من أحد يظلم مظلمة إلا أخذ الله بها في نفسه وماله، فأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر له» (٦٩).

وعن أبي بصير قال: دخل رجلان على أبي عبد الله عليه السلام في مداراة بينهما ومعاملة، فلما أن سمع كلامهما قال : «أما إنه ما ظفر بخير من ظفر بالظلم. أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم» ثم قال: «من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به. أما إنه يحصد ابن آدم ما يزرع، وليس يحصد أحد من المر حلواً، ولا من الحلو مرأ» فاصطاح الرجلان قبل أن يقوموا (٧٠).

إنصاف الناس من النفس:

ج - الحث على إنصاف المرء للناس من نفسه، باعتباره يمثل الأساس والقاعدة لقضية العدل في العلاقات الاجتماعية، وأنه لا يتصف الانسان المؤمن بصفة الإيمان إلا من خلال التعامل على أساس هذا الإنصاف.

وتبدو أهمية هذا الاتجاه باعتبار أن بداية الظلم في العلاقات الاجتماعية تبدأ من حالة أن يؤثر الانسان حق نفسه ويقدمه على حقوق الآخرين، ثم يتطور ذلك بتقديم حقوق بعض الناس على حقوق آخرين منهم. ومن هنا فإن إنصاف الناس من النفس يعني تحقيق العدل بين الناس جميعاً.

ومن هنا جاء تأكيد أهل البيت عليهم السلام على هذا الأساس الأخلاقي.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال : «قال رسول الله ﷺ : سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله، وذكر الله على كل حال» (٧١).

وعنه عليه السلام قال : «قال رسول الله ﷺ : من واسى الفقير من ماله، وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً» (٧٢).

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : «ألا أخبرك بأشد ما افترض الله على خلقه؟ إنصاف الناس من أنفسهم. ومواساة الإخوان في الله عز وجل، وذكر الله عز وجل على كل حال، فإن عرضت له طاعة عمل بها، وإن عرضت له معصية

(٦٨) وسائل الشريعة ١١

٣٣٨ أبواب جهاد النفس.

ب ٧٧، ج ١

(٦٩) وسائل الشريعة ١١

٣٣٨ أبواب جهاد النفس.

ب ٧٧، ج ٣

(٧٠) الكافي ٢ : ٣٣٤ ج ٢٢

(٧١) وسائل الشريعة ١١ : ٣٣٥

أبواب جهاد النفس، ب ٣٤

ج ٢

(٧٢) وسائل الشريعة ١١

٣٣٥ أبواب جهاد النفس، ب

٣٤، ج ٥

تركها» (٧٣).

(٧٣) وسائل الشيعة ١١ :

٢٢٦، أبواب جهاد النفس،

ب ٢٤، ج ١٠.

وفي هذا الاتجاه - مع تطوير وتصعيد الحالة الأخلاقية في العلاقات الاجتماعية - جاء التأكيد في حديث أهل البيت (عليهم السلام) على أن يحب الإنسان لأخيه المسلم أو للناس ما يحب لنفسه.

جاء ذلك في وصية أمير المؤمنين لولده الحسن (عليه السلام) : « فأحبب لغيرك، ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها » (٧٤).

(٧٤) نهج البلاغة ٣٩٧، ك ٣١،

المصالح.

وكذلك ورد في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : « أوحى الله عز وجل إلى آدم (عليه السلام) : إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات. قال : يا رب وما هن؟ قال : واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين الناس. قال : يا رب بينوني لي حتى أعلمهن. قال : أما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليّ الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك » (٧٥).

(٧٥) الكافي ١٤٦ : ٢، كتاب

الكفر والإيمان، باب الإنصاف

والعدل، ح ١٢.

٤ - حسن الخلق والمدارة :

وأما القاعدة الرابعة فهي حسن الخلق ومدارة الناس، وهي تمثل في العلاقات الأساس والقاعدة الأخلاقية لمنهج الانفتاح في هذه العلاقات، حيث لا يمكن أن يتحقق هذا الانفتاح والتوسع في العلاقات إلا على أساس وجود هذه القاعدة الأخلاقية في التعامل مع الآخرين.

كما أن المضمون الأخلاقي للعلاقات الاجتماعية في النظرية الإسلامية هو عبارة عن الحب والود، فهي ليست مجرد علاقة شكلية وآلية، أو مجرد علاقة ذات مصالح ومنافع متبادلة، بل هي علاقة عاطفية ومشاعرية، لأن العلاقات الاجتماعية لا تتكامل من خلال المصالح الشخصية أو العامة فحسب، وإنما تتكامل وتستحكم من خلال الحب والولاء والود بين أطرافها.

ولا شك أن حسن الخلق والتودد والمجاملة ومدارة الناس تمثل تعبيراً عن هذا الحب، حيث تمثل الخطوة الأولى المهمة في هذا الطريق، وتزيل الحواجز والمؤثرات السلبية التي تمنع عن وجود هذا الحب، والتعبير عنه عندما تتكامل

مقوماته وعناصره الأخرى التي سوف نشير إليها.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يؤكد ذلك، فقد روى الكليني بسند صحيح عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : «إن أعرابياً من بني تميم أتى النبي ﷺ فقال له : أوصني، فكان مما أوصاه : تحبب إلى الناس يحبوك» (٧٦).

وقد ذكر صاحب الوسائل في أحكام العشرة بابين في حسن الخلق ومداراة الناس (*) أورد فيها أحاديث عديدة تؤكد هذه الحقيقة أيضاً بحيث تربط تكامل الإيمان بهذا، وذلك لأنه ورد أيضاً ما يشير إلى أن الإيمان الحقيقي هو الحب، وأن الدين هو الحب.

وهنا نشير إلى بعض النصوص المعتبرة التي تؤكد هذه الحقائق.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» (٧٧).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «إن الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد» (٧٨).

وعنه عليه السلام : «إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم» (٧٩).

وقال عليه السلام : «أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً» (٨٠).

وقال عليه السلام : «إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح» (٨١).

وعنه عليه السلام قال : «قال رسول الله ﷺ : أمرني ربي بمداراة الناس، كما أمرني بأداء الفرائض» (٨٢).

وقال عليه السلام : «قال رسول الله ﷺ مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش» الحديث (٨٣).

وعن سفيان بن عيينة قال: قلت للزهري: لقيت علي بن الحسين عليه السلام؟ قال: نعم لقيته، وما لقيت أحداً أفضل منه، وما علمت له صديقاً في السر ولا عدواً في العلانية، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنني لم أر أحداً وإن كان يحبه إلا وهو لشدة معرفته بفضل له يحسده، ولا رأيته أحداً وإن كان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه (٨٤).

وعن فضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض أذن

(٧٦) وسائل الشيعة ٨ : ٢٣٣.

أبواب أحكام العشرة، ب ٢٩، ج ١.

(٥) راجع الوسائل ٨ : ٥٠٣.

٥٢٩، أحكام العشرة : ١٠٤ و

١٢١، بالإضافة إلى روايات

أخرى تؤكد على التودد

للناس ومجايلتهم في البابين

٢٩ و ٣٠ من الكتاب نفسه.

(٧٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٣.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٠٤،

ج ١.

(٧٨) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٤.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٠٤،

ج ٦.

(٧٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٤.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٠٤،

ج ٤.

(٨٠) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٤.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٠٤،

ج ٩.

(٨١) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٤.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٠٤،

ج ١٥.

(٨٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٤.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢١،

ج ١.

(٨٣) وسائل الشيعة ٨ : ٥٤٠.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢١،

ج ٥.

(٨٤) وسائل الشيعة ٨ : ٥٤٢.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢١،

ج ١٠.

الإيمان هو ؟ فقال : « وهل الإيمان إلا الحب والبغض، ثم تأول هذه الآية ﴿ وَحَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ » (٨٥).

(٨٥) وسائل الشيعة ١١ :

٤٣٥، أبواب الأمر والنهي، ب
١٥، ج ١٦.

وعن صفوان الجمال، عن أبي عبيدة زياد الحذاء، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث أنه قال له : « يا زياد، ويحك وهل الدين إلا الحب ؟ ألا ترى إلى قوله ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أولا ترى قول الله لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿ حَبِيبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ وقال : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ فقال : الدين هو الحب، والحب هو الدين » (٨٦).

(٨٦) وسائل الشيعة ١١ :

٤٣٥، أبواب الأمر والنهي، ب
١٥، ج ١٧.

وفي هذه الروايات وإن كان المراد من الحب هو حب الله تعالى، ولكن لا شك أن حب المسلمين والمؤمنين في الله هو شعبة من شعب حب الله، كما ورد ذلك في النصوص.

من ذلك ما رواه سلام بن المستنير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « وَدَّ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ شُعَبِ الْإِيمَانِ أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَأَعْطَى فِي اللَّهِ وَمَنَعَ فِي اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ » (٨٧).

(٨٧) وسائل الشيعة ١١ :

٤٣١، أبواب الأمر والنهي، ب
١٥، ج ٢.

كما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قوله : « مَنْ أَوْثَقَ عَرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتَعْطَى فِي اللَّهِ وَتَمْنَعَ فِي اللَّهِ » (٨٨).

(٨٨) وسائل الشيعة ١١ :

٤٣١، أبواب الأمر والنهي، ب
١٥، ج ٢.

٥- الإحسان واليد العليا :

وأما القاعدة الخامسة، وهي الإحسان إلى الناس والتفضل عليهم فإن الإحسان إلى الناس يمكن أن نتصوره على قسمين :

الإحسان العام :

الأول : الإحسان إلى الناس بشكل عام دون أن يكون هناك علاقة خاصة بين المحسن والمحسن إليه، كما هو الحال في مثل الأعمال العامة التي يقوم بها المحسنون، كإصلاح الطرق، وحفر الآبار، وبناء أماكن نزول الضيوف والزوار، وإيجاد الأوقاف العامة التي تبذل في إطعام الطعام، أو مساعدة

(*) يمكن أن نجد الحث على هذه الأعمال والثواب المترتب عليها، وأشارها من كتاب وسائل الشيعة في الأنوار التالية من الجزء الحادي عشر : ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ من أبواب المعروف، وكذلك في أبواب الصدقات والزكاة والوقف.

الفقراء والضعفاء، أو بناء المدارس العلمية، والمؤسسات التعليمية والصحية والثقافية(*)، وأمثال ذلك من أمور المعروف التي تعبر عن الاهتمام بأمور المسلمين عامة، والتي ينطبق عليها عنوان «في سبيل الله».

فإن هذه الأعمال وإن كانت من أفضل صنائع المعروف، ومصادر الإحسان، وفيها ثواب وأجر كبير، وآثار تكاملية للفرد والجماعة، وقد حث عليها الاسلام، ولكنها من مصاديق الاحسان والمعروف التي لا ترتبط - بشكل مباشر - بموضوع العلاقات الاجتماعية، ولذا فلا نبحث عنها في هذا الجانب وإن كانت ترتبط بشكل عام بالنظام الاجتماعي، وأشرنا إليها في بعض الأبحاث السابقة.

الإحسان في العلاقات :

الثاني: الإحسان إلى الفرد والناس بشكل مباشر في المجتمع الاسلامي، وهذا النوع من الإحسان يمثل الركن الأساسي الذي تستحكم به العلاقات الاجتماعية، وتتكامل من خلاله، لأنه بالإضافة إلى ما فيه من تعبير عن المضمون الحقيقي للعلاقات الاجتماعية، وهو الحب والود، يكون الوسيلة القوية المؤثرة في كسب ود الآخرين وحبهم، كما يكون أحد الوسائل لتفادي المشاكل، وامتصاص ردود الفعل السلبية في العلاقات الاجتماعية، ومعبراً عن المستوى الأخلاقي العالي للإنسان، كما يبدو ذلك واضحاً في الروايات التي تؤكد على أهمية صنع المعروف للناس مطلقاً.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس من أهله، فإن لم يكن هو أهله فكأن أنت من أهله» (٨٩).

وعنه عليه السلام قال: «اصنعوا المعروف إلى كل أحد، فإن كان أهله وإلا فانت أهله» (٩٠).

الإحسان إلى النفس :

ومن أجل إيجاد الموازنة في هذا المجال نجد الاسلام قد جعل من الإحسان إلى الآخرين إحساناً إلى النفس، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ

(٨٩) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٨.

أبواب فعل المعروف، ب ٣، ج ١.

(٩٠) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٨.

أبواب فعل المعروف، ب ٣، ج ١.

لأنفسكم، وإن أسأتم فلها».

ولذا لم يكتف أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال بالتأكيد على الإحسان وحده، بل طلبوا من أتباعهم أن تكون يدهم هي العليا في الإحسان، حيث يكون مبدأ التنازل عن الحق لدى الآخرين، أو الإحسان إليهم يمثل حقاً من الحقوق في ذمة الإنسان المسلم اجتماعياً، وتكاملاً للفرد في ذاته، ويحقق في الوقت نفسه التكامل في العلاقات الاجتماعية.

فعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : «من خالطت فإن استطعت أن تكون يدك العليا عليهم فافعل»^(٩١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّا نُرَاكُم مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: «كان يوسع المجلس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضعيف»^(٩٢).

وقال عليه السلام : «إذا خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس إلا كان يدك العليا عليه فافعل، فإن العبد يكون فيه بعض النقيصة من العبادة، ويكون له خلق حسن، فيبلغه الله بخلقه درجة الصائم القائم»^(٩٣).

كما نجد في أخبار أحكام العشرة التأكيد على موارد هذا الإحسان في تفاصيل كثيرة سوف نشير إلى بعضها في المبحث الثالث إن شاء الله.

٦- القدوة والسلوك المتميز :

وأما القاعدة السادسة وهي القدوة في السلوك الاجتماعي على مستوى العلاقات، فهي تمثل الركن الأساسي الآخر في استحكام العلاقات الاجتماعية وتكاملها، وإيجاد أفضل وسيلة لتعليم الآخرين السلوك الأخلاقي في هذا المجال. وقد تحدثنا عن القدوة وآثارها النفسية والروحية ودورها الاجتماعي في رسالة خاصة، لعنا نوفق لطبيعتها. كما أشرنا في هذا الكتاب إلى القدوة في عدة مواضع في الأهداف والخصائص والمحتوى الروحي والأخلاقي.

وقد ورد الحديث المؤكد عن أهل البيت عليهم السلام في إرساء هذه القاعدة، وبيان أهمية دورها في العلاقات الاجتماعية، عندما أوصوا شيعتهم بالالتزام بها، باعتبارها قضية مهمة، وعلامة مميزة في بناء الجماعة الصالحة، ودورها في

(٩١) وسائل الشريعة ٨ : ٤٠٦.

بواب أحكام العشرة، ب ٢، ح ١.

(٩٢) وسائل الشريعة ٨ : ٤٠٦.

بواب أحكام العشرة، ب ٤، ح ١.

(٩٣) وسائل الشريعة ٨ : ٥٠٤.

بواب أحكام العشرة، ب ١٠، ح ٧.

الامة، كما نلاحظ في الأحاديث التالية:

فعن أبي عبدالله عليه السلام في وصية له لشييعته قال: «فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري، فيسرني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر. والله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها آدامهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث. إليه وصاياهم وودائعهم. تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان؟ إنه آدامنا للأمانة، وأصدقنا للحديث» (٩٤).

وعن كثير بن علقمة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أوصني، فقال: «أوصيك بتقوى الله، والورع والعبادة، وطول السجود، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وحسن الجوار، فبهذا جاءنا محمد صلى الله عليه وآله. صلوا في عشائركم، وعودوا مرضاكم، واشهدوا جنازكم، وكونوا لنا زينةً ولا تكونوا علينا شيناً. حبيبونا إلى الناس، ولا تبغضونا إليهم، فجزوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل شر» (٩٥).

وعنه عليه السلام قال: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير السنتكم. ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع».

قال الشيخ العاملي:

بئر من الجماعة

٢٠٢١ هـ - ١٤٤٣ م

(٩٤) وسائل الشيعة ٨: ٣٩٨

أبواب أحكام العشرة، ب ٨، ج ٣

(٩٥) وسائل الشيعة ٨: ٤٠٠

أبواب أحكام العشرة، ب ٨، ج ٨

٨

البداء

في القرآن والحديث

١

شبهة ورد

الشيخ

محمد هادي معرفة

مقدمة



من المسائل ذوات الخطورة في الجدل الكلامي، والتي ورد بها الأثر الصحيح، هي مسألة البداء في التكوين على غرار مسألة النسخ في التشريع، فقد ورد في الحديث بلفظه، كما ورد في القرآن تصريحاً وتلويحاً في عدة آيات. وهكذا تعرض له العلماء عبر بحوثهم عن صفات الذات ولاسيما صفة العلم الذاتي ثم الفعلي الذي هو منشأ البداء، ونظروا في تأويله وتوجيهه حسبما أوتوا من حول وقوة.

فقد أوله الجمهور بأنه في التكوين بداء في ظاهره ولا بداء في واقع الأمر. وأوله الشيخان (الصدوق والمفيد) أنه بداء في مشيئته تعالى المتغيرة حسب تغير المصالح المقتضية، والمشيئة من صفات الفعل وهي محدثة، فلا تغير في علمه تعالى الذاتي الازلي القديم.

لكن الشريف المرتضى أخذه على ظاهره من غير تأويل، بناء على أنه تجدد في علمه تعالى الفعلي، الذي هو نفس ظهور الأشياء على صفحة الوجود، دون علمه الذاتي الازلي المكنون.

وكان موضع البداء من صفاته تعالى الجمالية والجلالية موضعاً خطيراً؛ لكونه تجديداً في الخلق والتدبير إذ كل يوم هو في شأن، ولا يزال في خلق

جديد، فقال لما يشاء ويحكم ما يريد. وهو ردّ قاطع لما زعمت اليهود من أن يد الله مغلوله، وقد فرغ من الامر، فلا تغيير في القضاء ولا تبديل في التقدير، فقد جفّ القلم بما رقم، فلا موضع بعده للدعاء ولا للانابة والاستغفار. وقد ردّ عليهم سبحانه ولعنهم بما قالوا: ﴿بل يدها ميسوطتان ينفق كيف يشاء﴾. ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾.

الامر الذي جعله من أفخم ما عظم الله به، وكان وصفه تعالى به من اكبر العبادات، كما في الحديث.

هذه هي مجموعة المسائل، معروضة على أصول النقد والتمحيص، واستناداً إلى دلائل الكتاب العزيز والسنة الشريفة. ولعلنا في هذا العرض الوجيز قد أوفينا جانباً من واجباتنا الديني، واسدينا خدمة متواضعة لابناء امتنا المجيدة قرباً إلى الله تعالى، وهو من وراء القصد، وهو الولي المستعان والموفق للصواب، بحوله وقوته.

البداء في اللغة والاصطلاح

البداء هو الظهور بعد خفاء. يقال: بدا له في كذا، أي تجدد له فيه رأي. وبدا له شيء، أي ظهر له على غير ترقب أو من غير قصد.

(١) يوسف: ٣٥.

قال تعالى: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾^(١)، وهذا من البداء في الرأي.

(٢) الزمر: ٤٧.

وقال: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكتسبوا﴾^(٢)، أي ظهر لهم منه تعالى على غير ترقب لهم من ظهوره.

قال أبو ربيعة المخزومي:

بدا لي منها معصم حين جئمت وكفّ خضيب زينت ببنان
ولعل ظهور معصمها وكفها له في تلك الحالة كان على خلاف انتظاره،
حيث النساء العفيفات يحتشم من إبداء زنتهن للأجانب في حالة رمي
الجمرات وهي حالة عبادة. فلعلها ظهرت زينتها عن غير قصد.

قال أبو هلال العسكري: «الفرق بين البدق والظهور، أن الظهور يكون بقصد

وبغير قصد، تقول: استتر فلان ثم ظهر، وهذا يدل على قصده للظهور. ويقال: ظهر له أمر فلان وإن لم يقصد لذلك.

والبدو ما يكون بغير قصد، تقول بدا البرق وبدا الصبح وبدت الشمس. وبدا لي في الشيء، لأنك لم تقصد للبدو» (٣).

ولفظه البداء المستعملة في القرآن - بهيئة الثلاثي منها - كلها على ذلك على وجه التقريب (٤).

والبداء في مصطلح الفن: نشأة رأي جديد، وهو في التكوين نظير النسخ في التشريع، أي عبارة عن التجدد في الرأي، سواء في التكوين أم في التشريع.

قال تعالى بشأن النسخ: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ (٥).

وقال بشأن البداء: ﴿لكل أجل كتاب﴾ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٦).

غير أنه بالنسبة إليه تعالى يختلف معناه عما إذا نسب إلى غيره، حسبما ننبه.

وهكذا ورد في الحديث نسبة البداء إلى الله سبحانه، ففي صحيح البخاري - في حديث الأقرع والأبرص والأعمى -: «بدا الله عز وجل أن يبتليهم...» (٧).

قال ابن حجر: «بدا لله، بتخفيف الدال المهملة بغير همز، أي سبق في علم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً، لأن ذلك محال في حق الله تعالى».

قال: «وقد أخرجه مسلم، بلفظ: أراد الله أن يبتليهم فلعّل التغيير فيه من الرواة، مع أن في الرواية أيضاً نظراً، لأنه تعالى لم يزل مريداً. والمعنى: أظهر الله ذلك فيهم. وقيل: معنى أراد قضى» (٨).

وقال ابن الأثير: «وفي حديث الأقرع بدا لله أن يبتليهم، أي قضى بذلك، وهو معنى البداء هاهنا، لأن القضاء سابق، والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٣٧
باب ٢٧.

(٤) راجع: آل عمران: ١١٨
والأنعام: ٢٨ والأعراف: ٢٢
والزمر: ٤٨ والجمانية: ٣٣
والممتحنة: ٤.

(٥) البقرة: ١٠٦.

(٦) الرعد: ٢٨ - ٢٩.

(٧) كتاب الانبياء ٤: ٢٠٨، ط.
شكول.

(٨) فتح الباري (شرح
البخاري) ٦: ٣٦٤.

يُعلم. وذلك على الله عز وجل غير جائز»^(٩).

وروى ثقة الاسلام الكليني بإسناده الصحيح إلى الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له»^(١٠).

قال الشيخ ابو عبد الله المفيد: «المعنى في قول الامامية: بدا لله في كذا، أي ظهر له فيه، ومعنى ظهر فيه ظهر منه، وليس المراد منه تَعَقُّبُ الرأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه. وجميع أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه، بعد أن لم تكن، فهي معلومة فيما لم يزل. وإنما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره ولا في غالب الظن وقوعه، فأما ما علم كونه وغلب في الظن حصوله فلا يستعمل فيه لفظ البداء».

وقال في قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾: «يعني به: ظهر لهم من أفعاله تعالى بهم ما لم يكن في حساباتهم وتقديرهم»^(١١).

وللعلامة المجلسي - في شرحه على الكافي، وكذا في بحاره - بحث تفصيلي عن مسألة البداء، على ما ورد في صحيح الأخبار عن الأئمة الأطهار^(١٢)، وكذا السيد عبد الله شبر في مصابيح الانوار^(١٣)، وكذا غيرهما من الاعلام. وسنورد مقتطفات من إفاداتهم الزاهية.

البداء في معناه الممتنع على الله:

البداء في حقيقته: نشأة رأي جديد، وهو عبارة عن تجدد رأي لم ي . من ذي قبل، لأسباب دعت إلى هذا التجدد، وهو في الغالب جهلٌ بواقع الأمر انكشف لحينه، الامر الذي يستدعي حصول العلم بشيء أو أمر كان خافياً قبل ذلك. ومن ثمّ كان مستحيلاً عليه تعالى، الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، ولم يزل عالماً بالأشياء قبل وجودها: ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء﴾^(١٤).

وإلى ذلك اشار شيخنا المفيد بقوله: «وجميع أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه، بعد أن لم تكن فهي معلومة له تعالى فيما لم يزل...».

وهكذا فيما جاء عن الامام الصادق عليه السلام «ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل

(٩) النهاية ١: ١٠٩.

(١٠) الكافي ١: ١٤٨. وصحح المجلسي أسناد الحديث في شرحه مرآة العقول ٢: ١٤٠.

(١١) تصحيح الاعتقاد: ٢٥.

(١٢) مرآة العقول ٢: ١٢٣ - ١٤٨، والبحار ٤: ٩٢ - ١٣٤.

(١٣) مصابيح الأنوار في حلّ

مشكلات الاخبار ١: ٣٣ - ٤٧.

(١٤) يونس: ٦١.

أن يبدو له.

وقال: «إن الله لم يبدو له من جهل» (١٥).

(١٥) الكافي ١٤٨:٩

وقال عليه السلام: «من زعم أن الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فابراً أو منه» (١٦).

(١٦) بحار الأنوار ٤: ١١١.

وقال: «من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو كافر بالله العظيم» (١٧).

(١٧) المصدر السابق: ١٢٥.

وروى الكليني في الصحيح بإسناده عن منصور بن حازم، قال: «سألت أبا

عبد الله عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا. من قال هذا

في الهامش.

فأخزاه الله. قلت: أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، أليس في علم الله؟

(١٨) الكافي ١٤٨:٩.

قال: بلى، قيل أن يخلق الخلق» (١٨).

البداء في معناه الجائز على الله:

وللعلماء في توجيه البداء المنسوب إلى الله آراء ونظرات سوف نشرحها،

وتتلخص في تعليق مشيئته تعالى على شرط كان تحققه رهن اختيار الانسان.

فإذا اختار الانسان فعله، تعلقت مشيئته تعالى بإيجاده.

مثلاً إذا كان تقدير الشيء -حسب طبعه الأولي- وقوعه في وقت كذا وعلى

صفة كذا، ولكن مشروطاً بعدم طرؤ حالة كذا، وكان طرؤ تلك الحالة منوطاً

باختيار الانسان، إن شاء فعله أو لم يفعله، فإذا فعله انقلب التقدير إلى غير

التقدير الاول، ليقع في وقت آخر وعلى صفة اخرى.

فإن كان من طبع زيد أن يعيش مدة خمسين سنة، كان هذا مقدار عمره في

التقدير الاول، ولكن مشروطاً بما إذا لم يصل رحمه، أما إذا وصل رحمه، فإن

الله تعالى يزيد في عمره إلى سبعين سنة مثلاً، أو إذا لم يقطع رحمه، أما إذا قطع

رحمه، فإن الله تعالى ينقص من عمره عشرين سنة.

فقد صح القول -عند طرؤ الحالة الكذائية- أن الله قد بدا له، أي قدر تقديره

يخالف التقدير الاول، وهو من البداء الجائز على الله الذي لا يتنافى وعلمه

الازلي القديم، حيث كان يعلم تعالى بوقوع الشرط أو عدم وقوعه، وكان

التقدير الاول حسب الطبع الذاتي، والتقدير الآخر حسب الحالة الطارئة، وليس

تبديلاً في الرأي ولا تجديداً في العلم.

وبذلك يستحكم سلطانه تعالى في الخلق والتقدير، وتكون يده تعالى مبسطة يفعل كيف يشاء، وحيثما تقتضيه حكمته في الابداع والايجاد. كما أن ذلك يضمن للانسان حريته في الاختيار، وأنه الذي يعيّن مصيره في الحياة بنفسه، وليس مقهوراً بما قدرته يد التقدير الاول. فمسألة البداء بهذا المعنى، كافلة الشمول لسلطانه تعالى، وللانسان حريته في الاختيار.

الامر الذي تبتنى عليه أسس العقيدة الاسلامية في عموم القدرة وشمول المشيئة ومباني التكليف في الحرية والاختيار، فما أوفاه من أصل ركين في مباني الشريعة والدين.

ومن ثم ورد في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ما عظم الله بمثل البداء» و «ما عبد الله بشيء مثل البداء» (١٩).

١٤٦

آراء وتأويلات:

بعد ورود نسبة البداء اليه تعالى في القرآن والحديث، وعدم جواز حمله على معناه حقيقة فما وجه التأويل؟

قال الصدوق: «ليس البداء كما يظنه جهال الناس بداء ندامة، تعالى الله عن ذلك، ولكن يجب علينا أن نقرّ الله عزوجل بأن له البداء معناه: أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء، ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره» (٢٠). أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرايع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها. ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت ما إلا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك، ويعلم أن في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم. فمن أقرّ الله عزوجل بأن له أن يفعل ما يشاء، ويعدم ما يشاء، ويخلق مكانه ما يشاء، ويقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويأمر بما يشاء كيف يشاء، فقد أقرّ بالبداء.

قال: «والبداء، هو ردّ على اليهود، لأنهم قالوا: إن الله قد فرغ من الأمر، فقلنا:

(٢٠) لعل كلامه هذا ناظر إلى ما نقل عن الحسين بن الفضل في تفسير قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ قال: «هي شؤون يُبديها، لا شؤون يبتديها». (فتح الباري ١١: ٤٣١).

وقال العلامة المجلسي: «ليس غرض الصدوق أن البداء مشتق من المهور، وإنما أراد أن هذا مما يتفرع على البداء» (بحار الانوار ٤: ١٠٩).

إنَّ الله كل يوم في شأن، يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء».

ثم اخذ في تفسير البدء، وأنه ليس من ندامة، كما هي حقيقته العرفية، بل البدء بالنسبة إليه تعالى هو نفس الظهور أي التحقق في الوجود العيني، من غير أن يكون خافياً عليه تعالى. وهذا الظهور إنما هو بظهور سببه المقتضي لتغيير المشيئة بشأنه ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾.

أي يغير القضاء حسب تغيير مشيئته ومعلوم أن مشيئته تعالى إنما تكون وفق المصالح الواقعية المتغيرة بالذات، ومن ثم وردت الروايات عن أئمة الهدى أنَّ المشيئة مُحدثة (٢١).

(٢١) التوحيد للصدوق: ٢٣٥ -

٢٣٦، والرواية صحيحة

الاسناد متفق عليها.

قال الصدوق في ذلك: «والبدء ليس من ندامة، وإنما هو ظهور امر. تقول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي ظهر. قال الله عز وجل: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٢٢)، أي ظهر لهم. ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبده صلةً لرحمه زاد في عمره، ومتى ظهر له منه قطيعةً لرحمه نقص من عمره، ومتى ظهر له من عبده اتیانُ الزنى نقص من رزقه وعمره، ومتى ظهر له منه التعفُّف عن الزنى زاد في رزقه وعمره» (٢٣).

(٢٢) الزمر: ٤٧.

(٢٣) التوحيد: ٢٣٥ - ٢٣٦.

وبهذا البيان ظهر أن البدء بشأنه تعالى إنما هو نفس الظهور له، وهو ظهور المصالح والمقتضيات الموجبة لتغيير مشيئته تعالى، التابعة للمصالح الكامنة وراء الأمور. وعلى حسب تغيير المصالح يتغير التقدير والتدبير بشأن الأمور.

ونقل شيخنا المفيد عن بعض اصحابنا الامامية، أن اطلاق البدء على فعله تعالى إنما كان على وجه الاستعارة والمجاز، وليس على حقيقته. وهذا كإطلاق سائر الصفات عليه تعالى، تشبيهاً بمن يحمل مبادئ هذه الصفات، والتشبيه إنما جاء من قبل النتائج والآثار، حيث قالوا - في صفاته تعالى ولاسيما في صفاته الفعلية -: خذ الغايات وارك المبادئ.

قال: «وقد قال بعض اصحابنا: إن لفظ البدء أطلق في اصل اللغة على تعقُّب الرأي والانتقال من عزيمة إلى عزيمة، وإنما أطلق على الله تعالى وجه الاستعارة، كما يطلق عليه الغضب والرضا مجازاً غير حقيقة» (٢٤).

(٢٤) رسالة تصحيح الاعتقاد:

فاتصافه تعالى بالبداء - كاتصافه بالرضا والغضب وسائر صفات الفعل، بل صفات الذات أيضاً - إنما هو بالنظر إلى غايات هذه الصفات وآثارها المترتبة عليها، أما مبادئ هذه الصفات فتعالت ذاته المقدسة أن تتصف بها أي تحملها، حتى ولو كان بنحو الاتحاد العيني - حسبما أوّله أرباب الكلام - فقد تنزه تعالى عن اتصاف مبادئ هذه الصفات، وإنما يفعل ما يفعله المتصف بها، فهو تشبيه ومجاز، تشابهاً في النتائج والآثار.

قال الامام امير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الشأن: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف انه عين الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد شابه...» (٢٥).

فيجوز وصفه تعالى بأي وصفٍ وَصَفَ به نفسه مما جاء في الأثر الصحيح (الكتاب والسنة)، لكن لا بمعنى أنه تعالى يحمل مبادئ هذه الصفات - سواء في صفات الذات وصفات الفعل - بل بمعنى ترتب الآثار والغايات الملحوظة في هذه الصفات.

وهكذا في مسألة البدء والنسخ، إنما يفعل تعالى فعل من يبدو له قياتي بأمر جديد لم يكن بحسبان الناس، لكنه ليس جديداً بالنسبة إليه تعالى العالم في الازل.

لكن شيخنا المفيد - مع احترامه لهذا الرأي وقبوله هذا التأويل في مطلق صفاته تعالى - لم يرقه هذا التأويل بشأن البدء والنسخ هنا، ورجّح تفسير البدء بالظهور، ظهوراً في ذات الأشياء لا ظهوراً في علمه تعالى.

قال: «وإنّ هذا القول لم يضر بالمذهب، إذ المجاز من القول يطلق على الله تعالى فيما ورد به السمع، وقد ورد السمع بالبدء على ما بيّنا، والذي اعتمدناه في معنى البدء أنه الظهور، على ما قدمت القول في معناه، فهو خاص فيما يظهر من الفعل الذي كان وقوعه يبعد في النظر (الظن) دون المعتاد».

ثم قال في معنى البدء: «فالمعنى في قول الامامية: بدا الله في كذا، أي ظهر له فيه، ومعنى ظهر فيه أي ظهر منه» (*). وليس المراد منه تعقّب الرأي ووضوح امر كان قد خفي عنه. وجميع افعاله تعالى الظاهرة في خلقه، بعد أن

(٢٥) نهج البلاغة، الخطبة ١.
وفي الكافي ١: ١٤٠: «وكمال توحيد نفي الصفات عنه»

(*) الضمير يرجع إليه تعالى، أي ظهر منه تعالى أمر في ذلك الشيء.

لم تكن، فهي معلومة (له) فيما لم يزل. وإنما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره ولا في غالب الظن وقوعه، فأما ما علم كونه وغلب في الظن حصوله، فلا يستعمل فيه لفظ البداء» (٢٦).

(٢٦) تصحيح الاعتقاد: ٢٥.

أراد الله أن معنى البداء بشأته تعالى في قولهم: بدا لله في كذا، هو ظهور فعله تعالى في شيء ظهوراً لم يكن بالحسبان، وإن كان ظهوره لهذا الوقت معلوماً له تعالى في الازل.

ثم بين الله أن التقدير في الاشياء - أزلًا - ضربان: تقدير حتم وتقدير مشروط، أما الحتم فهو الذي سيكون، وقد علم الله، أن سوف لا يعترض طريق تحققه شيء لا محالة. وأما المشروط فهو المعلق على شرط إن تحقق وقع والا لم يقع، وإن كان الله تعالى يعلم بتحقق الشرط خارجاً أو عدم تحققه. الامر الذي يخفى على غيره، فيرون في ظاهر الأمر خلاف ما كمن من التقدير.

فإذا تحقق الشرط وتغيرت الامور عن مجاريها الأولية، حسبوها تغييراً في التقدير، غير أن الشرائط تغيرت وظهرت من المصالح والمقتضيات ما يستدعي تغييراً في ظاهر التقدير، أما في واقعه الذي هو أم الكتاب، فكان معلوماً له تعالى في الازل، فلم يحصل تغيير في علمه تعالى وإنما حصل في مشيئته، وهي ارادته الفعلية التي هي من صفات الفعل المتجددة حسب تجدد المصالح والمقتضيات.

قال الله: «وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط، فيتغير الحال فيه. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ (٢٧)، فبيّن أنّ الآجال على ضربين، ضرب منها مشترط يصحّ فيه الزيادة والنقصان. الا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ (٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (٢٩)، فبيّن أن آجالهم كانت مشترطة في الامتداد بالبر، والانقطاع بالفسوق. وقال تعالى فيما خبر به عن نوح عليه السلام في خطابه لقومه: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً﴾ يرسل السماء عليكم مدراراً (٣٠) فاشترط لهم في مدّ الأجل وسبوغ النعم الاستغفار، فلما لم يفعلوه قطع آجالهم وبتر أعمارهم واستأصلهم بالعذاب.

(٢٧) الانعام: ٢.

(٢٨) فاطر: ١١.

(٢٩) الاعراف: ٩٦.

(٣٠) نوح: ١٠ - ١١.

قال: «فالبداء من الله تعالى يختص ما كان مشروطاً في التقدير، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة، ولا من تعقّب الرأي. تعالى الله عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً» (٢١).

* * *

قلت: وبهذا المعنى جاءت الاحاديث عن اهل البيت عليهم السلام، فقد روى الكليني بإسناده الصحيح إلى حمزان بن أعين قال: «سألت ابا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلاً واجلاً مسمى عنده﴾ (٢٢) قال: هما أجلان: اجل محتوم واجل موقوف» (٢٣).

(٢٢) الانعام: ٢.

(٢٣) الكافي ١: ١٤٧.

وأيضاً بإسناده إلى الفضيل بن يسار، قال: «سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: من الامور امور موقوفة عند الله، يُقدّم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء» (٢٤).

(٢٤) المصدر السابق.

وروى المفيد - في اماليه - بإسناده عن ابي جعفر عليه السلام، قال: «... وامر موقوف لله تعالى فيه المشيئة، يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء. وهو قوله تعالى: ﴿يحيي الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾» (٢٥).

(٢٥) بحار الانوار ٤: ١٠٢.

* * *

وعليه فالبداء بشأته تعالى بداء في ظاهره، أي ظهور فعله تعالى في مورد لم يكن بالحسبان ظهوره، حيث خفاء الأسباب والعلل المتجددة (الطارئة على خلاف المجاري الاولى) على غيره تعالى، فيبدو من فعله تعالى ما لم يكن في الحسبان.

فلم يكن بداء في رأي (أي تغيير في عزيمة) ولا تجدد في علم، وإنما هي مشيئة تعالى تتجدد حسب تجدد المصالح والمقتضيات. والمشيئة من صفات الفعل غير الأزلية.

والبداء في المشيئة أي التجدد فيها، كان لازم طبعها بعد أن كانت صفة حدوث: «يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد». فمعنى بدا لله في كذا: تغيرت مشيئته فيه، ومعنى تغيرت: حدثت على خلاف المجاري الأولى، حيث خفاء ما يتجدد

من المصالح والمقتضيات على غيره تعالى. فلا يزال التقدير والتدبير يتجددان حسب تجدد المصالح والمقتضيات. وإنما يوصف بالبداة ما لم يكن بالحسبان تقديره ولا في غالب الظن تدبيره.

* * *

ولم يختلف ما ذهب اليه المفيد عما ذهب اليه الصدوق إلا في جانب متعلق بالظهور، فكان ما يبدو له تعالى أي يظهر له، عند الصدوق، هي نفس العلل والمقتضيات. أما عند المفيد فهي نفس أفعاله تعالى الظاهرة على خلاف الحسبان، وإن كان في المآل يرجع هذا الظهور غير المترقب الى ظهور العلل والاسباب الكامنة وراء الامور، أي تجددها وتغيرها الموجبين لتغيير مشيئته تعالى وحدثها على خلاف الانتظار.

* * *

هذا، ولكن هنا وجه آخر يفسر البداة تفسيراً يتوافق مع معناه الظاهري، وهو التجدد في العلم، أي حدوثه بعد أن لم يكن، وذلك أن علمه تعالى بذوات الأشياء علماً فعلياً، إنما يتحقق بتحقيق الأشياء أي ظهورها على صفحة الوجود، ظهوراً بالعين، وإن كانت قبل ذلك ظاهرة له تعالى، لكن ظهوراً بالوصف (بوصف أنه سيوجد) لا ظهوراً بالعين وتحققاً بالذات.

وهذا الوجه ذكره الشريف المرتضى حسبما نقل عنه الشيخ.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي - بعد أن ذكر أن البداة حقيقة في الظهور، وقد يستعمل في العلم بالشيء بعد أن لم يكن حاصلاً وكذلك في الظن. فأما إذا أضيف إلى الله تعالى، فمنه ما يجوز إطلاقه عليه، ومنه ما لا يجوز. فأما ما يجوز من ذلك فهو ما أفاد النسخ بعينه، ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التوسع. وعليه يُحمل ما ورد عن الصادقين (عليه السلام) من الاخبار المتضمنة لإضافة البداة اليه تعالى، دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن، ويكون

وجه اطلاق ذلك فيه تعالى والتشبيه، هو أنه إذا كان ما يدل على النسخ يظهر به للمكلفين ما لم يكن ظاهراً لهم، ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلاً لهم، اطلق على ذلك لفظ البداء - .

بعد أن ذكر ذلك قال: «وذكر سيدنا الأجل المرتضى قدس الله روحه وجهاً آخر في ذلك، وهو أن قال: يمكن حمل ذلك على حقيقته بأن يقال: بدا له تعالى بمعنى أنه ظهر له من الامر ما لم يكن ظاهراً له، وبدا له من الامر والنهي ما لم يكن ظاهراً له، لأن قبل وجود الامر والنهي لا يكونان ظاهرين مُدركين، وإنما يعلم أنه يأمر أو ينهى في المستقبل، فأما كونه أمراً أو ناهياً فلا يصح أن يعلمه إلا إذا وجد الامر والنهي.

وجرى ذلك مجرى أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾^(٣٦) بأن نحمله على أن المراد به: حتى نعلم جهادكم موجوداً، لأن قبل وجود الجهاد لا يعلم الجهاد موجوداً، وإنما يعلم كذلك بعد حصوله. فكذا القول في البداء.

قال الشيخ: وهذا وجه حسن جداً^(٣٧).

وهذا الذي ذكره السيد، وإن كان لا يبعد كثيراً عما ذكره الشيخان الصدوق والمفيد، إلا أنه لا يستدعي تجوزاً في اللفظ، ولا ابتعاداً عن متفاهم اللغة والاستعمال، ذلك الابتعاد.

إن - عليه - يكون البداء مستعملاً في نفس معناه: الظهور، ظهور الشيء له تعالى بمعنى وجوده من كتم العدم وحضوره لديه تعالى، بعد أن كان خافياً أي مستتراً بغياهب العدم المحض.

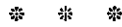
وكل ما يوجد فهو حاضر لديه تعالى، وعلمه تعالى بالأشياء إنما هو بمعنى حضور ذواتها لديه وكونها بمحضره تعالى. أما الذي لم يخرق غياهب العدم ولم يتحلّ بولية الوجود، فهو غير حاضر لديه ولم يحظ بشرف الوجود أي البروز والظهور من كتم الخفاء والاستتار.

نعم علمه تعالى بالأشياء قبل وجوداتها كان لازماً، كعلمه بها بعد وجوداتها، إن الحاجب الزمني ليس بحاجب بالنسبة إلى من لا يحدده الزمان. فقد تعلّق

(٣٦) محمد: ٣٦. والوجه الآخر هو حمل الآية على ارادة: حتى يعلم المؤمنون.

(٣٧) بحار الانوار ٤: ١٢٥ - ١٢٦. نقلاً عن عدة الاصول للشيخ.

علمه تعالى بالأشياء قبل وجوداتها وبعد وجوداتها على حدٍ سواء.
سوى أن هذا العلم بالنسبة إلى ذوات الأشياء - أي نفس المعلومات
المتعلقات لعلمه تعالى - يختلف وجهه وعنوانه، فهو بالنظر إلى ما قبل الوجود
علم بأنه سيوجد، وبالنظر إلى ما بعد الوجود علم بذات الموجود أي الموجود
ذاته. وهناك فرق بين العلم بما يكون، والعلم بما هو كائن؛ لأن العلم بما
سيكون علم تعلق بوصف الشيء الآتي، أما العلم بالكائن الموجود فهو علم
تعلق بذات الشيء وعينه. وفرق بين العلم بالوصف والعلم بالعين.



والإلى هذا المعنى ينظر ما ورد من آيات تنفي علمه تعالى بشيء، أو ليحصل
علمه بشيء إذ نفي علمه تعالى بشيء، معناه: نفي وجود ذلك الشيء وأنه لم
يحظ بحلية الوجود، كما أنَّ إرادة حصول علمه تعالى بشيء، هي عين إرادة
وجود ذلك الشيء، ومنحه للتشرف بالحضور لديه تعالى.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا
ويتخذ منكم شهداء﴾ (٣٨): «المراد ظهور إيمان المؤمنين بعد بطونه، فإن علمه
تعالى بالحوادث والأشياء في الخارج عين وجودها فيه، فإن الأشياء معلومة له
تعالى بنفس وجودها، لا بصورها المأخوذة منها - كما في علومنا وإدراكاتنا -
ولازم ذلك أن تكون إرادته تعالى العلم بشيء هي إرادته تحققه وظهوره».

قال: «وحيث قال تعالى: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا...﴾ فأخذ وجودهم (أي
وجود اشخاصهم) محققاً أفاد ذلك إرادة ظهور إيمانهم. وإذا كان ذلك على سنة
الأسباب والمسببات لم يكن بد من وقوع أمورٍ توجب ظهور إيمان المؤمن بعد
خفائه» (٣٩).

وقال الطبرسي: «وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما
يعلمهم بعده، فإنما يعلم قبل الإظهار أنهم سيميزون، فإذا أظهره علمهم
متميزين. ويكون التغيير حاصلاً في المعلوم لا في العالم، كما أن أحدنا يعلم
الغد قبل مجيئه على معنى أنه سيجيء، فإذا جاء علمه جائئاً وعلمه يوماً لا غداً،

(٣٨) آل عمران: ١٤٠.

(٣٩) الميزان ٤: ٣٨.

فإنما انقضى فإنما يعلمه امس لا يوماً ولا غداً، ويكون التغيير واقعاً في المعلوم لا في العالم.

وقيل معناه: وليعلم اولياء الله الذين آمنوا، وإنما اضيف إلى نفسه تفخيماً. وقيل معناه: ليظهر المعلوم من صبر من صبر وجزع من جزع وإيمان من يؤمن. وقيل: ليظهر المعلوم من الاخلاص والنفاق» (٤٠).

(٤٠) مجمع البيان ٢: ٥١٠.

(٤١) البقرة: ١٤٢.

وهكذا قال الطباطبائي في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ (٤١): «المراد بقوله ﴿لنعلم﴾ إما علم الرسل والانبياء مثلاً ... وإما العلم العيني الفعلي منه تعالى، الحاصل مع الخلقة والايجاد، دون العلم قبل الايجاد» (٤٢).

(٤٢) الميزان ٨: ٣٢٧.

وعلى هذا السبيل ورد قوله تعالى: ﴿ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ (٤٣) قال الطبرسي: «أي يتميز المجاهدون في سبيل الله من جملتكم والصابرون على الجهاد.

(٤٣) محمد: ٣١.

وقيل معناه: حتى يعلم اولياؤنا المجاهدين منكم. واطافة إلى نفسه تعظيماً لهم وتشريفاً... وقيل: معناه: حتى نعلم جهادكم موجوداً، لأن الغرض أن تفعلوا الجهاد... ﴿ونبلو أخباركم﴾ أي نختبر اسراركم بما تستقبلونه من أفعالكم» (٤٤).

(٤٤) مجمع البيان ٩: ١٠٦.

١٠٧.

وقوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (٤٥). قال الطبرسي: «أي ولما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم، ويصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال. وإنما جاز ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ على معنى نفي الجهاد دون العلم، لما في ذلك من الايجاز في انتفاء جهادهم، لأنه لو كان لعلمه وتقديره: ولم يكن المعلوم من الجهاد الذي اوجب عليكم، لأن المعنى مفهوم لا يشتبه» (٤٦).

(٤٦) مجمع البيان ٢: ٥١١.

وقوله تعالى: ﴿وما اصابكم يوم التقى الجمعان فياذن الله وليعلم المؤمنين﴾ وليعلم الذين تافقوا» (٤٧). قال الطبرسي: «معناه: ليميز المؤمنين من المنافقين، لأن الله عالم بالاشياء قبل كونها، فلا يجوز أن يعلم عند ذلك ما لم يكن عالماً به، إلا أن الله اجري على المعلوم لفظ العلم مجازاً، أي ليظهر المعلوم من المؤمن

(٤٧) آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧.

والمناقق» (٤٨).

(٤٨) مجمع البيان ٢: ٥٣٣.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ (٤٩).

(٤٩) التوبة: ١٦.

قال الطبرسي: «معناه: ولما يظهر ما علم الله... فذكر نفي العلم، والمراد نفي

المعلوم، تأكيداً للنفي» (٥٠).

(٥٠) مجمع البيان ٥: ١٢.

وهكذا في قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ (٥١).

(٥١) المائدة: ٩٤.

قال الطبرسي: «وقيل: ليعلم وجود خوف من يخافه بالوجود، لأنه لم يزل

عالمًا بأنه سيخاف، فإذا وجد الخوف علم ذلك موجوداً، وهما معلوم واحد وإن

(٥٢) مجمع البيان ٣: ٢٤٤.

اختلف العبارة عنه، فالحدوث إنما يدخل على الخوف لا على العلم» (٥٢).

(٥٢) الحديد: ٢٥.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ﴾ (٥٣)، أي ليعلم

(٥٤) مجمع البيان ٩: ٢٤١.

الله نصرة من ينصره موجودة، وجهاد من جاهد مع رسوله موجوداً (٥٤).

(٥٥) الجن: ٢٦-٢٨.

وقوله: ﴿عَالَمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَا ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ

يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصْدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَاحِاطَ بِمَا

لَدَيْهِمْ وَاحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (٥٥).

(٥٦) مجمع البيان ١٠: ٣٧٤.

قال الطبرسي: «عن الزجاج: ليعلم الله أن قد أبلغوا... وقيل معناه: ليظهر

المعلوم على ما كان سبحانه عالماً ويعلمه واقعاً كما كان يعلم أنه سيقع» (٥٦).

(٥٧) سبأ: ٢١-٢٢.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّيهِ الْآخِرَةَ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي

شَكٍّ وَرَبِّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٥٧): «المعنى: أنا لم نمكته من إغوائهم

ووسوستهم إلا لنميز بين من يقبل منه ومن يمتنع ويأبى متابعتة... فعبر عن

التمييز بين الفريقين بالعلم، وهذا التمييز متجدد، لأنه لا يكون إلا بعد وقوع ما

(٥٨) مجمع البيان ٨: ٣٨٨-٣٨٩.

يستحقون به ذلك، وأما العلم فبخلاف ذلك، فإنه سبحانه كان عالماً بأحوالهم

وبما يكون منهم فيما لم يزل» (٥٨).

(٥٩) الكهف: ١٢.

وكذلك قال في قوله تعالى بشأن أصحاب الكهف: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا

وَوَعَدْنَا الْغَائِبِينَ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَوَعَدْنَا الْمُؤْمِنِينَ الْوَعْدَ الْحَقِّ﴾ (٥٩): «أي ليظهر معلومنا على ما علمناه» (٦٠).

(٦٠) مجمع البيان ٦: ٤٥٢.

وذكر الامام الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿الْآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ

(٦١) الانفال: ٦٦.

فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ (٦١) أن المتكلمين قالوا بأن معنى الآية: أنه تعالى قبل حدوث

الشيء لا يعلمه حاصلاً واقعاً، بل يعلم منه أنه سيحدث. أما عند حدوثه ووقوعه، فإنه يعلمه حادثاً واقعاً. فقوله: ﴿الآن خَفَّ الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ معناه: أن الآن حصل العلم بوقوعه وحصوله، وقبل ذلك فقد كان الحاصل هو العلم بأنه سيقع أو سيحدث (٦٢).

(٦٢) التفسير الكبير ١٥: ١٩٦.

وبذلك نعرف معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾ (٦٣).

(٦٣) يونس: ١٨.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَنْبِئُونَهُ بما لا يعلم في الأرض أم بظواهر من القول﴾ (٦٤).

(٦٤) الرعد: ٣٣.

إذ نفي علمه تعالى كناية عن عدم الوجود، إذ لو كان لكان وعلمه تعالى. قال الطبرسي: «معناه: أنه ليس، ولو كان لَعَلَّم» (٦٥).

(٦٥) مجمع البيان ٥: ٩٨ و ٣٩٥.

والذي نستخلصه من مجموعة هذه الآيات هو أن علمه تعالى بالأشياء أو بالأمور، وإن كان ازلاً ومن غير اختلاف بالنسبة إليه سبحانه، لكنه بالنظر إلى تعلقاته التي هي اضافات خاصة، كان مختلفاً تعلقاً، فعلمه تعالى بالشيء قبل وجوده، علم تعلق بوصف الشيء وهو أنه سيوجد، وأما علمه تعالى المتعلق بذات الشيء فهو الذي يتحقق بتحقيق الشيء وبعد افاضة الوجود عليه. ومن ثم كان علمه تعالى بالشيء مساوياً لوجود ذلك الشيء، فمتى وجد عُلِمَ، وما لم يوجد لم يعلم، لأنَّ الوجود - في حقيقته - ظهور، والظهور عبارة عن الحضور في محضر الحق تعالى، كما أن علمه تعالى بالأشياء أيضاً عبارة عن حضور الأشياء لديه، ومن ثم تساوى العلم والوجود. تحقّقاً وتشخّصاً بالنسبة إلى ساحة القدس تعالى وفي عرصات صفحة الوجود.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرْزُقْ عَالَمِي
مِنْ رَوْفِ عِنْدِ الشَّهْرِ

١٩٦٥ - ١٤٠٦

تأثير المصباح النبوي في العقيدة والسلوك

دراسات

✽ النيل عبد القادر

أبو قرون

(السودان)

الحمد لله الذي حمد نفسه في قوله جل وعلا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، فلا فضل لحمد حامد بعده، ولا حول ولا قوة إلا بالله القوي المتين، الأول قبل كل شيء والآخر بعد فناء كل شيء الغني عن العالمين .



وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الوجود والايجاد والتكوين، المتفرد بالعظمة والكبرياء في الدارين، بديع السموات والأرض الذي بدأ خلق الانسان من طين، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة لقوم عابدين، فالحب والنوى والاصباح المبين.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وأعلم الخلق أجمعين، سيد ولد آدم ويوم الدين، صاحب الشفاعة العامة لكل الخلق يوم يقوم الناس لرب العالمين، والشفاعة الخاصة لأحبابه من أمتة من المسلمين، فيخرج من النار من وجبت له من أهل الكبائر المذنبين، إذ هو الرحمة المهداة التي يتغمد الله بها عباده المؤمنين ليدخلهم الجنة مكرمين، إذ لا يدخل أحد الجنة بعمله كما قال الصادق الأمين سيدنا محمد عبدالله ورسوله ﷺ الطاهرين الطيبين وأصحابه الميامين.

يقول الرسول ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى تكون نفسي أحب اليه من نفسه،

وعترتي أحب اليه من عترته».

فارتبط الإيمان بمحبة النبي وآل بيته، والمحبة شعور يتملك الانسان يجبره على التوّد والتقرب لمحبيه بكل ما يعرف من السبل الممكنة له، فلا يجد المرء الراحة والسعادة إلا في ذلك، وينطمس في نظره كل صفة غير جمال محبوه وحسن خلقه وخلقه، فلا يراه إلا في أكمل ما يرى، ولا يجد السعادة إلا في رؤيته والاجتماع به.

وإذا تملك الانسان الحب ظهر عليه وأصبحت حاله تشير إلى ما هو عليه. قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «حبك الشيء يُعمي ويُصم»؛ وإذا غلب الحب على المرء فلا بد له من الافصاح عن حاله والتعبير الدال عليها، إذ قيل: «إذا فاض الجنان ظهر على اللسان» ولا بد أن يكون التعبير بأحسن ما يستطيع، فيذكر محبوه بأحسن العبارات وأحسن الصفات وأجود ما يكون من التعبير والنظم، فكان الأدب من أهم المؤثرات في الحياة.

وبما أن عدم محبة النبي وآل بيته تنفي الايمان وتدخل النار، لقول النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو أن أحدًا صَفَن بين الركن والمقام وصاى وصام ومات وهو مبغض لنا أهل البيت دخل النار» فقد بدا للعارفين خطورة ما عليه العوام من المسلمين، فعملوا لتحبيب النبي وآل بيته إلى الناس وذلك بالقيام بالاحتفالات في كل مناسبة خاصة بالنبي وآل بيته، وإحياء تلك المناسبات بالمدح لنشر السيرة العطرة في أوجز عبارة ممكنة وألطفها حتى يأخذها الناس دون جهد منهم، فيحفظوها ويتمثلوا بها وتثير فيهم الشوق الى الممدوح، فيزداد إيمانهم ويكونوا بذلك قد عبروا عما في نفوسهم، ووضعوا من تعبيراتهم المنظومة والمنثورة ما يحفظ للعامة إيمانهم بمحبة النبي وآل بيته، ولم يلتفتوا إلى من عارض المدح مهما كان محلّه من العلماء؛ فالعلم دون محبة النبي وآل بيته رياضة ذهنية لا تأتي بفائدة، وإلا كان إبليس من الناجين بعلمه، وكان بلعام بن باعوراء من الناجين وهو الذي قال فيه تعالى: ﴿الذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها﴾ فمثله الله بالكلب؛ فمن لم يكن علمه مقرونًا بالمحبة فقد أضله الله على علم، لأن الإيمان لا يكون إلا بالمحبة، بل لا يكون العلم علمًا نافعًا

إلا إذا أدى إلى محبة النبي وآل بيته.

وبذلك حفظت المدائح النبوية عقيدة الناس بتحييب النبي إليهم وهو أساس الإيمان، ونبتت الغافلين إلى تصحيح عقيدتهم، فإن من كره المدح كره الممدوح. ويرى بعضهم أن من منة الله عليه أن وهبه نعمة مدح المصطفى ﷺ، لأن الله سبحانه وتعالى مدحه في قوله جلّ وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾، والرسول ﷺ يقول: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»، فيرى أن مدحه للنبي تخلّقاً بأخلاق الله لا يضيف جديداً للذات الشريفة من حسن خلق وخلق لأنها أعظم من مدحه، فمدحه حقيقة عائد عليه بأنه أصبح أحد ما دحي رسول الله ﷺ.

وقد ثبت أن كعب بن زهير أنشد أمام رسول الله ﷺ في داخل مسجده بعد صلاة الفجر قصيدة مدحه بها، وكان الرسول قد سبق أن أهدر دمه فحفا عنه النبي ورفع عنه عقوبة الاعدام بل أهداه برده. وذكر في تلك القصيدة: إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول ولم ينكر عليه الرسول وصفه إياه بالنور. وفي الحديث المتفق عليه أن عمر ابن الخطاب وجد حسان بن ثابت ينشد في مسجد رسول الله ﷺ فنظر إليه فقال له حسان: «لقد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك».

يرى البعض في حديث «أحثوا التراب في وجوه المادحين» منعاً للمدح، وحادثة كعب بن زهير مع الرسول توضح غير ذلك، ولذلك فسّر هذا الحديث بعض العارفين بأن كلمة التراب كناية عن المال أي أجزلوا لهم العطاء، وقال بعضهم: «المادحين» في هذا الحديث تعني الذين يمدحون الملوك والرؤساء وأصحاب الأموال، وقال آخرون: إذا مدحت فخذ كفاً من تراب وقل لمادحك إنما أنا من تراب حتى لا تغتر.

ويرى آخرون في حديث: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم» منعاً للمدح، ولكن النصارى قالوا: عيسى ابن الله، أما المسلمون فلم يبلغوا حصر جزء من كمال حسن صفاته ﷺ، فلم يتجاوزوا الحق كالنصارى المغالين؛ فالمنع خاص بالكفر من القول في الإطراء، وقد ثبت أنه مدح بحضرته

وفي مسجده فأقرّ المادح وأهدى له وعفا عما كان عليه من عقوبة، ولذا قالوا مدح المصطفى يشفع للإنسان في الدنيا كما شفع لكعب بن زهير، وفي الآخرة، لأن المدح دليل على المحبة، والمحبة منجية لقول الرسول ﷺ: «المرء مع من أحب» ولو كان كنعيमान الذي كان يحذّره النبي في الخمر مراراً ويقول فيه: «لا أعلم إلا أنه رجل يحب الله ورسوله».

وقد لعب أدب المدائح في السودان دوراً كبيراً في نشر السيرة النبوية العطرة وسيرة المشايخ العاملين والعلماء الأجلاء، مما جعل أكثر أهل السودان على قدر كبير من العلم بالسيرة والسنة وأحكام الحج والصلاة والزكاة والواجب والمستحب وكثير من المسائل الفقهية، على رغم كبر مساحة الأمية في المجتمع؛ فيأخذ المريدون المستمعون للمدائح والقصائد منها ما يصلح من عقيدتهم وصلاح أعمالهم وإنهاض همهم في التوجه إلى الله.

وتبدأ القصيدة النبوية غالباً بشطر قصير، وهو الذي يردّده المنشد والمستمعون بعد كل بيت من بيوت القصيدة، وهو إما أن يكون صلاة على النبي مثلاً:

صلِّ يا قديم الذات على صاحب المعجزات دائماً
الناجي شاف الذات

أو يكون بذكر المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كقول الشاعر:

نعم العنى لك قام نوى يا أم قلة دوب الحسارك لي شوى
أو قد تكون بذكر ما يشير إلى المدينة أو إلى جهتها كقول الشاعر:

برق العقيق جرجر ليل يا ساري هل ما بي بيك جرا

وهذه تردد بعد كل بيت من بيوت القصيدة النبوية في حالة الإنشاد ثم تبدأ القصيدة في البيت الأول بذكر الله تعالى، وغالباً ما يكون دعاء، وقد حرصوا على ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله: ﴿قل ما يعبدكم ربى لولا دعاؤكم﴾ والرسول الأعظم عليه وعلى آله الصلاة والسلام يقول: «الدعاء مخ العبادة».

ثم يذكر في البيت الثاني النبي ﷺ ويشني عليه.

يفتح الشاعر إنشاده في قصيدة «صل يا قديم الذات» بالله في البيت الأول
ثم يدعو فيقول:

يا باقي غير جهات لنا يوت بالرحمة هات دائماً
آبانا وأمهات

نسلم من الشبهات ونسير كما النهات دائماً
الناجي شاف الذات

ثم يعرج في البيت الثاني على النبي ﷺ ويقول:
فسيق كامل الصفات سيد مكة وعرفات دائماً
ثن غير التفات

يوم الأمم صافات مضمون فيه الكفاة دائماً
الناجي شاف الذات

القصائد النبوية بعد ذكر الله والنبي في البيت الأول والثاني تستطرد في
ذكر السيرة العطرة من مولده ونشأته وصفاته ومعجزاته ﷺ، وبعد ذلك
تذكر الصحابة رضي الله عنهم ودورهم في نشر الاسلام، وبعد ذلك بيت
«البرق» وهو إشارة إلى جهة أرض الحجاز حيث تعلّق قلب الشاعر، وهو
إشارة كذلك للذي يقوم الليل ذاكراً لله.

ويدل على أن المؤلف ظلّ ليله كله ذاكراً لله ناظراً إلى جهة محبوبة حتى
يرى منها ما يشير إليها، فقد يخفف ما به من وجد إن رأى نوراً في جهة
محبوبة أو يشم ريحاً من جهته، فهذا البرق هو برق الحب والمحب كثير
السهاد كما قال الشاعر:

جهد الصباية أن تكون كما أرى عين مسهّدة وقلب يخفق
كما أن العطايا الإلهية ترتجى بقيام الليل؛ وكان التوجيه الإلهي للحبيب ﷺ:
﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ نصفه أو انتقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً *.

وقد مدح الله القائمين في الأسحار؛ قال تعالى: ﴿وبالأسحار هم
يستغفرون﴾ وبالأسحار ينجي الله عباده الصالحين؛ قال تعالى: ﴿إنا أرسلنا
عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾، وبالأسحار يهلك الله أعداء أوليائه:

﴿ أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾.

وقيام الليل عند أصحاب الحب الإلهي شرط، وهو أحد الأركان الأربعة:

الأول: الصمت إلا عن ذكر الله.

الثاني: العزلة أي الخلوة مع الله للتفكير في خلق السموات والأرض.

الثالث: الجوع الاختياري، لأن الرسول ﷺ ما شبع من طعام قط، وكان

يعصب الحجر على بطنه من الجوع، وهو الذي لو دعا الله أن تأتيه الجبال ذهباً

لاستجيب له، وما ذلك على الله بعزيز؛ وقد دعا للمطر فصب أسبوعاً كاملاً

حتى دعا مرة أخرى ليتوقف، ولكن كان يجوع اختياريًا.

ولذلك قال الشيخ الطيب بن البشير: «رأس مالنا الجوع».

الرابع: السهر وهو قيام الليل بذكر الله، وقد جمع هذه الأركان الشيخ

محيي الدين بن عربي في قوله:

بيت الولاية قسّمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال

ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه العالي

ولهم في رسول الله أسوة حسنة، وهو الذي قام من الليل حتى تورّمت

قدماه الشريقتان، بل يعملون جهدهم في إتقان التأسي به لأن العرفان هو

«التقيد بالكتاب والسنة»، فبمحبة النبي والاجتهاد في الاقتداء به في كل عمل

يقوم به المرء يرقى الإنسان إلى المراتب العلية الإيمانية، وكلما ارتقى الإنسان

عرف قدر من هو أرقى منه، وهو معلمه الأكبر.

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «يعثت معلماً». وقد يرتقي الإنسان

بإتقان العمل ظاهراً وباطناً باتّباع هدى النبي حتى يحبه الله فيكون سمعه الذي

يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يسعى بها.

فالبرق إشارة إلى هذا المعنى الكبير، فبالحب يكون الإنسان مع من أحب،

ثم تختم القصيدة النبوية بالصلاة على النبي متضمنة اسم المؤلف والدعاء له

وقد يخص المؤلف نفسه بالدعاء ببيت منفرد قبل الختم بالصلاة.

أما قصائد الذكر الاخرى فهي تذكر أحوال السلف الصالح وما وصلوا

إليه من العرفان، وتعتد مآثرهم وأمجادهم وما كانوا عليه من أعمال صالحة،

وما قدموه للأمة من اجتهاد في علم نافع في تربية النفوس وحسن المعاملة التي تعكس كريم الاخلاق، ليتأسى الناس بهم، وهي كذلك تبدأ بذكر الله أولاً والدعاء ثم الثناء على رسوله ﷺ؛ وتختلف عن القصيدة النبوية في أن ذكر الصحابة رضي الله عنهم يكون بعد الثناء على رسول الله ﷺ، في البيت الثالث وقبل ذكر الصالحين من السلف، أما في القصيدة النبوية فذكر الصحابة يكون بعد ذكر السيرة النبوية والمعجزات في آخر القصيدة، ويأتي بعد ذكر الصحابة ذكر السلف الصالح وأحوالهم وتنتهي بالصلاة على النبي ﷺ.

وهناك القصائد الرمزية في التوحيد والمحبة، وهي التي تغلب عليها الإشارة للطف الحال التي يراد التعبير عنها، ولدقتها وعمقها وخطر سوء فهمها، وهي ليست للعامة بل هي من المضمون به على غير أهله، لأنه ما حدث رجل قوماً بما لا تطيقه عقولهم إلا كان فتنة عليهم.

وقد قال عيسى عليه السلام: «لا تلقوا الدرر في وجوه الخنازير» ولذلك نجد في قصائد الذكر في الوجد والحب الإلهي ما يغلب عليه الإشارة والرمزية حتى لا يدركه إلا من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، فإن من العلم كهيئة المكنون، وقد جاء في حديث أبي هريرة في صحيح البخاري أنه أخذ من رسول الله ﷺ وعاءين من العلم قال: «أما أحدهما فقد بثثته لكم، وأما الآخر فلو بحت به لقطع مني هذا البلعوم» وروي عن علي زين العابدين ابن سيدنا الحسين بن علي عليه السلام أنه قال:

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستباح أناس مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ولذلك فإن معانيهم يرمزون إليها رمزاً ولا يبيحون بها حتى لا تستباح دماؤهم بسوء فهمها ولا يعقلها إلا العالمون؛ فمن كان له وسع لها قبلها وتلذذ بها، ومن قصر فهمه ووسعه عن جلال معانيها أنكرها وربما اتهم قائلها ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴿﴾ والناس درجات في علمهم ومقاماتهم ووسعهم: ﴿قد علم كل أناس مبشرهم﴾ وهم في فهمها بين معتقد ومنقذ: ﴿وتعيا أذن واعية﴾.

يقول أبو مدين الغوث:

ولا تلم السكران في حال سكره فقد رفع التكليف في سكرنا عنا
فهي حالة ذوق عال وسكر إلهي يغيب فيه العقل في الله عن الموجودات
ويعيش في شهود حقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله فلا يرى لنفسه فعلاً، فالفاعل
فيه وفي غيره هو الله، فلا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا بالله، فهو كأنه
في حالة فناء أو سكر أو غيبة عن فعل نفسه وعيره، وقد تصدر عنهم
الشطحات في هذه الحال، وهي كما يقولون كلمات يجريها الله على لسانهم
لغيبتهم عن سواه.

فالمدائح النبوية تحفظ لعوام المسلمين إيمانهم بتحييب رسول الله ﷺ
إليهم بذكر سيرته العطرة وحسن خلقه وخلقه ومعجزاته، وهي التي تنبه
الغافلين من العاملين إلى هذه الفريضة التي لا نجاة إلا بها، وهي المنهضة
للقابلين المجتهدين للتأسي برسول الله ﷺ، حتى يرتقوا إلى درجة المحبة
العالية التي يقول فيها ابن قيم الجوزية: «هي العقبة التي ينحدر منها على أودية
الفناء» أي الفناء في المحبوب فيكون سمعه وبصره ويده ورجله.

وقصائد الذكر هي التي توضح للسالكين والمريدين ما كان عليه السلف
من حسن الالتزام والتقيد بالكتاب والسنة، وسيرتهم ومدامتهم على الأنكار
وكيفية تعاملهم مع الحق والخلق، وما انتهجوا من طريق للوصول إلى ما
وصلوا إليه من مكانة سامية في العلم والعرفان وقيادة الناس إلى السعادة
الدنيوية والأخروية والاطمئنان القلبي، وبذلك تكون هذه القصائد نوعاً من
الإرشاد حتى في غياب الشيخ المربي.

وعلى الله قصد السبيل وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

الغزير المتغير

منه في كل وقت

٢

دراسات

* الدكتور

السيد زهير الأبرجي

(العراق)

النفس الانسانية والتغير الاجتماعي

ماذا يحصل للنفس الانسانية عندما يتم التغير الاجتماعي؟ إن التغير الاجتماعي يجلب دائماً تغييراً جذرياً في شخصية ومشاعر الفرد، لأن النفس الانسانية ما هي إلا نتاج التركيبة الاجتماعية؛ فالتغير في النظام الاجتماعي لا يجلب تغييراً في التركيبة الثقافية والاقتصادية والسياسية فحسب، بل يجلب تغييراً نفسياً للأفراد؛ وكأن انفسنا الداخلية ووضعنا الاجتماعي الخارجي على طرفي حبل يشد أحدهما الآخر. فالمأساة الدينية المهولة تشكل تصميماً وتشكيلاً جديداً لشخصيات الافراد، وما إن يعيش الافراد - نظرياً أو عملياً - واقعة مرعبة، إلا أن تضع تلك الواقعة بصماتها التأثيرية على سلوكهم الخارجي.



ولعل اهم أثر لواقعة الطف على النفس الانسانية في المجتمع الاسلامي، هو اشعار الافراد بضرورة نكران الذات، واهمية التجرد من المصالح الدنيوية الضيقة؛ وبذلك يصبح الموت هو الحرية الحقيقية التي تنقل الانسان إلى شاطئ السعادة الابدية.

وقد ضرب الامام الحسين عليه السلام مثلاً رائعاً في نكران الذات، وعكس صورة مشرقة عن دور التصميم والعزم والنية القاطعة في انجاز هدف المعصوم في الحياة؛ فقد حاول العديد من الافراد ثنيه عن المسير إلى العراق كابن الزبير^(١)، وابن عباس^(٢)، ومحمد بن الحنفية^(٣)، وعبد الله بن جعفر^(٤)، وعبد الله بن عمر^(٥) وغيرهم؛ لكنه ابى إلا أن يسير إلى مصرعه، وهو على علم بأنه لو كان في «جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوه حتى يقضوا فيه حاجتهم»^(٦).

وكان هذا الموقف البطولي المنقطع النظير وما تلاه من قتال واستشهاد قد غير الكثير من النفوس؛ فعبد الله بن الزبير يرثي الحسين عليه السلام ويقرر تحدي يزيد، ويقول في خطبة له: أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً؟! لا، ولا نراهم لذلك اهلاً. أما والله لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل. أما والله ما كان يبذل في القرآن الغناء، ولا البكاء من خشية الله الحياء، ولا بالصيام شرب الحرام^(٧).

ومع أن للزبير اهدافه السياسية واغراضه المعلنة، إلا أن الثورات التي توالى لا تدع مجالاً للشك بأن تصميم الامام الحسين عليه السلام نحو الاستشهاد من اجل تصحيح الوضع السياسي على ضوء الاسلام، كان من ثمراته تغيير رئيسي للنفس الانسانية؛ فما إن انتهت ثورة الحرمين حتى ثارت بعدها ثورات اخرى، كثورة التوابين (سنة ٦٥ هـ) في الكوفة، وثورة المختار (سنة ٦٦ هـ) التي قامت بقتل قتلة الحسين عليه السلام، وثورات العلويين كزيد الشهيد وابنه يحيى، وثورة العباسيين باسم الدعوة لآل محمد؛ وكل هذه الثورات كانت انعكاساً وأثراً من آثار استشهاد الامام الحسين عليه السلام.

ولا شك أن هذا اللون من ألوان نكران الذات الذي احدثته واقعة الطف، أضاف للنفس بُعداً جديداً في قبول شروط التغيير الاجتماعي؛ فتمرين النفس على التكيف لقبول التغيير الخارجي من خلال نكران الذات هو الذي يجعل الذات الانسانية تطمح لتقبل ذلك التغيير دون شروط مسبقة؛ فاصبحت النفس المتأثرة بثورة الحسين عليه السلام تصمم لإحداث التغيير الاجتماعي، بالقتال والجهاد

(١) تاريخ الطبري ٢١٦: ٦

(٢) تاريخ ابن الاثير ١٦: ٤

(٣) اللهوف: ٢٤ - ٢٥

(٤) تاريخ ابن كثير ١٦٧: ٨

(٥) تاريخ ابن عساكر ٦٤: ٥

(٦) تاريخ ابن الاثير ١٦: ٤

(٧) الديلموري، الاخبار

الطوال: ٢٦٣، وفتوح ابن اعثم

٢٦٢: ٥

وحرمان الذات، حتى يتحقق بناء النظام الاجتماعي الاسلامي بصورته الشرعية السماوية.

وبكلمة أخرى: إن ثورة الحسين عليه السلام حررت النفس الانسانية من الجمود والتحجر الذي تُرفض فيه كل الوان التغيير الاجتماعي؛ وقد ساعدت هذه الثورات الجماعية الافراد على معرفة جوانب من انفسهم، من خلال الاشتراك في المعاناة الجمعية، والتمرن على التحسس بضمير اسلامي موحد.

فالنفس الانسانية نفس اجتماعية بطبيعتها؛ فلا يستطيع الفرد أن يعيش منعزلاً عن الآخرين؛ فمجرد الولادة من ابوين بشريين لا يمنح الوليد اجازة الانتماء للانسانية، ما لم يتعلم السلوك الانساني عن طريق التعامل الاجتماعي مع بقية البشر. وبكلمة أخرى: إن السلوك الانساني هو سلوك مكتسب؛ وتعبير اوضح: إن النفس الانسانية هي محطة لتقبّل التغييرات الاجتماعية.

ولكن مع كل هذه التأثيرات الاجتماعية، إلا أن النفس الانسانية تبقى مستقلة عن الآخرين؛ فاكساب الثقافة والتعلم الاجتماعي يعطي الفرد فرصة لمعرفة نفسه الداخلية؛ وعلى ضوء تلك المعرفة يستطيع أن يحدد طبيعة دوافعه وطهارة نيته والتزاماته الاخلاقية مع نفسه ومع ربه. ولاشك أن النفس ما هي إلا جهاز للدراك والاحساس لطبيعة ذلك الانسان؛ ومعرفة الفرد لنفسه الداخلية يؤدي بالنهاية إلى معرفته لشخصيته الاجتماعية، ولموقفه الفكري والديني من التغييرات الاجتماعية.

ودراسة النفس الداخلية جذبت العديد من المفكرين في العالم لطرح نظرياتهم بهذا الخصوص؛ فالمفكر الأميركي (وليم جيمس) طرح في القرن التاسع عشر فكرة (النفس الاجتماعية)^(٨)، التي تتلخص بان للفرد الواحد نفسيات اجتماعية متباينة بتباين الافراد الذين يتعامل معهم في المجتمع الكبير؛ فمن خلال التفاعل الاجتماعي مع شرائح مختلفة من المجتمع يتقصد الفرد عدة شخصيات متباينة. إلا أن هذه النظرية لم تصمد امام فكرة (النفاق) التي فضحها الاسلام وأدانها؛ فالفرد، حسب الفكرة الدينية، ملزم بموازة توجهات نفسه الداخلية مع سلوكه الخارجي؛ فقد وضعت الرسالة الدينية

(٨) جون هيويت، النفس والمجتمع: التفاعل الرمزي والنفسية الاجتماعية، الطبعة الثالثة، بوستن: الين وبيكون، ١٩٨٣م

معياراً عظيماً لقياس ذلك التطابق وهو ضرورة وجود النية القلبية السليمة في أداء العمل.

وطرح (جارلس كولي) فكرة (النفس المرآتية)^(٩)؛ وهي الفكرة التي تقول بأن النفس الانسانية ما هي إلا مرآة لسلوك الآخرين؛ فكما نرى في المرأة صورة معكوسة للنشيء، كذلك نرى انفسنا صوراً معكوسة للتفاعلات الاجتماعية. وبموجب نظرية (جارلس كولي) فإن افكارنا عن انفسنا إنما تأتي من ثلاثة مصادر: الأول: تصوراتنا حول كيفية ظهورنا امام الناس. والثاني: كيفية التفكير بمحاكمتهم لظهورنا. والثالث: كمية الشعور المتراكم حول تلك العمليات. وبتعبير آخر: إن احساسنا حول انفسنا يتم خلال عمليات ميكانيكية متحركة أكثر مما هي عملية واحدة ثابتة؛ فهي تتطور كلما تفاعلنا مع الآخرين، وكلما تبدلت آراؤهم حولنا.

ولكن الرد على (جارلس كولي) يتلخص بالقول: إن تعريف النفس المرآتية لا ينطبق على نفسيات كل الافراد، فالانبياء والمعصومون عليهم السلام لا يملكون انفساً مرآتية بقدر ما يملكون أنفساً ربانية مرتبطة بالخالق عزّ وجلّ، لا تتأثر بالصورة المعكوسة للتصورات الاجتماعية؛ وإلا لو افترضنا وجود تلك الصورة المرآتية عند الامام الحسين عليه السلام، فإنها سوف لن تدعه يخوض معركة كربلاء ببسالة وبطولة منقطعة النظر؛ لأنه كان من المفترض - حسب عقيدة تلك النظرية - أن يلحظ حكم الناس على تصرفاته وافعاله، ولكنه عليه السلام كما نعلم كان اسماً واجلّ من ذلك.

وهذه النظرية تفشل، كما ترى، في تحليل النفس الانسانية للنبي أو الامام المعصوم، لأنها تفترض أن جميع الافراد عرضة للتغيير الاجتماعي بما يناسب آراء ونظرات الآخرين المتبدلة، إلا أن الانبياء والمعصومين عليهم السلام هم انفسهم مصادر التغيير الاجتماعي في مجتمعاتهم.

ولذلك حاول المفكر جورج ميد^(١٠) أن يطور افكار (جارلس كولي) بما يناسب التطور المستمر في تصميم النظريات الاجتماعية، ولمواجهة النظرية الدينية، فافترض أن الافراد يتعرفون على أنفسهم من خلال اقتباس ادوار

(٩) جارلس كولي، الطبيعة الانسانية والنظام الاجتماعي نيويورك: سكرابنر، ١٩٠٢م.

(١٠) جورج ميد، العقل، النفس، والمجتمع، شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٤٦م.

الآخرين؛ ولذلك فإنهم لا يرون أنفسهم مجردة، بل يرون أنفسهم في أذهان الآخرين.

وهذه الفرضية كسابقتها، تعجز عن تفسير دور الانبياء والائمة عليهم السلام في الحياة الانسانية؛ لأن النبي أو الامام لا يمكن أن يرى نفسه من خلال اقتباس ادوار الآخرين، وهو الذي جاء ليرشدهم إلى رسالة الدين وتنظيم الحياة الاجتماعية. إلا أن جانباً من هذه النظرية ينطبق فقط على بقية الافراد في المجتمع الانساني، من غير الانبياء والمعصومين عليهم السلام فقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ ^(١١)، يعني أن المؤمن يستطيع التعرف على نفسه من خلال اقتباس دور رسول الله صلى الله عليه وآله، والتماس خطاه صلى الله عليه وآله في السلوك الفردي والاجتماعي.

(١١) الاحزاب: ٢١

وفي واقعة الطف لم نزل للنفس الاجتماعية، التي يفترض أنها تقتبس من التفاعلات الاجتماعية، ما يشكل سلوكها الخارجي من واقع حقيقي، بل إننا سنلاحظ في الامثلة التالية ما يمكن الاصطلاح عليه بـ (النفس الربانية)، وهي النفس التي يشغلها تعلقها بالله سبحانه وتعالى عن اقتباس سلوك الآخرين ممن لا أفضلية دينية لهم؛ فنختار من واقعة الطف امثلة ثلاثة عظيمة تعكس ركائز (النفس الربانية):

١ - رفض العباس وعبد الله وجعفر وعثمان اولاد الامام علي عليه السلام أمان شمر بن ذي الجوشن؛ فقد كانت أم البنين ابنة حزام زوجة أمير المؤمنين، وعندما سمع عبد الله بن أبي المحلّ بن حزام أن ابناء عمته مع عسكر الحسين عليه السلام، طلب من شمر بن ذي الجوشن أن يكتب لهم اماناً ففعل؛ ولما وقف شمر على اصحاب الحسين، وقال: اين بنو أختنا؟ خرج اليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي، فقالوا له: ما لك وما تريد؟ قال: انتم يا بني أختي آمنون، قال له الفتية: لعنك الله ولعن امانك، لئن كنت خالنا اتؤمنا وابن رسول الله لا أمان له!

وفي رواية أخرى أن عبد الله بن أبي المحلّ بعث الكتاب إليهم بيد مولى له يقال له: كُزّمان، فقالوا له: أقرئ خالنا السلام، وقل له: أن لا حاجة لنا في

(١٢) تاريخ الطبري ٣٤١:٦.

أمانكم، أمان الله خير من أمان بني سمية (١٢).

وكذلك رفض علي الأكبر بن الحسين الذي كانت امه ليلى ابنة ابي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي امانهم، فقد كانت أم أمه ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب؛ ومن اجل هذا اعطي له الامان يومذاك، وقالوا: إن لك قرابة بأمرير المؤمنين - يعني يزيد بن معاوية - ونريد أن يرعى هذا الرحم، فإن شئت آمناك! فقال علي: لقرابة رسول الله ﷺ أحق أن ترعى، وحمل عليهم وقتلهم (١٣).

(١٣) الاصفهاني مقاتل

الطالبين: ٨٠، نسب قريش

لمصعب: ٥٧.

٢ - طلب الامام الحسين عليه السلام من اصحابه الانصراف ليلة العاشر من محرم، إلا أنهم اصرروا على البقاء معه عليه السلام إلى النهاية؛ فقد وقف عليه السلام خطيباً بأصحابه ليلة العاشر قائلاً: «أنتي على الله تبارك وتعالى احسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء. اللهم إني احمذك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً وافئدة، ولم تجعلنا من المشركين. أما بعد فإني لا أعلم اصحاباً أولى ولا خيراً من اصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً. ألا وإني اظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً. ألا وإني قد رأيت لكم، فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام. هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً».

وفي رواية أخرى أنه قال عليه السلام: «هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبوني ولو قد اصابوني لهوا عن طلب غيري».

فماذا كان جوابهم له عليه السلام؟ قال إخوته وابناؤه وبنو اخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل لنبقى بعدك. لا اراتنا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العباس بن علي، ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه. فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم. اذهبوا قد أذنت لكم. قالوا: لا والله لا نفعل، ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا واهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وهكذا تكلم مسلم بن عوسجة الاسدي، وسعد بن عبد الله الحنفي، وزهير ابن القين، وكان نظرهم أنهم لن يفارقوا ابن رسول الله ﷺ حتى يفدوه بأنفسهم، ويقوه بنحورهم وجباههم وايديهم، فإن قتلوا فقد وفوا وقضوا ما

(١٤) تاريخ الطبري ٦: ٢٤٥.

عليهم (١٤)

٣ - استبشار اصحاب الامام الحسين عليه السلام بالشهادة قبل لحظات من المعركة الحاسمة؛ فقد روى غلام لعبد الرحمن بن عبد ربه الانصاري قائلاً: أمر الحسين بفسطاط فضرب... ثم دخل الحسين ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة. قال: ومولاي عبد الرحمن ابن عبد ربه، وبرير بن حضير الهمداني على باب الفسطاط، تحثك مناكبهما فازدحما ايهما يطلي على اثره؛ فجعل برير يهازل عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل، فقال له برير: والله لقد علم قومي أنني ما احببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم. ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم (١٥).

(١٥) المصدر نفسه.

فهذه النفوس الربانية التي ترفض كل شكل من اشكال الهروب أو الإخلاق إلى الأرض، بما فيها من راحة ودعة وعافية، لم تقتبس من التفاعلات الاجتماعية ما يشكل سلوكها الخارجي اصلاً، بل إنها اخذت تتحدى العرف الاجتماعي وتسخر منه وتهاجمه؛ ورأت أن القتل في سبيل الله لهو من اعظم الكمالات، في وقت كان يتسابق فيه الناس إلى جني كل ما يمكن جنيه من المكاسب الدنيوية.

ولم تكن (النفوس المراتية) المزعومة، وهي النفس التي تكون مرآة لسلوك الآخرين، لتستطيع الصمود في تلك الواقعة العظيمة؛ لأنها لا تستطيع إلا أن تحاكي سلوك الآخرين وتمضي تصرفاتهم، خصوصاً أنها امام سيل من السيوف ووسائل القتل والتعذيب والآلام الاخرى؛ فليس هناك - اذن - من نفوس مرآتية في معسكر الحسين عليه السلام، ولكن لنصطلح على تسمية تلك النفوس الطاهرة التي صاحبت واقعة الطف مع الامام الحسين عليه السلام بـ (النفوس الواعية)؛ وهي النفوس التي كانت تعي دورها الرسالي في الحياة الانسانية. ولنضرب على ذلك ثلاثة امثلة:

١ - وقوف زهير بن القين إلى جانب الامام الحسين عليه السلام، وتعكس المحاوراة التالية أسرار ذلك الوقوف؛ ففي ليلة العاشر من محرم قام حبيب بن مظاهر

مخاطباً جيش يزيد: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه ﷺ وعترته، وأهل بيته وعُباد أهل هذا المصر المجتهدين بالاسحار والذاكرين الله كثيراً، فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت، فقال له زهير: يا عزرة، إن الله قد زكاها وهداها، فاتق الله يا عزرة؛ فإني لك من الناصحين. أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين على الضلال على قتل النفوس الزكية. قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً. قال: أفلمست تستدل بموقفي هذا أني منهم؟ أما والله ما كتبت اليه كتاباً قط، ولا أرسلت اليه رسولاً قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم. فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله، وحق رسوله ﷺ (١٦).

(١٦) المصدر السابق.

٢- ووقوف الحر بن يزيد الرياحي إلى جانب الامام الحسين ﷺ؛ فقد روي أن الحر بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له: اصلحك الله مقاتل انت هذا الرجل؟ قال: اي والله قتالاً ايسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الايدي، قال: أفعالكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضاً؟ قال عمر بن سعد: أما والله لو كان الامر اليّ لفعلت، ولكن اميرك قد ابى ذلك. قال الراوي: فأقبل حتى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يقال له: قرّة بن قيس، فقال: يا قرّة، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: أفما تريد أن تسقيه؟ قال: فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، وكره أن اراه حين يصنع ذلك، فيخاف أن ارفعه عليه، فقلت له: لم اسقه، وانا منطلق فساقيه. قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه. قال: فو الله لو أنه اطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين. قال: فاخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت واخذه مثل العرواء؛ فقال له: يا بن يزيد، والله إن امرك لمريب! والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجلاً؟ ما عدتلك. فما هذا الذي ارى منك؟ قال: إني والله اخير نفسي بين الجنة والنار.

ووالله لا اختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت؛ ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأيرتك في الطريق وجعجت بك في هذا المكان. والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم ابداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أبالي أن اطيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من الحسين هذه الخصال التي تعرض عليهم، والله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك. وإني قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، افترى ذلك لي توبة؟ قال: نعم يتوب الله عليك ويغفر لك. ما اسمك؟ قال: أنا الحر بن يزيد. قال: أنت الحر كما سمعتك أمك. أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة. انزل. قال: أنا لك فارساً خيراً مني راجلاً. اقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري. قال الحسين: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك (١٧).

(١٧) المصدر السابق.

٣ - موقف أم وهب امرأة عبد الله بن عمير الكلبي في معركة الطف! فقد خرج عبد الله بن عمير مع امرأته أم وهب لما رأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين، فسأل عنهم، فقليل له: يسرحون إلى الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه أيّاي في جهاد المشركين. فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد، فقالت: أصبت أصاب الله أرشد أمورك. افعل وأخرجني معك. قال: فخرج بها ليلاً، حتى أتى حسيناً فأقام معه؛ فلما برز يسار وسالم من جيش عمر بن سعد قام عبد الله بن عمير الكلبي، فقال: أبا عبد الله رحمك الله ائذن لي فأخرج اليهما، فرأى الحسين رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين، فقال الحسين: إني لأحسبه لأقران قتالاً. أخرج إن شئت، قال: فخرج اليهما وقتلها جميعاً بعد تراشق بالالفاظ؛ ثم أخذت أم وهب امرأته عموداً ثم اقتبلت نحو زوجها، تقول له: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد، فاقبل اليها يردّها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت: إني لن

ادعك دون أن أموت معك، فناداها الحسين فقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، أرجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على النساء قتال. وعندما قتل، خرجت امرأته تمشي إليه حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنة؛ فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم: اضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها فشدخه فقتلت رحمها الله (١٨).

(١٨) المصدر السابق.

وهذه الامثلة تكشف لنا أن (النفس الواعية)، كنفوس الذين جاهدوا مع الامام الحسين (عليه السلام) أمثال زهير بن القين، والحر بن يزيد الرياحي، وام وهب، وزوجها عبد الله بن عمير الكلبي وغيرهم، لم تقتبس دورها من ادوار الآخرين، بل كان لها درجة عظيمة من الاستقلالية في التصرف والسلوك بما اوحت إليها عقيدتها واهدافها السامية في الحياة. فكيف تستطيع النفس الانسانية مواجهة العدو بهذه الدرجة من الجرأة والتحدي ما لم تنق بصورة مطلقة بالعقيدة التي آمنت بها؟ وكيف تستطيع النفس الانسانية تحمل ذلك التغيير النفسي والفكري والعقائدي ثم تندفع بكل قوة لمحاربة العدو الجديد؟ إن النفس البشرية لا تستطيع عمل كل ذلك ما لم تنكشف لها جوانب مشرقة لحياة جديدة لم نألّفها بعد؛ حياة جديدة تجعلها ترى أن لها دوراً محدداً ومهمة مقصودة في الحياة الدنيوية، تنتقل بعد أدائها إلى حياة الخلود الابدي.

ونستطيع أن نقول الآن بعد أن درسنا نظريات التغيير الاجتماعي جنباً إلى جنب مع شخصيات واقعة الطف الابطال: إن الحسين (عليه السلام) استطاع - في واقعة الطف - باعتبار شخصيته المتميزة ودوره الذي كان اكبر من الحياة، أن يضرب مثلاً عالمياً في التغيير الاجتماعي، لأن الافراد الذين حاولوا الاقتداء بسيرته جاهدوا - بكل اخلاص - من اجل اقتباس دوره الرسالي البطولي في واقعة كربلاء. وقد كانت الثورات التي المحنا اليها سابقاً مصداقاً لهذه الفكرة. أضف إلى ذلك أن قضية الظلم والعدالة بقيت وستبقى من اهم المشاكل الاجتماعية التي يخلقها الافراد بعضهم تجاه بعض، ولذلك فإن طرق الثورة، والتضحية الجسدية، ونكران الذات ستبقى أيضاً من اهم عوامل الصراع بين نظام الظلم وبين رسالة العدالة الاجتماعية.

تقبل التغيير الاجتماعي:

والتغيير الاجتماعي، مهما كان عظيماً لا يمكن تقبله من قبل الافراد بسهولة؛ إلا أن التغييرات الاجتماعية الناتجة من آثار الرسالة الدينية تكون دائماً أكثر قبولاً لدى الافراد من غيرها. وبطبيعة الحال لابد أن يكون التغيير الاجتماعي متناسباً مع التركيبة الثقافية والتاريخية للمجتمع؛ فالحروب بين القبائل المتصارعة والجيوش والسرايا خلال ظهور الاسلام في الجزيرة العربية وما بعده كانت تؤدي إلى شكل من اشكال التغيير الاجتماعي؛ لأن الطرف المسيطر في ذلك الصراع كان يحدد شكل التغيير؛ إلا أن التغيير الجزئي الناتج عن تلك الحروب كان مقبولاً لأنه يعد جزءاً من التركيبة الثقافية والتاريخية للمجتمع العربي؛ ولكن التغيير الصاعق الذي هز المجتمع العربي والاسلامي في تلك الحقبة الزمنية هو وجود النساء والاطفال ضمن دائرة المعركة العظيمة في الطف، وبروز دور المرأة القرية من منبع الوحي على الصعيد الاجتماعي والسياسي بعد الحرب.

ولولا المنزلة العظيمة التي احتلها أهل بيت النبوة ﷺ في قلوب الافراد، لاستنكر المجتمع البدوي الاموي المعادي نشاط المرأة في مجالس السياسة وبلاطات الخلفاء، ووصمها بشتى الاتهامات؛ فزينب بنت علي ﷺ، وفاطمة بنت الحسين ﷺ قامتتا بدور يصعب تصويره حتى على افراد مجتمع اليوم، فما بالك بمجتمع القرن الأول الهجري ؟ وهو دور عظيم بلا شك اوحته إليهما الرسالة السماوية وصممه قربهما من منابع الوحي ومهبط التنزيل.

أ- المرأة والتغيير الاجتماعي:

فهل تستطيع صفة (الانوثة) أن تقف حائلاً عن تبليغ احكام الشريعة الاسلامية؟ وهل يستطيع التميز الفسلجي بين الرجل والمرأة أن يكون عائقاً من عوائق العمل السياسي أو الديني؟

لا شك أن صفة (الانوثة) تعتبر - على الصعيد الاجتماعي - أكثر من مجرد سلوك عرقي، لأننا نفكر ونسلك سلوكاً معيناً ولنا فرص مختلفة في الحياة

استناداً على تركيبتنا البيولوجية؛ فالتصميم التكويني للبشرية يفصح عن أن للرجال ادواراً مختلفة عن النساء؛ فالمخاطرة والاقتيال والتحرك المستمر ضمن الدائرة الاجتماعية تعتبر من الصفات التي يقرها النظام الاجتماعي للرجال، بينما تكون الاسرية والرعاية والحنان من نصيب المرأة. وعلى النطاق الفكري العالمي توجد نظريتان تتناولان قضايا المرأة ودورها الاجتماعي:

الاولى: النظرية التوفيقية التي تعتبر الفوارق الاجتماعية بين الذكور والاناث في المجتمع الانساني ضرورية للبقاء الاجتماعي؛ وما استسلام النساء لقيادة الرجال في النظام الاجتماعي إلا مساهمة كبيرة في تحقيق التقدم الاجتماعي؛ فانهدام العدالة بين الجنسين له ردود وظيفية ايجابية على المجتمع الانساني؛ لأنه يمنح الرجال خصائص وشروطاً لقيادة العالم تجارياً وسياسياً وعسكرياً، وتترك للمرأة قضايا العناية والرعاية الاسرية^(١٩).

ولا شك أن تقسيم العمل بهذا الوضوح يعطي الرجال والنساء فرصة عظيمة لتحقيق السعادة والقناعة الشخصية المتناسبة مع طبيعة خلق الانسان؛ إلا أن الرجل يرفض فكرة مزاحمة المرأة في المجالات التي يعتقد أنها محصورة به تكوينياً، كحقوق العمل الاجتماعي والاقتصادي والعسكري؛ لأن تلك المزاحمة تعتبر تحدياً حقيقياً لهوية الرجل على الساحة الاجتماعية.

الثانية: نظرية الصراع الاجتماعي، وهي النظرية التي تعتبر الظلم المستند على أساس الانوثة شكلاً آخر من اشكال السيطرة على وسائل الانتاج^(٢٠)؛ فالنساء، حسب زعم هذه النظرية، يقدمن خدماتهن الاقتصادية للمجتمع بقسميه الرجالي والنسائي، إلا أنهن يحرمن من حقوق الارث والتملك لاحقاً. ثم تدعي هذه النظرية أيضاً أن المجتمعات الفقيرة التي تنشع فيها الموارد الغذائية، تحكم سيطرتها على المرأة اكثر من المجتمعات التي لا تعاني من تلك المشكلة؛ فالمجتمع البدوي يسيطر على المرأة اكثر من المجتمع الزراعي الذي يفيض بالخيرات.

إلا أن هذه النظرية تتخبط في تفسير دور المرأة خلال واقعة الطف وما

(١٩) تالكوت باربنس، النظام

الاجتماعي، نيويورك: المطبع

الحررة، ١٩٥١م، وجور

كيلدر، الثروة والفن

نيويورك: الكتب الاساس

١٩٨١م.

(٢٠) ري ليسر بلمبيرج

انعدام العدالة الاجتماعية

الظلم المستند على اساس

الانوثة والظلم الاقتصادي

الاجتماعي، دويوك، ايسو

براون، ١٩٧٨م.

بعدها؛ فهي من جهة تزعم أن الاعتقادات ما هي إلا نتاجات اجتماعية، وأن تخلف المرأة في النظام الاجتماعي ما هو إلا جزء من عملية توزيع الثروة الاجتماعية، وأن المجتمع البدوي الفقير من حيث الموارد يسيطر على المرأة أكثر من المجتمع الغني، ثم تدعي من جهة أخرى أن وصم المرأة بالضعف الجسدي الاجتماعي ما هو إلا جزء من السيطرة الاجتماعية في المجتمعات الغنية؛ وهذا الاضطراب في فهم واقع المرأة الاجتماعي يقلل من قيمة هذه النظرية في تفسير دور المرأة في المجتمع الانساني.

ولكن من المسلّم به أن واقعة الطف اثبتت أن دور المرأة - المتمثل في سلوك بنات رسول الله ﷺ المثالي - لم يكن جزءاً من عملية توزيع الثروة الاجتماعية، ولم يكن نتيجة من نتائج السيطرة الاجتماعية التي زعمتها نظرية (الصراع)؛ فالاعتقادات الدينية السماوية ليست نتاجات اجتماعية ولا مفردات صممها خيال الانسان، بل ما هي إلا نتيجة من نتائج التصميم الإلهي للخلق والتكوين؛ وهذا التصميم الإلهي هو الذي دعا المرأة الرسالية الطاهرة إلى المشاركة الاجتماعية التامة في الحقل الديني والسياسي الذي اعقب واقعة الطف، فزينب بنت علي عليه السلام، وفاطمة بنت الحسين عليه السلام، وبقية نساء بيت النبوة لم يظهرن ضعفاً أو خضوعاً للرجل، بل كان دورهن من اعظم ادوار مأساة كربلاء، ولم يكن جزءاً من عملية تراكم الثروة الاجتماعية، لأنهن كن - حتى خلال ولاية رسول الله ﷺ أو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - على جانب عظيم من التقشف والتعفف عن طلب المال أو التمتع به، على رغم قربهن من منابع الثروة المالية للدولة.

وبكلمة أخرى: إن سلوك نساء آل محمد ﷺ يعتبر بصدق من اعظم مصاديق كمال الرسالة الاسلامية ودورها في تضيق الفوارق الاجتماعية بين الرجل والمرأة؛ فنساء الحسين عليه السلام لم يشاركن في الحرب مع الرجال ضد جيش ابن سعد، لأن الشريعة لم تسمح لهن بذلك، مع أن الحسين عليه السلام أخذ ينادي في اللحظات الاخيرة نداءً يدمي القلوب، مستحثاً الافراد على نصرته ونصرة دين محمد ﷺ، إلا أن زينب بنت علي عليه السلام وفاطمة بنت الحسين عليه السلام

كانتا تعلمان أن لهما دوراً مختلفاً عن دور الرجال؛ ليس دوراً أقل على الصعيد الموضوعي بل قد يكون مساوياً لدور القتال. ولذا كان دورا الرجل والمرأة في واقعة الطف وما بعدها مكملاً أحدهما الآخر، فقد لاحظنا - بكل تجرد - الاستقلال العسكري والبطولة الفائقة لدى رجال آل محمد ﷺ، واعتماد النساء على تلك الحماية، ولاحظنا ثبات خطب الإمام الحسين عليه السلام التبليغية وعواطف النساء الجياشة، ورأينا تحرك الرجال على الساحة الاجتماعية والعسكرية والتزام النساء بالحجاب الشرعي وضبط النفس خلال الواقعة المأساوية وما بعدها.

وبكلمة أخرى: كان المجتمع الانساني ولا يزال بحاجة مستمرة إلى فهم طبيعة واقعة الطف برجالها ونسائها، لأن هناك أسباباً اجتماعية قوية تدعونا لتفسير الفوارق بين الرجال والنساء من وجهة نظر اسلامية.

فالاسلام لا يعتبر الاختلاف الفسلجي بين الذكر والانثى شيئاً إلا بقدر ما يتعلق بقابليتهما على اداء ادوارهما الحيوية؛ فالانثى كانت قد اغفيت من القتال والقضاء والولاية بينما اعطيت حقوق النفقة والامومة والرضاعة. وهذا الاختلاف هو اختلاف في الادوار الحيوية وليس اختلافاً في المنزلة؛ ولذلك فإن المرأة تستطيع أن تقوم بالادوار التي تقتضيها المصلحة الاجتماعية ضمن حدود الشريعة. ولعل الامثلة التالية تبين لنا مصداق ما ذهبنا اليه:

١ - روى الطبري عن قرة بن قيس التميمي أنه عندما انتهت واقعة الطف، وامرت السبايا بالرحيل مع الرؤوس مرت زينب بنت فاطمة عليها السلام بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه يا محمداه! صلى عليك ملائكة السماء. هذا الحسين بالعراء، مرّمل بالدماء، مقطّع الاعضاء. يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا. قال: فأبكت والله كل عدوّ وصديق (٢١).

(٢١) الطبري ٦: ٣٥٠.

٢ - قال بشير بن حذيم الاسدي: نظرت إلى زينب بنت علي يومئذ (أي بعد وصول السبايا إلى الكوفة)، ولم أر خفرة قط انطق منها كأنما تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتفرغ عنه؛ وأومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الانفاس وسكتت الاجراس؛ فخطبت خطبتها البليغة (راجع ملحق خطب

بنات رسول الله ﷺ).

قال بشير: فوالله رأيت الناس يومئذ حيارى، كأنهم كانوا سكارى، يبكون ويحزنون ويفجعون ويتأسفون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم. قال: ونظرت إلى شيخ من أهل الكوفة كان واقفاً إلى جنبي، قد بكى حتى اخضلت لحيته بدموعه وهو يقول: صدقتِ بابي وامي، كهولكم خير الكهول، وشبانكم خير الشباب ونساؤكم خير النسوان، ونسلمكم خير نسل لا يخزى ولا يبيزى (٢٢).

(٢٢) تاريخ ابن اعثم ٥: ٢٢١.

ومقتل الخوارج في ٢: ٤٠.

لا يبيز: أي لا يقهر.

٣- روى الطبري بسنده عن حميد بن مسلم قال: لما دخل برأس الحسين وصبياناه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد، ليست زينب بنت فاطمة أرذل ثيابها وتكثرت وحقت بها أمؤها، فلما دخلت جلست قال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثاً، كل ذلك لا تكلمه؛ فقال بعض أمائها: هذه زينب ابنة فاطمة. قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم واكذب احدوثلتكم، فقالت: الحمد لله الذي اكرمنا بمحمد ﷺ وطهرنا تطهيراً لا كما تقول انت. انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر. قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون اليه وتخاصمون عنده (٢٣).

(٢٣) الطبري ٦: ٢٥٩.

وهذه النماذج التاريخية انما تبين أن الاختلاف المزعوم بين الذكور والاناث كان اختلافاً في الادوار، فكما أن الحسين ﷺ قاتلهم بالسيف حتى النهاية، كذلك كانت نساء آل النبي ﷺ في الكلمة والخطبة والتغيير الاجتماعي، فجاءت ادوار نساء الرسالة مكمله لادوار ابطال الملحمة الخالدة في كربلاء.

ب- المذبحة والتغيير الاجتماعي:

إن تقبّل التغيير الاجتماعي يتوقف على موقف الافراد الذين يحتلون المواقع العليا في النظام الاجتماعي، فهؤلاء هم عوامل التغيير الاجتماعي؛ فالتابعون دائماً يتأثرون بالمتبوعين، وإذا تعددت القيادة، أو انفصلت إلى دينية وأخرى سياسية، أصبح التغيير الاجتماعي على خطى طريقين متضادين؛ فقد كانت القيادة الاجتماعية في القرن الاول الهجري منشطرة إلى قيادة سياسية متمثلة

ببزييد واخرى دينية متمثلة بالحسين عليه السلام، ولذلك فقد اصبح التغيير الديني عاملاً من عوامل تغيير القلوب والنيّات والحب والكره، واصبح التغيير السياسي عاملاً من عوامل التغيير السلوكي الخارجي للأفراد فحسب. وبطبيعة الحال فإن مأسوية مذبحة كربلاء - كما سجلها لنا التاريخ - تنم عن ظلم صارخ ووحشية منقطعة النظير، خصوصاً أن المذبوح كان اماماً معصوماً وأحد اقرب الافراد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله! إلا أن تفاصيل المعاناة والألم لحظة بلحظة يجعل من تلك الواقعة قضية حية تعيش في كنف كل من له ضمير انساني حي إلى الأبد.

يقول أبو مخنف واصفاً اللحظات الاخيرة من حياة الإمام الحسين عليه السلام: حدثني الصقعب بن الزبير عن حميد بن مسلم، قال كان عليه (الحسين عليه السلام) جبة من خَزٍّ وكان معتماً وكان مخضوباً بالوسمة. قال: وسمعتة يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجله قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية، ويفترص العورة، ويشد على الخيل وهو يقول: أعلى قتلي تحاثون؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله الله أسخط عليكم لقتله مني. وايم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون. أما والله أن لو قد قتلتموني لقد القى الله بأسكم ببيتكم وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الاليم. قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء. قال: فنائدٌ شمر في الناس: ويحكم ماذا تنظرون بالرجل؟! اقتلوه ثكلتكم امهاتكم! قال: فحمل عليه من كل جانب فضربت كفه اليسرى ضربة ضربها زُرعة بن شريك التميمي، وضرب على عاتقه ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو. قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي قطعنه بالرمح فوق، ثم قال لخولّي بن يزيد الاصبحي: احتز رأسه، فاراد أن يفعل فضعف فأرعد، فقال له سنان بن أنس: فت الله عضديك وأبان يديك؛ فنزل اليه فذبحه واحتز رأسه ثم دفع إلى خولّي بن يزيد، وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف. قال أبو مخنف عن جعفر بن محمد بن علي قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع

وثلاثون ضربة. قال: وجعل سنان بن انس لا يدنو أحد من الحسين إلا شدد عليه مخافة أن يغلب على رأسه، حتى أخذ رأس الحسين عليه السلام فدفعه إلى خولي. قال: وسلب الحسين ما كان عليه... (٢٤).

(٢٤) الطبري ٦: ٢٨٠.

وتشخيص تلك اللحظات المؤلمة، التي يقشعر لها جلد كل مؤمن آمن برسالة السماء واعتقد بمظلومية الحسين عليه السلام واحقيقته في الولاية الشرعية، يساهم في تهذيب سلوك الافراد وتربية النظام الاجتماعي ومن يمثله على التضحية ونكران الذات؛ لكن الوضع الاجتماعي الاستثنائي في العقد السادس من القرن الأول الهجري كان قد اذهلته المفاجأة العظمى بقتل الإمام الحسين عليه السلام وابنائيه واصحابه.

حتى إن الحب والعطب الموجهين من الافراد إلى سبايا أهل البيت عليهم السلام في الكوفة كان مشوباً بخوف وقلق من السلطة السياسية؛ وهو دون ريب لون من اللون الضعف والهزيمة النفسية وانهايار الارادة؛ بمعنى أنه كان من اضعف درجات الايمان، إلا أن ذلك الحب لم ينطفئ ابداً حتى من قبل الذين ساهموا هامشياً في مجزرة كربلاء.

ونستطيع أن نستنتج أن التغيير الذي اعقب المذبحة الظالمة على أرض الطف كان على منحيين:

المنحى الأول: التغيير الفردي (البسيط).

والثاني: التغيير الجماعي (المركب).

ولا شك أن الشبكة الإعلامية التي تقوم بتغيير سلوك الافراد ليل نهار في عصرنا الراهن، كان ما يقابلها من شبكة اجتماعية تقوم بنشر الآثار الفكرية والدينية التي كانت تساهم فعالة في التغيير الاجتماعي. وإذا كان من طبيعة التغيير الفردي أن يكون آنياً ومؤقتاً، فإن التغيير الجماعي أخذ طابع التصميم الجديد للامة الاسلامية الشيعية؛ فقد اصبح للطائفة المحقة كيانها العقائدي الراسخ الذي لا يمكن زعزعته بأي شكل من الاشكال؛ واصبح التغيير الاجتماعي ظاهرة اجتماعية متميزة على مدى العصور التي عاشتها الطائفة الامامية.

ومن أجل فهم طبيعة ذلك التغيير لابد من استعراض بعض المصاديق العملية تجاه المنحيين:

١ - التغيير الفردي (البسيط)، وهو التغيير الذي تمثل بالدفاع الشخصي عن العقيدة الحقّة، إلا أن تأثيره بقي محصوراً على النطاق الفردي. ونختار من ذلك أربعة أمثلة:

أ - الدفاع عن علي بن الحسين (عليه السلام):

عن حميد بن مسلم قال: انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي وهو منبسط على فراش له وهو مريض، وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجّالته يقولون: ألا نقتل هذا؟ قال: فقلت: سبحان الله! أنقتل الصبيان؟! إنما هذا صبيّ. قال: فما زال ذلك دأبي ادفع عنه كل من جاء حتّى جاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخل بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم... قال: فقال علي بن الحسين: جزيت من رجل خيراً؛ فوالله لقد دفع الله عني بمقاتلك شيئاً (٢٥).

(٢٥) الطبري ٦: ٣٥٣.

ب - موقف زيد بن ارقم في مجلس عبيد الله بن زياد:

لما رأى زيد بن ارقم عبيد الله بن زياد لا يُنجم أن ينكت بالقضيب رأس الحسين، قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنتين، فوالذي لا اله غيره لقد رأيت شفّتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضخ الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. قال: فنهض فخرج... يقول: ملّك عبداً فأتخذهم تُلداً. انتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم. قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعداً لمن رضي بالذل (٢٦).

(٢٦) المصدر السابق.

ج - موقف عبد الله بن عفيف الأزدي من ابن زياد:

لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتّى وثب إليه

عبد الله بن عفيف الأزدي... قال: يابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب انت وابوك والذي ولّك وابوه! يابن مرجانة، اتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين؟! فقال ابن زياد: عليّ به، قال: فوثبت عليه الجلاوزة فاخذوه... (٢٧).

(٢٧) المصدر السابق.

د - موقف الشيخ الشامي مع زين العابدين (عليه السلام):

لما اتى بحرم رسول الله ﷺ دخلوا مدينة دمشق من احد الابواب، وإذا شيخ قد اقبل حتى دنا منهم، وقال: الحمد لله الذي قتلكم واهلككم وراح الرجال من سطوتكم، وأمكن امير المؤمنين منكم! فقال له علي بن الحسين: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم قد قرأته. قال: فعرفت هذا الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٢٨)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. قال علي بن الحسين (عليه السلام):

(٢٨) الشورى: ٢٣.

فنحن القربى يا شيخ. قال: فهل قرأت في سورة بني اسرائيل ﴿وَأَتَى ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (٢٩)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علي (عليه السلام): نحن القربى يا شيخ؛ ولكن

(٢٩) الاسراء: ٢٦.

هل قرأت هذه الآية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٣٠)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي (عليه السلام): فنحن ذو القربى يا شيخ؛

(٣٠) الانفال: ٤١.

ولكن هل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣١)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. قال علي: فنحن أهل البيت الذين خُصصنا

(٣١) الاحزاب: ٣٣.

بآية التطهير. قال: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلمه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني تائب اليك مما تكلمته ومن بغض هؤلاء القوم، اللهم إني

أبرأ اليك من عدوّ محمد وآل محمد من الجن والانس (٣٢).

(٣٢) فتوح ابن اعثم ٥.

وسجل لنا التاريخ مواقف عديدة للأفراد الذين انكشف لهم الحق، كموقف

٢٤٢.

احد احبار اليهود في حضرة يزيد (٣٣)، وموقف رسول ملك الروم (٣٤)،

(٣٣) فتوح ابن اعثم ٥: ٢٤٦.

وغيرهم.

(٣٤) اللهوف: ٦٩.

ومع أن هذه المواقف لها أهميتها التاريخية، إلا أنها لا تعدو كونها مواقف ارتجالية غير مخططة، لا تستطيع أن تنهض بتغيير الأمة الاسلامية على ضوء معطيات واقعة الطف.

٢ - إلا أن التغيير الجماعي (المركب) هو الذي يستأثر دائماً بالاهتمام؛ لأن

فيه مصلحة عليا للجماعة، ويستمر تأثيره الاجتماعي والعائدي إلى حقب

اطول في عمر المجتمعات؛ بيد أن تأثيره لا يمكن أن يقاس بالطرق التقليدية، فهو يحتاج إلى من يستوعب كل مفردات التاريخ ليستخرج منها نظرية عامة في التغيير الاجتماعي؛ وهذا صعب تحديده، إلا أن المتيقن أن الواقعة العظيمة في كربلاء سنة ٦١ للهجرة قلبت مفاهيم الامة تجاه السلطة ونظرية (الحكم) في الاسلام، حتى إن الذين آمنوا بمدرسة (الخلفاء) وامضوا تبريراتها السياسية لم يستطيعوا أن يخفوا عيوب الخليفة الاموي الجديد يزيد بن معاوية، بل لاموه على قتل الحسين عليه السلام؛ وانزلت معركة كربلاء لاحقاً أكبر هزيمة بالامويين وبحكمهم الذي دام طوال قرن من الزمان؛ إلا أن كل ذلك لا يمكن قياسه بحجم التأثير الذي تصنعه واقعة الطف كل يوم بالافراد والشعوب؛ فهي بحق الواقعة التي لها حضور حقيقي مع الزمن ومع كل فرد مسلم ولد أو سيولد لاحقاً إلى ما شاء الله.

إن تقبل التغييرات الاجتماعية يعتمد على خمسة عوامل مهمة:

الأول: مدى مطابقة الخصال الجديدة مع الثقافة الاجتماعية المعمول بها.

الثاني: حجم الخسارة أو التضحية التي يدفعها الفرد للتكيف مع التغيير

الجديد.

الثالث: مقاومة الافراد من الطبقة العليا الذين لهم مصلحة كبيرة في بقاء

الواقع الاجتماعي كما هو دون تغيير.

الرابع: المخاوف العامة لدى الحكام من استمرار تأثير التغيير إلى أمد

بعيد.

الخامس: طبيعة الاحداث التي انتجت ذلك التغيير.

إن فهم هذه العوامل المتضافرة في التغيير الاجتماعي يجعلنا اقرب فهماً

لاهداف ومقاصد واقعة الطف، والنتائج المتوقعة من تلك الحادثة العظيمة في

التاريخ الانساني. وكانت الاساليب الوحشية التي استخدمتها السلطة الظالمة

ضد المناوئين من اتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبي الامام الحسين عليه السلام قد جعلت

التغيير الاجتماعي لا يظهر على السطح، بل بدأ ينمو تحت الارض سراً، حتى إذا

وجد متنفساً انبثق شامخاً في مدرسة علمية كان الامام جعفر الصادق عليه السلام

حفيد الامام الحسين عليه السلام رائدها ومصمم اركانها؛ وبذلك دخلت تأثيرات واقعة الطف في مرحلة جديدة من مراحلها التغييرية الفعالة.

وبتعبير آخر: إننا بملاحظة هذه العوامل مجتمعة نستطيع أن نفهم أبعاد مقتل الحسين عليه السلام وابنائهم واصحابه، وتأثير سلوك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاجتماعي فيما بعد واقعة الطف؛ فقد كانت الطبقة الاموية الحاكمة تعارض التغيير الاجتماعي البعيد الامد؛ لأنه كان يضعف سلطتها الدموية البعيدة عن روح الاسلام؛ إلا أن حجم التضحية التي كان ينبغي أن يدفعها الفرد، وهي غالباً الموت بأقطع صورته، هي التي قيدت ذلك التغيير الاجتماعي على المدى القصير، ولكنها الهبته فيما بعد إلهاباً لم يسبق له مثيل.

النظريات المعاصرة في التغيير الاجتماعي وعلاقتها بواقعة الطف

وتتنافس على الساحة الفكرية العالمية خمس نظريات اجتماعية لتفسير ظاهرة التغيير الاجتماعي، وهي (النظرية الحلقية) لبيتريم سوروكين، ونظرية (الصراع الاجتماعي) لكارل ماركس، ونظرية (التضامن العضوي أو الميكانيكي) لأميل ديكهايم، ونظرية (التطور البيولوجي) لهربرت سبنسر، والنظرية الموحدة في التغيير الاجتماعي؛ وهذه النظريات الاجتماعية تعجز عن تفسير ظاهرة التغيير الاجتماعي المستمرة التي أحدثتها واقعة الطف المأساوية، وسوف نتعرض لكل من هذه النظريات بشيء من التفصيل والنقد.

١- النظرية الحلقية للعالم الاجتماعي بيتريم سوروكين^(٣٥)، الذي زعم فيها أن للتاريخ البشري فترات متناوبة من العقلانية والاضطراب؛ ففي بعض الفترات يسمح المجتمع للتغيير الاجتماعي بالتحقق دون معارض، وفي فترات أخرى لا يسمح بذلك؛ وفكرة سوروكين ما هي إلا امتداد لمفكر آخر هو ازوالد سبنكر الذي طرح افكاره في كتابه انحدار وسقوط الغرب^(٣٦)، وتوقع فيه تفكك الحضارة الغربية في منتصف القرن العشرين بناءً على افتراض انحدار المستوى العقلاني الاوروبي، وانعكاسه على الحروب العالمية التي وقعت في اوروبا وراح ضحيتها الملايين من الافراد.

(٣٥) بيتريم سوروكين، أزمة عصرنا نيويورك: دوتن، ١٩٤٦م.
(٣٦) ازوالد سبنكر، انحدار وسقوط الغرب. نيويورك: الفرد نوف، ١٩٢٨م.

إلا أن النظرية الحلقية تفشل في تفسير التغيير الاجتماعي الناتج عن واقعة الطف؛ لأن تلك المأساة لا تخضع لشروط سينكلر وسوروكين في التغيير الاجتماعي؛ فتلك الواقعة وضعت السيرة العقلانية للمجتمع على خط مستمر غير متناوب، يلتفت بوضوح إلى معاني التغيير الاجتماعي الذي ينبغي أن تجلبه الرسالة الدينية.

وبتعبير آخر: إن الإمام المعصوم - في عقيدتنا - هو سيد العقلاء، وما تصرفه إلا انعكاس لتطابق السيرة العقلانية مع السيرة الشرعية الملزمة للأفراد. وبطبيعة الحال، فإن واقعة الطف فرضت نفسها على صعيد التغيير الاجتماعي اللاحق، ولم تنتظر أن يسمح لها المجتمع بانزال التغييرات الاجتماعية على الأفراد. ولا شك أن واقعة الطف لم تكن حدثاً عابراً في تاريخ الأمة الإسلامية، بحيث أن المجتمع قد يسمح أو لا يسمح للتغيير الاجتماعي الناتج من تأثير تلك الواقعة؛ بل إن للواقعة موقعها الخاص في قلب الأحداث الإسلامية التاريخية أو المعاصرة، وقد أصبحت في ظل المتغيرات التاريخية مقياساً تقاس به أصالة المجتمعات والنظام السياسي المنبثق عنها.

٢- نظرية الصراع الاجتماعي لكارل ماركس^(٣٧)، التي ركزت على مصادر الصراع والتوتر بين الأفراد والمجموعات ضمن المجتمع الواحد، فكلما كانت القوة السياسية، والمنزلة الاجتماعية، والملكية الخاصة محصورة ضمن جدران الطبقة العليا، كانت بوادر الصراع الاجتماعي والثورة أكثر احتمالاً. ومن نافذة القول أن نذكر أن نظرية الصراع الاجتماعي تناولت بالتحليل فلسفة الثورة، فالثورة - حسب رأيها - لا تحصل ما لم تتوفر الاجواء والاضاع الثورية التي تساعد على التفجير؛ فهناك ثلاثة عناصر تفسر (الثورة) في المجتمع الانساني وهي:

الأول: أن كل ثورة نابتة تاريخياً في مجتمعاها الخاص بها، بمعنى أن طابع الثورة يصطبغ دائماً بطابع المجتمع الذي تقوم فيه.

الثاني: أن الحركات الاجتماعية المنظمة من أجل التغيير الاجتماعي تنجح فقط عندما يكون الوضع الثوري قائماً، لأن الصراع الطبقي يولد دائماً وضعاً

(٣٧) كارل ماركس،
الأيولوجية الألمانية - ١٨٤٦م.
نيويورك: الناشر
الدوليون، ١٩٣٩م.

غير قابل للرجوع ضد الطبقة العليا.

الثالث: لما كان الصراع الطبقي هو الذي يحدد الوضع الثوري، فإن الثورة تكتمل فقط عندما يتم تدمير الطبقة الرأسمالية المسيطرة.

ولا ريب أن الطبقة العليا ستحاول الابقاء على الوضع الظالم للحفاظ على مواقعها السياسية، ولذلك فإن التنافس بين المجموعات المتصارعة سيتحول إلى صراع بين المؤسسات الاجتماعية. وما واقعة الطف، حسب زعم نظرية الصراع الاجتماعي، إلا صراع بين المؤسسة السياسية المتمثلة بيزيد والمؤسسة الدينية المتمثلة بالإمام الحسين عليه السلام.

إلا أن هذه النظرية الاجتماعية تقع في تناقض مكشوف، وهو أن السلطتين السياسية والدينية غير منفصلتين في الإسلام؛ والصراع المزعوم بين السلطتين ليس صراعاً من أجل السيطرة على مقدرات النظام الاجتماعي، بقدر كونه جهاداً، من وجهة نظر الدين، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية.

اضف إلى ذلك أن الثورة لا تنحصر فقط بالصراع الطبقي الاقتصادي، بل إن أغلب الثورات في العالمين القديم والمعاصر كان طابعها سياسياً أكثر من كونه اقتصادياً؛ ولكن واقعة الطف ليست ثورة بالمعنى الاصطلاحي الحديث، وليست صراعاً طبقياً أو اقتصادياً يراد منه تحقيق هدف محدد بذاته، بل هي واقعة لها خصائصها ومميزاتها التاريخية والعقائدية الفريدة؛ ويجب أن تبقى هكذا دون استعارات لفظية. وهنا لا تجد نظرية الصراع أي مبرر لتفسير واقعة الطف من زاوية نظرها الخاص بسبب اختلاف الموضوع؛ فإذا كان محور نقاش نظرية الصراع هو الثورة والصراع الطبقي، فإن واقعة الطف ليست ثورة بمعنى (الحركة الاجتماعية)، وليست صراعاً طبقياً بمعنى (صراع المصالح)، بل هي واقعة عظيمة تقع ضمن التصميم الإلهي للكون والمخلوقات، وجزءاً لا يتجزأ من آثار الرسالة الدينية التي تهتم بشؤون الفرد والنظام الاجتماعي.

٣- نظرية التضامن العضوي أو الميكانيكي لأميللي ديركهايم^(٣٨)، وهي النظرية التي تفسر التغير الاجتماعي بافتراض تصميمين:

الأول: وهو ما يطلق عليه بـ (التضامن الميكانيكي) الذي يحصل في

(٣٨) أميلي ديركهايم،
العناصر الاستثنائية للحياة
الدينية - ١٩١٢م. نيويورك
كتب كولير، ١٩٦١م.

المجتمعات البدوية الابتدائية، عندما تكون مصالح الافراد مستقلة استقلالاً ذاتياً.

والثاني: وهو ما يطلق عليه بـ (التضامن العضوي) وهو الذي يحصل في المجتمعات المتطورة عندما تكون مصالح الفرد متوقفة على مصالح الآخرين. إلا أن التأثير الاجتماعي الذي أحدثته واقعة الطف طال التضامن العضوي في القرن الأول الهجري، كما طال التضامن العضوي في القرن الرابع عشر الهجري، وقد يطال أي تضامن في القرون المقبلة؛ ففاجعة الحسين في كربلاء تبقى على طول الزمن فوق كل المتغيرات الاجتماعية والحضارية. وإذا كان الفرد يعيش التضامن الميكانيكي فإنه لا يستطيع أن يفصل عن رسالة الدين، فمصلحة الفرد ليست مستقلة عن الرسالة الإلهية؛ وإذا كان الفرد يعيش التضامن العضوي فإن رسالة الدين لا تستطيع أن تتخلى عنه بأي حال من الأحوال؛ ومن هذا المنظار فإننا لا نستطيع أن نفصل واقعة الطف عن مجمل الرسالة الدينية، مع أننا لا نؤمن بالتضامن الميكانيكي لأن الفرد لم يخلق ليكون مستقلاً عن الآخرين؛ إلا أن التغيرات الاجتماعية المستمرة المنبثقة عن تلك الواقعة العظيمة لا تدعنا إلا أن نقول: إن التضامن العضوي - إذا افترضنا واقعية وجوده - هو الساحة الحقيقية التي استفادت من تأثيرات تلك الواقعة الفريدة في التاريخ الانساني.

٤ - نظرية التطور البيولوجي، وهي النظرية التي آمنت بأن التغيير الاجتماعي انما ينبع من مصدر بيولوجي تطوري؛ فالمجتمعات الإفريقية تحتل اوطأ المراتب في التغيير الاجتماعي، حسب زعم هربرت سبنسر، بينما يحتل الانجليز في العهد الفكتوري أعلى مراتب الحضارة وتقبل التغيير الاجتماعي^(٣٩)؛ ولا شك أن هذا التمييز العنصري تجاه الافراد على قابلياتهم في التغيير الاجتماعي لا يتناسب مع رسالة الدين أو المنطق العرفي للعقلاء، ولا يشك أحد أن التأثير الاجتماعي لواقعة الطف لا يختلف تأثيره على المسلمين في آسيا أو إفريقيا أو أوروبا الغربية على اختلاف اعراقهم الانسانية.

(٣٩) هربرت سبنسر، العضو الاجتماعي. لندن: كريونود

ولا شك أن نظرية (التطور الحديث)^(٤٠) المعاصرة التي استمدت افكارها من آراء هربرت سبنسر عدلت بعضاً من افكارها، وانكرت تفوق أي عنصر بشري على آخر، إلا أنها ربطت التغيرات الاجتماعية بحالة التوازن السياسي بين الافراد، وليس على اساس الصراع الاجتماعي. إلا أن ضعف نظرية التطور البيولوجي أو حتى التطور الحديث واضح، لأن دليلها المزعوم بالتفوق العرقي قد تحطم بعد ظهور تفوق المجتمعات الاسيوية حضارياً على مثيلاتها في أوروبا، ومثاله اليابان والصين؛ ولكن الذي يهنا بخصوص هذه النظرية هو ربطها التغيير الاجتماعي بوقائع التاريخ الاسلامي، فنتهنا بالتخلف وعدم القدرة على تقبل مفردات التغيير، إلا أن ضعف نظرية التطور - على الصعيد العلمي - يجعلنا نختصر الرد بالقول: إن واقعة الطف إنما صممت تكوينياً وفي عالم الثبوت من اجل التغيير والبناء الاجتماعي دون قيد الزمان أو المكان أو قابليات الافراد، فكل فرد له القابلية على التحسس بمشاعر الأثم والتضحية ونكران الذات، وكل فرد لديه القدرة على اكتشاف ملامح الكمال الاجتماعي عبر قراءة ذهنية صادقة لتلك الواقعة الدامية.

٥ - النظرية الموحدة في التغيير الاجتماعي، وهي نظرية تحاول أن تجمع بين نظريتي (التطور) و(الصراع الاجتماعي)، فتعتقد أن التغير الاجتماعي يمكن أن يفسر على أساس القاعدة الاقتصادية للمجتمع؛ فالمجموعات التي لا تختبر تحولاً في تركيبها التكويني لا تتقبل التغير في مؤسساتها الاجتماعية، اللهم إلا في حالة واحدة، وهي حالة الاحتلال العسكري؛ والتغير الذي يحصل ضمن حدود المجتمع الواحد يمكن أن يفسر بتفسير نظرية الصراع، لأن حصيلة الصراع الاجتماعي تعتمد على قوة الاستثمارات التي يستثمرها الافراد في مساعدة الحركة الاجتماعية أو الثورة في التغيير الاجتماعي^(٤١).

إلا أن (النظرية الموحدة) لا تستطيع تفسير الاثر الاجتماعي الذي أحدثته ثورة الحسين عليه السلام، لأن افراداً امثال هانئ بن عروة وعبد الاعلى الكلبى وعمارة بن صلحب الازدي من وجوه الكوفة الاجتماعية والاقتصادية، قاموا بنصرة الحسين وقتلوا من اجل التغيير الاجتماعي الديني المنشود، مع أنهم استثمروا

(٤٠) بيتر ستاين وآخرون، علم الاجتماع - نيويورك:

سكميلان، ١٩٨٨م.

ثرواتهم الواسعة في المجتمع؛ فالصراع لم يكن طبقياً بالمعنى الذي تعرضه
نظرية الصراع أو النظرية الموحدة. أما الفكرة التطورية فضعفها واضح كما
مر بنا، لأن واقعة الطف من الوقائع الثابتة في التاريخ الانساني، والتأثير الذي
انزلته بالمؤسسة الاجتماعية في ذلك الوقت، تستطيع أن تنزله بأي مؤسسة
اجتماعية في اي وقت آخر.

١١٤ (١٩٩٠) المجلد ١٤

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَعْمَلُ
بِهِ وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَنْتَهِي عَنْهُ
!؟ لَيْسَ غَيْبُ الْمُؤْمِنِ فِي لِقَاءِ اللَّهِ
مُحَقَّقًا فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا
سَعَادَةً وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ
إِلَّا بَرَمًا ...

سورة النمل
١٧٦

تحقيقات

✽ الشيخ

محمد واصل زاده

الفراساني

ترجمة: عباس الأسدي

مَنْزِلَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

مدخل

لو أردنا أن نحدد المكانة التي يحظى بها أهل البيت عليهم السلام وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله في المجتمعات الإسلامية، فلا بد من مراجعة المصادر التالية:

١ - كتب الأنساب، وهي كثيرة، وقد وقفت على ثلاثة منها تحتوي على فهرس بطبقات النسابين، وهي:

أ - منية الراغبين في طبقات النسابين للسيد عبد الرزاق كمونة الحسيني، مطبوع في النجف الأشرف سنة ١٣٩٢هـ، ويضم أسماء ٥١٨ شخصاً من علماء الانساب. وقد ذكر في بداية الكتاب مصطلحات علم الانساب، ثم أورد أسماء العلماء قرناً بعد قرن وحسب الحروف الهجائية.

ب - طبقات النسابين لأبي بكر زيد، مطبوع في الرياض سنة ١٤٠٧هـ، ويحتوي على أسماء ٥٨٨ شخص.

ج - طبقات النسابين، وهو لنسابة عصرنا آية الله المرعشي، وقد ورد ذكره في مقدمة السيد محمد صادق بحر العلوم على كتاب عمدة الطالب، لكنني لم أره، ويبدو أنه غير مطبوع.

إن العدد الكبير من المؤلفات التي كتبت في الانساب، إنما ألفت في الغالب

للتعريف بسلالة السادات التي ينتهي نسبها إلى الرسول ﷺ، أو بأنساب العرب الاخرى، أو قریش، أو جميع الانساب، وهذا يدل على سعة موضوع السيادة أو الاتصال بالنسب إلى رسول الله ﷺ وأهميته.

ويجدر بنا هنا أن نبين أن كتب الانساب على نوعين، فهي اما من النوع المبسوط أو المشجر، ويراد بالمبسوط ذكر النسب من الأعلى إلى الأدنى أي من الجد الأعلى إلى أبي الاسرة؛ أما المشجر فهو البدء من البطن الأسفل حتى الوصول إلى الآباء والأجداد^(١).

٢ - البحث في اسر نقيب السادات أو نقيب الاشراف التي تزخر بها كتب التاريخ وتراجم الرجال، ولا يحضرني حالياً ما إذا ألّفت كتب خاصة في النقباء وسلسلة النقباء أم لا.

ومهما يكن من أمر فإن تتبع ظهور هذا المنصب في البلدان الاسلامية في الادوار والمراحل التاريخية المختلفة، يساعد على معرفة مكانة السادات في العالم الاسلامي.

٣ - مطالعة سلاسل الملوك والامراء والحكومات التي تأسست على يد السادات ماضياً وحاضراً، ويمكن هنا مراجعة الكتب التي تتناول طبقات السلاطين في الاسلام.

٤ - دراسة حياة مشايخ الفرق الصوفية والطرق العرفانية وارباب السير والسلوك ماضياً وحاضراً، ومعظمهم يعتقد أنه من احفاد الرسول ﷺ، ويعتبر ذلك معيار مشروعية قيادته وزعامته للطريقة أو الفرقة.

٥ - دراسة سلاسل الطرق الصوفية، حيث تنتهي انسابهم إلى الإمام علي عليه السلام، وهذا بحث واسع جداً يستند على متابعة سلاسل مشايخ جميع الفرق الصوفية في جميع انحاء العالم الاسلامي، واكثرهم من أهل السنة؛ اذ يوجد في المناطق السنية الكثير من هذه الطرق التي تجد لها اتباعاً أكثر بين ابناء تلك المناطق، يكتّون وبدأ خاصاً تجاه أهل البيت عليه السلام.

٦ - القيام بدراسة حول مراقد ابناء الائمة واحفادهم، وهي تنتشر في جميع انحاء العالم الاسلامي وتحظى باحترام من قبل كل المسلمين.

(١) راجع مقدمة عمدة الطالب: ١٦.

٧ - دراسة أسرار كبار علماء الاسلام من الفقهاء والمفسرين والمتكلمين وغيرهم المنحدرين من اصول هاشمية.

مضافاً لذلك يمكن الوصول إلى معلومات قيمة في هذا المضمون، من خلال مطالعة كتب التاريخ لا سيما تاريخ المدن، كتاريخ البيهقي وتاريخ بغداد وتاريخ دمشق وخطط المقرئزي، والكتب التي تتناول مدن المغرب والاندلس وشبه القارة الهندية وغيرها.

ومهما يكن من أمر فإن منزلة ذرية النبي ﷺ هي من السعة بحيث لا ينافسها في ذلك منافس.

بعد أن اتضحت لدينا الموضوعات التي ترتبط بهذا البحث، والمصادر التي ينبغي الرجوع اليها لدى البحث في هذا الموضوع، نعالج فيما يلي باختصار الابواب التي تتعلق بهذا البحث.

فضائل أهل البيت ﷺ في الكتاب والسنة:

يبدو أننا لا نحتاج إلى كثير توضيح إذا ما قلنا: إن بعض آيات القرآن الكريم تطرقت تصريحاً أو إيماءً إلى أهل البيت ﷺ، ومنها آيات اولي القربى والمباهلة والخمس والانفال والتطهير وغيرها.

واوردت المجامع الروائية للمسلمين من الشيعة والسنة روايات في فضائل أهل البيت ﷺ ومودتهم، بحيث ألقت كتب مستقلة كثيرة واجزاء من الصحاح الستة وغيرها من المجامع الحديثية للفريقين حول هذا الموضوع. وهنا لا بأس أن نشير إلى مسألة يبدو لي أنها واضحة، وهي أن هذه النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة المروية عن جميع الفرق الاسلامية، تفرض على كل مسلم أن يواد أهل البيت ويحبهم؛ لأنه أمر محسوم لا يمكن الشك فيه قيد انملة؛ وعليه فإن فضل أهل البيت ﷺ ومحبتهم تعتبر من ضروريات الاسلام مثل الصلاة والصيام والحج وغيرها من ضرورياته؛ حيث يقف هذا الموضوع في مصاف الاولويات في الاسلام التي اعطاها الكتاب والسنة أهمية بالغة.

كثرة ذرية الرسول ﷺ:

لا توجد أسرة بحجم أسرة رسول الله ﷺ وذريته وسعتها وتشعبها كما وكيفاً، سواء قبل الاسلام أو بعده. ويكفي أن نلقي نظرة اجمالية على كتب الانساب لنذعن امام هذه الحقيقة الواضحة؛ ومثالاً على ذلك نشير إلى الكتاب المعروف عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب تأليف النسابة العراقي أحمد ابن علي بن حسين أبو العباس جمال الدين بن عتبة الداودي الطالب في الحسني (ت ٨٢٨ هـ)، إذ كتب هذا المصنف بطلب من أحد السادة، وكان صاحب قدرة ونفوذ، لتصحيح نسب السادات وكشف الانساب المزورة التي تدعي انحدارها من الرسول ﷺ؛ وقد ذكر اولاد عقيل وجعفر، ثم اولاد علي ﷺ، وقدم شرحاً وافياً حول هذا الموضوع، واعتبر أن خمسة من أولاد علي ﷺ خلفوا من بعدهم ذرية، وهم الحسن والحسين من نسل فاطمة، والعباس ومحمد بن الحنفية وعمر الاطرف من زوجاته الاخريات. والذي يهمنا هنا هو ذرية الامامين الحسن والحسين، فقال في اعقاب الحسين: إنهما خلفا اثني عشر سبطاً، ستة اسباط من الحسن وستة من الحسين، ثم اعتبر ذلك مصداقاً للحديث النبوي: «سيكون من ولدي عدد نقيب بني اسرائيل».

ففي الفصل الأول فصل الحديث عن ذرية الإمام الحسن ﷺ عن ولديه زيد والحسن المثنى، حيث أنجب الأول سبطاً واحداً هو الحسن بن زيد، وأنجب الحسن المثنى خمسة أولاد هم عبد الله المحض وإبراهيم وعمر وحسن المثلث وداود وجعفر، وأصبحوا جميعاً ستة اسباط من ذرية الإمام الحسن ﷺ.

وفي الفصل الثاني ذكر الاسباط الستة للإمام الحسين ﷺ، وقال: إن علي ابن الحسين زين العابدين هو الولد الوحيد الذي بقي على قيد الحياة بعد شهادة الإمام الحسين ﷺ، وأنجب ستة اسباط هم: محمد الباقر ﷺ وعبد الله الباهر وزيد الشهيد وعمر الأشرف والحسين الأصغر وعلي الأصغر.

وقد ذكر كتاب عمدة الطالب ذرية علي وفاطمة حتى القرن الثامن وبدايات القرن التاسع؛ لأن المؤلف توفي سنة (٨٢٨ هـ)، ولو أردنا أن نستمر في احصاء الذرية حتى يومنا هذا لبلغت اضعاف ما ذكره هذا الكتاب.

يشار إلى أن معظم النسابة هم من السادة المنحدرين في الأصل عن رسول الله ﷺ، ومنهم ابن عتبة الذي يذكر أسماءهم وينقل عنهم في أماكن مختلفة من الكتاب.

كما يلاحظ أن التقليد الذي سار عليه النسابة هو عدم ذكر ذرية الاناث والاكتفاء بذكر اسمائهن فقط، وإلا فإننا إذا أردنا أن نعد أولئك الذين يتصل نسبهم برسول الله ﷺ من الامهات فقط لضاعت بنا الصحف وتشعبت بنا السبل.

وفيما يلي اشارات إلى الأسر المنحدرة عن أصل نبوي في البلدان المختلفة:

في المغرب:

يتجاوز عدد السادة العلويين في المغرب المليون شخص، ففي سنة ١٧٢ هـ انتفض في هذه المنطقة ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الأخ الأصغر لمحمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بـ «ذي النفس الزكية» (ت ١٤٥ هـ)، وأقام هناك سلسلة الادارسة، وخلف هو وأخوه يحيى ذرية كثيرة ما زالوا إلى يومنا هذا.

وقد التقيت في المغرب بشخصيات عديدة تصل انسابها إلى ادريس بن عبد الله ويحمل افرادها لقب الإدريسي، وتصل سلسلة ملك المغرب الحالي إلى محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية؛ حيث هاجر اجداده في القرن الهجري التاسع من الحجاز إلى المغرب، وهو ليس من ادارسة المغرب وإنما من أبناء اعمامهم ومن اشراف مكة.

وثمة شخصيات كثيرة وأسر كبيرة في المغرب يحمل أفرادها لقب العلوي، وتحظى باحترام خاص من عامة الناس الذين يطلقون على الفرد منهم لقب «السيد» أو «سيدي» بالتعبير المحلي؛ ففي زيارتي الأولى للمغرب قبل ٢٣ عاماً قال لي مرافقي وكان طالباً إيرانياً لدى مشاركتي في صلاة الجمعة الرسمية في جامع الحسن الأول: إن الصفيين الأولين للصلاة يشغلهما العلويون احتراماً لهم. واتذكر أن الخطيب قال في تلك الصلاة بعد الحمد والثناء والسلام

على النبي وآله واصحابه وعلى الخلفاء الراشدين، هذه العبارة: «وعلى ابنته فاطمة الزهراء وعلى امها خديجة الكبرى وعلى ابنيها الحسن والحسين رضي الله عنهما»، ومثل هذه العبارة لا تذكر عادة في خطب الجمعة في مناطق أهل السنة، ويكتفي الخطباء بالصلاة على محمد وعلى آله واصحابه والخلفاء الراشدين.

في اندونيسيا:

تعيش في اندونيسيا التي تعتبر أكبر بلد اسلامي من ناحية النفوس (١٥٠ مليون نسمة) اسرة كبيرة تسمى الاسرة العلوية، وتلقى احتراماً خاصاً في اوساط الشعب عبر التاريخ وتتسم معظم المناصب الرفيعة في الدولة، ومن الاشخاص البارزين في هذه الاسرة الشيخ الجليل السيد «أسد شهاب»، وله تأليف اسلامية عديدة، وكان يشغل منصب السكرتير الخاص لأول رئيس اندونيسي الدكتور أحمد سوكارنو، حيث ألف عنه كتاباً كشف فيه جانباً من معتقداته وميوله الشيوعية، وأهداني هذا الكتاب في أول لقاء لي به في لبنان قبل ٢٣ عاماً. والتقيت به مرة اخرى سنة ١٩٦٥م في مكة المكرمة في مقر رابطة العالم الاسلامي، وكان حينئذ يمثل بلاده فيها، وقد عاد هذا الاتصال به منذ ثلاثة أعوام بلحاظ مسؤوليتي في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، وزار ايران مرتين، الأولى لحضور المؤتمر السادس للوحدة الاسلامية الذي نظمه المجمع، والثانية للمشاركة في المؤتمر العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ولا زال الاتصال به مستمراً. وقد سألته يوماً عن نسبه إلى من يعود، فاجاب أنه من اعقاب علي بن جعفر الغريضي ابن الإمام الصادق (عليه السلام)، وأن اجدادهم هاجروا من حضرموت على ساحل البحر الهندي إلى اندونيسيا، وكانوا شيعة في الأصل، إلا أنهم اختاروا المذهب السني الشافعي بعد مدة لابتعادهم عن مراكز العلم الشيعية.

وقال أيضاً: إن العلويين في تلك الديار احتفظوا بنسبهم أيضاً، ويوجد حالياً عدد منهم في حضرموت وفي سلطنة عمان حيث تبوءوا مناصب عليا

في تلك الدولة. ومن هذه السلسلة أيضاً السيد محمد بن عقيل صاحب كتاب «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية»، ومنهم أيضاً كاتب شاب يلقب بالسقاف في الأردن وقد ألف كتاباً في الرد على العالم السلفي المعروف الشيخ محمد ناصر الدين الالباني، وغالم آخر باسم السيد عبد الله العلوي في اللاذقية. على أية حال، فإنه من غير المعروف على وجه الدقة نفوس العلويين في اندونيسيا وحضرموت وعمان، وربما وصل عددهم إلى مئات الآلاف، وبرزت من بينهم شخصيات معروفة امثال أسرة «الحبشي» العلمية.

في اليمن:

هناك عدة أسر زيدية يعود اصلها إلى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام تقيم في اليمن منذ نحو ١٢٠٠ عام. ويحظى السادة في اليمن باحترام خاص سواء اولئك الذين بقوا على المذهب الزيدي أو الذين التحقوا بالمذهب الشافعي رغم انتهاء نظام الامامة في تلك الديار؛ إلا أن عواطف الشعب اليمني كلها عواطف شيعية؛ لأنه كان بلد أهل البيت شأنه في ذلك شأن العراق وايران. ويشترط الزيدية في الإمام أن يكون من ابناء فاطمة وعلي، ومن ذرية الإمام الحسن أو الإمام الحسين عليهما السلام، وأن يكون فقيهاً وعادلاً وقائماً بالسيف، بينما يعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأن الامامة تنطبق على افراد محددين من ذرية الإمام الحسين عليه السلام يتصفون بالعصمة، وهم الأعلم والأتقى والأشجع من غيرهم.

في العراق:

سكنت الأسر العلوية في الكثير من مدن العراق منذ عهد الإمام علي عليه السلام، فقمطنت بغداد والنجف وكربلاء والكاظمية والحلة والبصرة وسامراء وغيرها. ومعظم السادة في كربلاء والنجف والكاظمية هم من الأسر العلمية المعروفة أمثال: بحر العلوم والطباطبائي والشيرازي والقزويني والطالقاني والصدر والحكيم وغيرهم.

وقد استلم سداة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف والكاظمية سادة اجلاء، أما سداة العتبات المقدسة في سامراء، فهم من السادة السنة، وقد قال لي أحد العراقيين المقيمين في قم: إن سادات سامراء هم من أولاد جعفر أخي الإمام الحسن العسكري، حيث ادعى جعفر بعد أبيه الإمامة، ويبدو أنه تاب بعد ذلك وتوفي سنة ٢٧١ هـ

وفي بغداد أيضاً توجد أسر سنية يعود نسبها إلى الإمام علي عليه السلام، ومنها اسرة الالوسي صاحب التفسير المهم «روح المعاني».

في الحجاز:

ينحدر اشراف مكة الذين تسلموا امارتها أكثر من ألف عام عن الإمام الحسن المجتبي، وآخر امراء هذه السلسلة الذين حكموا مكة الشريف حسين أبو ملك العراق فيصل وملك الأردن عبد الله، وكان آخر ملك للعراق فيصل الثاني حفيد الملك فيصل الأول، وآخر ملك للأردن هو الملك حسين حفيد الملك عبد الله.

وتعيش على ساحل الخليج في ينبع أسر من السادة الحسينية، كما يوجد في المدينة السادة المعروفين بالنخالة، ولا أدري بالضبط أكانوا من الحسينية أم الحسينية. ومهما يكن من أمر فإن مكة والمدينة وغيرها من مدن الحجاز الكثير من الأسر العلوية تخشى أن تكشف عن اصولها خوفاً من الوهابيين. وفي مكة تعيش اسرة «السيد العلوي المالكي» وعميدها السيد عباس العلوي المالكي، وقد التقيت به مرة، وله اتباع في الشام وأفريقيا؛ وكان مدرساً رسمياً في المسجد الحرام، وقد حلّ محله ولده الدكتور محمد العلوي المالكي.

في مصر:

تضم مصر الكثير من الأسر التي تنتمي إلى رسول الله ﷺ، ومعظم مشايخ الطريقة أو عامتهم هم من السادة، وتوجد في مصر العليا، وفي مدينة اسوان خصوصاً، طائفة باسم الجعافرة، ويتسم افرادها بالشجاعة والقوة،

ويعتقدون بأنهم من ذرية جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وقد التقيت ليلة بمجموعة منهم في أحد مقاهي اسوان، واكدوا لي أن لديهم شجرة تثبت نسبهم هذا، ومن العجيب أن حركات بعضهم اثناء الكلام تماثل حركات ابناء المرحوم آية الله القمي.

وعلى الساحل المقابل لمدينة اسوان هناك جزيرة معظم سكانها من الجعافرة، ومنهم الكاتب المصري المعروف عباس محمود العقاد الذي يذكر حب أسرته لأهل البيت عليهم السلام في كتابيه «فاطمة الزهراء» و«أنا». ورغم أنه لم يذكر بصريح العبارة أنه ينتسب لهم، إلا أنه يشير ويؤكد على الود والتقدير الذي تكنه أسرته لأهل البيت ولفاطمة الزهراء عليها السلام على الخصوص. ويقع قبر العقاد في ميدان إلى الشمال من سد أسوان، حيث تدور حوله السيارات القادمة من السد والمتجهة إليه، وإلى جانب هذا الميدان، وعلى سفح جبل قريب، توجد عدة مزارات يحج إليها الناس يقال إنها اقيمت لتخليد ذكرى بعض السادة المنتسبين إلى أهل البيت عليهم السلام.

وعلى أية حال فإنه يمكن التقصي عن جذور هذه الاسرة تاريخياً بالرجوع إلى كتاب «عمدة الطالب» ومن المحتمل أنها تعود إلى جعفر بن أبي طالب. ومما لا شك فيه أن المصريين يكونون ودأ غير محدود لأهل البيت، ومن خلال مراجعة سريعة لاسماء المشتركين في دائرة هواتف القاهرة مثلاً يلاحظ أن معظم ابناء العاصمة يتسمون باسماء أهل البيت من مثل: حسن وحسين وحسينين. إلا أن الملاحظ أيضاً ان هذه المودة تنعكس في الغالب من خلال الاحتفالات ومناسبات الفرح، وقد زرت على سبيل المثال مسجد رأس الحسين يوم عاشوراء، فلم الحظ شيئاً من الحزن هناك ولا في القاهرة، وكان معي العالم الشيعي السيد طالع الرفاعي فخطب الناس وذكّرهم بيوم عاشوراء يوم استشهاد الإمام الحسين، فلم يترك كلامه اي تأثير فيهم، غير أنني سمعت بوجود تكية للشيعة منذ القدم كانت تقام فيها مراسم العزاء.

ويقول السيد محسن الأمين العاملي في الجزء الثاني من كتابه «معادن الجواهر» حول زيارته الثانية إلى مصر: «نعم نعم لهم (أي الشيعة) تكيّتان (في

مصر) احدهما للفرس والأخرى للترك يقام فيهما عزاء سيد الشهداء ارواحنا فداه في أيام عاشوراء، ويبدل الطعام الوافر كل ليلة ويحضر من المصريين وغيرهم حتى الافرنج جمعٌ غفير. ومن المؤسف أن خطباء وقراء ذلك المحفل العظيم ليست فيهم الكفاءة لذلك المنصب الجليل».

ثم يقول: «إن من أهم الامور ايجاد مدارس لقراء التعزية يتعلمون فيها النحو والصرف بما يستطيعون به حفظ السننهم من الغلط....».

وكانت له ﷺ مثل هذه المدارس في الشام.

ويشير العارفي في كتابه إلى وجود مجموعة كبيرة من الايرانيين تعيش بترف في مصر، ويعرب عن أسفه لعدم قيامها بتعلم فرائضها. ولقد رأيت بعض لوحات المحلات التجارية في اطراف مسجد رأس الحسين، باسم الاصفهاني أو الخراساني، ويبدو أنهم ذابوا في المجتمع المصري.

في السودان:

توجد في السودان عدة بطون من السادة، لا أعرف منها شخصياً سوى سلسلة الميرغني التي سنتطرق اليها فيما بعد.

ولدى زيارتي لبقعة (المهدي) التقيت بامام الجماعة هناك وكان يعتبر نفسه شيعياً من حيث اعتقاده بالمهدي، ولدى طرحي لموضوع التقريب بين المذاهب أكد لي أنه من الشيعة وأنه من اسرة الخليفة المهدي. وقد قدّم لي شجرة انتسابه للمهدي ويبدو أنها لم تكن صحيحة؛ لأنها تصل إلى الإمام العسكري عبر وسائط قليلة، فضلاً عن وجود اسماء لاولاد الإمام الحسن العسكري ليس لهم وجود حقيقي، ومن المعتقد أن الذي نظم هذه الشجرة اراد أن يوصل بين المهدي والإمام العسكري والد الإمام المهدي(عج) بشكل من الاشكال.

وإلى جانب قبر المهدي في نفس تلك البقعة، وتحت ضريح واحد، يوجد قبران لخليفتي المهدي، وقد لاحظت شجرة الخليفة الأول وربما كانت صحيحة؛ وعلق على جدار المزار الراية التي كان المهدي يرفعها في معاركه

مع الانجليز. ويحظى المهدي في السودان باحترام وتقدير كبيرين، واصبح يمثل رمز الجهاد ضد الاجانب، ويلاحظ مزاره الذي يقع في منطقة الجزيرة في الخرطوم من جميع مناطق العاصمة، ويعتبر الصادق المهدي حالياً من ابرز افراد هذه الطائفة، وله حزب باسم حزب الامة، وكان رئيساً لوزراء السودان.

في افغانستان وآسيا الوسطى وتركيا:

يوجد في هذه البلاد الكثير من السادة شيعة وسنة، ولا زالت أسرة الاسدآبادي الذي يلقب بالافغاني خطأ تقطن قرية بهذا الاسم، كما يوجد بين افغانستان وايران وفي سمرقند وبخارى وغيرها من المدن في هذه المنطقة الكثير من الأسر التي تنتمي إلى آل بيت الرسول ﷺ ؛ وفي تركيا أيضاً هناك الكثير من السادة في صفوف السنة. أما العلويون فكانوا في الأصل من الشيعة الاثني عشرية ثم اصبحوا طائفة منفصلة، ولقبوا بالعلويين لحبهم لعلي عليه السلام وغلو بعضهم فيه، وليس لأنهم من ذريته كما هو حال العلويين في المغرب واندونيسيا.

في شبه القارة الهندية:

تضم الهند العديد من الأسر العلوية التي برزت منها شخصيات معروفة، وسادة «البتنه» هم من السادة الذين صح نسبهم، واصلهم من علوي نيسابور، أي إن اجدادهم هاجروا من نيسابور إلى الهند، ومن سادات «البتنه» المعروفين اسرة صاحب العبيقات واسرة ابو الأعلى المودودي واسرة الإمام الخميني واسرة أبو الحسن الندوي كما قيل. وقد زرت قبل عدة سنوات مكتبة صاحب العبيقات واحسست بالفرح يغمرني حينما كنت اتطلع إلى ما تضمنه من نسخ مخطوطة نادرة، وشعرت بالاسف والحزن أيضاً حينما كنت لاحظ أن بعضها كان متأكلاً قد أتت عليه حشرة الارضة.

ولاحظت هناك شاباً في سن السابعة عشرة من احفاد صاحب العبيقات له قرابة من الاجداد بالإمام الخميني، وكان قريب الشبه باولاده وكأنما هو

اخوهم الاصغر.

وينحدر بعض السادة في الهند من الإمام زين العابدين عليه السلام ومنهم الاستاذ في جامعة دلهي وجامعة عليكرة البروفسور عابدي، الذي قال لي إنهم أسر متعددة اتخذت كل أسرة منهم لقباً خاصاً بها، فمنهم من تلقب بالعابدي ومنهم زين العابديني ومنهم بالسجادي.

كما التقيت بالعلامة السيد عبد الله البخاري امام الجمعة والجماعة في المسجد الكبير بدلهي، وقال: «إن الشاه جهان حينما بنى مسجد دلهي قبل اربعمائة عام تقريباً، وجّه الدعوة لجدنا الاعلى السيد عبد الغفور شاه سلطان من بخارى لإمامة المصلين في المسجد، واستمرت امامته فينا حتى هذا اليوم، وأنا الإمام الثاني عشر لهذا المسجد، وانتمي من الأب إلى الحسن والحسين ومن الأم إلى الإمام الرضا».

وقال أحد افراد حاشيته: إن اجدادي هاجروا من مشهد إلى الهند قبل مئتي عام، وأنا من السادة الرضويين.

وينتشر السادة الرضويون والنقويون في الهند والباكستان، وهم من اولاد الإمام الهادي عليه السلام، ومنهم اسرة السيد احمد خان مؤسس الجامعة الاسلامية في عليكرة، وقد زرت هذه الجامعة التي توجد مقبرة اسرة السيد احمد خان إلى جانب باحة مسجدها، شجرة هذا الرجل على جانبي المدخل، وينحدر اصله من الإمام الهادي عليه السلام، ووضعت صورته فوق جهة رأسه، وله طلعة بهية مهيبة بلحية بيضاء كثة، وكتب اسفل الصورة بيت من الشعر بالفارسية.

ولا شك في أن هذه الأسرة كانت شيعية في الماضي، واحتفظت حتى يومنا هذا - كما قيل - ببعض آثار التشيع، ومنها الافتخار بالانتماء النسبي، والسيادة، والحب الشديد لأهل البيت، إلا أن سيطرة الحكومات السنية المتعصبة على الهند دفعتها لتغيير مذهبها أو التكتم على تشيعها.

وربما كان الرضويون المؤسسون للجامعة الاسلامية في حيدر آباد ينحدرون من نفس هذه السلسلة، وتتكون هذه الجامعة من مدرسة كبيرة جداً قد أتى على بنيانها الزمن، يتلقى فيها العلم الناس من مختلف الاعمار من الطفل

الصغير حتى الرجل الكبير، وامكانياتها في غاية الضعف والفقر، ويرأسها سيد طاعن في السن يعطي دروساً لطلبة مرحلة الدكتوراه، وهي عبارة عن (مطول التفاتزاني)، وتقع إلى جانب غرفته غرفة دار الافتاء، حيث تجيب هيئتها عن اسئلة الناس طبق المذهب الحنفي، يقول احد افراد الشورى وهو امام لجماعة (مكة مسجد) في حيدر آباد: «إننا نعمل هنا لتأهيل ائمة الجمعة والجماعة» وقد اعرب عن وده وحبه للمذهب الشيعي وايران واستيائه من الوهابية، وقال: «رغم أن الحاجة تضغط علينا، إلا أننا لا نستلم المساعدات السعودية».

وقد اعطاني رئيس الجامعة واسمه السيد عباس كراسات شعر له ولأبيه في مدح النبي وأهل البيت، واستيقنت بعد قراءتي للأشعار أن اباه كان شيعياً لكنه كان يمارس التقية.

واتضح أن مؤسس هذه المدرسة كان رجلاً عالمًا عارفاً ينتمي إلى أحد الطرق الصوفية ويشجع عليها. وقد حكم حيدر آباد الشيعة والسنة في فترات متناوبة، حيث كان الشيعة يتسترون على انتمائهم المذهبي اثناء فترة الحكم السني، فاصبح ابناؤهم من السنة مع احتفاظهم بالمودة لأهل البيت (عليه السلام).

وحكم في منطقة (ملتا) الهندية أحد السادة وخلف ذرية كبيرة تبلغ نحو ٢٥٠ ولداً دون واسطة، فامتلات تلك المنطقة بالسادة من ذرية أهل البيت (عليه السلام). ويعيش في كشمير أيضاً سادة برزت منهم شخصيات كبيرة، وتوجد أسر كريمة في كربلاء والنجف تلقب بالكشميري، ولعل من ابرز الشخصيات التي برزت في العراق العالم والعارف ومعلم الاخلاق السيد مرتضى الكشميري، حيث التقيت بعدد من الذين تلقوا عنه العلوم والمعارف، ومنهم المرحوم السيد عبد الغفار المازندراني، والمرحوم الشيخ علي القمي، والشيخ مرتضى الطالقاني في النجف، والمرحوم السيد هاشم النجف آبادي في مشهد.

في الصين:

جاء في كتاب «حاضر العالم الاسلامي» أن السيد شمس الدين هاجر إلى الصين في القرون الماضية ونشر الاسلام في تلك الاصقاع.

أما عن هوية السيد شمس الدين فقد قال لي السيد «يحيى احمد» الطالب في جامعة العلوم الاسلامية الرضوية في مدينة مشهد المقدسة.

يعتبر شمس الدين الملقب بالسيد الأجل ابرز شخصية دينية وسياسية اسلامية في الصين، ويبدو أنه جاء من بخارى إلى الصين مع التتر في القرن السابع، ويحتمل أنه كان من سادة تلك المنطقة، ويقع مزاره حالياً في مقاطعة «يونان» جنوب غرب الصين، حيث يكن له المسلمون في الصين احتراماً خاصاً، وتعيش أسرته حتى الآن في منطقة «ناجاين» في هذه الولاية، وقد بلغ قوامها نحو ٢٠٠٠٠ شخص، وأنا أحدهم، ويتصل السيد شمس الدين بالنبي ﷺ من خلال ٣٦ واسطة، وهو الامر الذي نستعده، لأن هذا العدد يعتبر كبيراً في الفترة الفاصلة بين عهد النبي والسيد شمس الدين الذي عاش قبل ستة قرون.

وأضاف هذا الطالب الجامعي قائلاً: إن شعائر يوم عاشوراء تقام حتى الآن في تلك المنطقة، كما تحتفل النسوة المسلمات بذكرى ولادة فاطمة الزهراء ﷺ.

في اليونان:

جاء في خاتمة كتاب «حياة ابي الفضل العباس» لآية الله المرعشي حول اعقاب أبي الفضل: تعيش أسرة كبيرة من اولاد العباس في اليونان.

في ايران:

لا يمكن حصر سلالات السادة في ايران وتشعباتها لكثرة عددهم، ففي كل مدينة وقرية توجد أسرة أو أسر عديدة من ذرية النبي ﷺ، بل إن سكان بعض القرى كلهم من السادة بلا استثناء كما في منطقة «قدمكاه» في نيسابور وقرية في كردستان، ويحظى السادة في ايران باحترام خاص وتقدير كبير حتى وإن كانوا من الطبقة الاجتماعية الدنيا، ولقد رأيت أن بعض العلماء لا يتقدم على السادة في المجالس.

وفي مدينة مشهد المقدسة يسكن عدد كبير من السادة الرضويين

والحسينيين وغيرهم، كما يقطن في قم سلسلة من السادات الرضوية والبرقية من اولاد «موسى المبرقع».

وتوجد في اصفهان العديد من سلاسل السادات امثال العاملين ومنهم آية الله الخادمي، والروضانيين من اعقاب السيد محمد باقر صاحب «روضات الجنات» والميرداماديين من اخلاف بنت الفيلسوف الشهير الميرداماد، والابطحيين وغيرهم كثير.

كما يوجد الكثير من السادة في شيراز وكرمان ويزد وشوشتر وخوزستان وطهران، وتبريز التي برزت فيها أسرة العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان التي تنقسم بدورها إلى فرعين: القضاة وشيخ الاسلام، والأول كلهم قضاة أباً عن جد، وكانت بحوزة العلامة الطباطبائي رسالة عن جده الاعلى يوصي بها اولاده بعض الوصايا.

وعرفت في بروجرد أسرة الطباطبائي ومنهم آية الله العظمى البروجردي، وجدهم الاعلى السيد محمد الطباطبائي الحسيني الحسيني، وقد تطرقت بالتفصيل إلى هذه الاسرة في أول كتاب رجال آية الله البروجردي، ومنهم أيضاً عائلة الطباطبائي وأسرة بحر العلوم في كربلاء.

نبوءة القرآن:

ما ذكرته كان غيضاً من فيض، ويمثل دون مبالغة مصداقاً واضحاً لسورة الكوثر المباركة التي نزلت - حسب اراء معظم المفسرين من الفريقين - في ذرية رسول الله ﷺ، أو هو على الأقل وجه من وجوه تفسير هذه السورة، وما يؤيد ذلك آية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، رغم أن بعض المفسرين المتأخرين امثال المراغي لم يذكر هذا الشيء ولو من باب الاحتمال.

ولكن هل من شك في وصف فاطمة بالكوثر بعد كل هذه الذرية التي لا تحصى، بينما لم يبق من بنات الرسول ﷺ الاخريات آية ذرية؟

وهذه الكثرة لا تنحصر في الكم فقط، وانما تعتبر فاطمة كوثرأ في الكيف أيضاً، حيث برزت من ابنائها شخصيات كبيرة غيرت مجرى التاريخ، وهذا هو

خبر من الاخبار الغيبية للقرآن ومن وجوه اعجاز هذا الكتاب السماوي. ولا شك أن كثرة ذرية النبي ﷺ من ابنته فاطمة يبعث على العجب، ذلك أن التاريخ يحدثنا عن مذابح قام بها بنو امية وبنو العباس ضد هذه الذرية الطاهرة، إذ لم تقتصر هذه المجازر بشكها الفردي، وانما كانت تُنفذ احياناً بصورة جماعية، كمذبحة بني الحسن بامر المنصور الدوانيقي، ومذابح الفاطميين في مصر بعد استيلاء صلاح الدين الايوبي على مصر.

العدد التقريبي للسادة:

من المناسب أن نشير في هذه الفقرة من الموضوع إلى العدد التقريبي للسادة في العالم، بعد أن تطرقنا إلى نبذة عن توزيعهم الجغرافي؛ لأنه ليس بمقدورنا احصاء عدد دقيق لهم، كما يستحيل الاحصاء التقريبي لنفوس السادة ما لم نراجع شجرات السادة كلها.

قبل اربعين عاماً ونيف حاول أحد السادة في مشهد احصاء عدد ذرية الرسول ﷺ واحياء تقليد النقابة، وربما كان يرغب في أن يتبوأ بنفسه منصب «نقيب النقباء»، وقد سمعت منه ومن غيره حينذاك أن نفوس السادة في العالم يبلغ نحو ٦٠ مليون نسمة وهذا الرقم بالطبع ليس احصاءً دقيقاً ولا موثقاً، وإنما هو تخمين ليس غير.

اقتراح تجديد النقابة:

في أحد مواسم الحج، وفي ندوة مجمع أهل البيت (عليه السلام) في مكة المكرمة، القيت كلمة قصيرة حول السادة في العالم، واقتُرحت بأن يتولّى قائد الثورة الاسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي متع الله المسلمين بطول بقائه، احياء تقليد قد عفا عليه الزمن، ألا وهو نقابة السادات، فما أجدر بقائد الثورة أن يحيي هذه السنة الحسنة، بعد أن أحييت الثورة الاسلامية الكثير من السنين المنسية؛ فهو سيد حسيني، ويمكن أن يتولّى بنفسه مسؤولية النقابة أو أن يعيّن أحداً من السادة الاجلاء لها، ويؤسس مؤسسة كبيرة لذلك.

ولابد أن مثل هذا العمل سيكون له مردود ايجابي وانعكاس طيب في جميع انحاء العالم الاسلامي؛ حيث يمكن بتحقيق هذا الاقتراح ربط جميع الاسرة التي تنحدر عن الرسول ﷺ ببعضها؛ ويستطيع نقيب السادات أن يعين في كل منطقة نقيباً يقوم بالتحري عن سلالات السادات ويحصيهم ويحقق في صحة انتمائهم. ويبدو أن منصب النقابة استحدث في السابق لتحقيق عدة أهداف:

الأول: التحقيق في نسب مدعي السيادة، لتمييز صحة هذا الادعاء من عدمه، وهذا هو أحد الاهداف التي نشدها مؤلف كتاب عمدة الطالب.

الثاني: التحري عن وضعهم المعاشي وتقسيم الخمس بينهم.

الثالث: كتابة شجرة كل سلالة من سلالات السادة.

واعتقد أن هذا المنصب الذي استحدث في العهد العباسي انطوى أيضاً على هدف سياسي، فكان نقيب السادات يراقب التحركات السياسية للسادة، لأن جهاز الخلافة كان يعاني من قيام الأسر العلوية ضده باستمرار. ومهما يكن من امر فإن ايجاد هذا المنصب هو الذي يمكن من احصاء عدد السادة المنتشرين في اصقاع العالم، ولابد لتحقيق ذلك من الاستعانة بكتب الانساب والآثار التي خلّفها النسابون، ولاسيما المعاصرون منهم امثال آية الله العظمى المرعشي النجفي رحمه الله.

شخصيات بارزة من السادة:

ما ذكرناه سريعاً حتى الآن مثل البعد الكمي للسادة، وهناك بعد كيفي لا بأس بأن نطرقه وإن كان بصورة عاجلة أيضاً.

لا شك أن الانتساب للنبي ﷺ يبعث على الفخر ويجلب الاحترام والتقدير، ولهذا كان السادة يحظون بمناصب عليا، وينالون من العلم والادب ما يؤهلهم لتلك المناصب الدينية أو السياسية أو الاثنين معاً.

وسبق أن ذكرت أنه توجد الكثير من الشخصيات والاسر التي تنتمي في نسبها إلى الرسول ﷺ حظيت بمنزلة رفيعة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

ملوك السادات وامراؤهم:

كثيرة هي سلالات الملوك والامراء والخلفاء من ذرية رسول الله ﷺ، بحيث امتد بعضها إلى يومنا هذا؛ ويتضح من مراجعة كيفية تسنمهم لتلك المناصب أن صفة السيادة والزعامة الدينية كان لها تأثير كبير في ذلك.

لنبدأ من المغرب، ومن السنة ١٧٢هـ بالتحديد، حيث بدأت سلسلة الادارسة بواسطة المولى ادريس الأول بن عبد الله بن الحسين الأخ الأصغر لمحمد ذي النفس الزكية الشهيد سنة ١٤٥هـ واستمرت حتى سنة ٢٧٥هـ وحكم خلال هذه الفترة عشرة من الادارسة، ولا زالت اعقاب هذه الاسرة وذرياتها تعيش حتى يومنا هذا ويحملون اللقب نفسه أي الإدريسي، ومنهم سلسلة (ادريس السنوسي) التي سنأتي على ذكرها، كما حكم من اعقاب الادارسة في الاندلس (اسبانيا حالياً) في عهد ملوك الطوائف تسعة من بني حمود ما بين سنة ٤٠٧هـ و٤٤٩هـ وذلك في شكره (مالقه) على الساحل الجنوبي الشرقي للاندلس، والامراء الحموديون في الجزيرة الخضراء على ساحل مضيق جبل طارق بين سنة ٤٣١هـ إلى ٤٥٠هـ للهجرة.

كما حكم المغرب بعد الادارسة ملوك آخرون ادعى بعضهم السيادة كالموحدين، ولكن لم يثبت ذلك، حتى تسنم الحكم الاشراف الحسنيون في القرن العاشر، وهم ينقسمون إلى فرعين:

١ - اشراف السعدي الحسني، أو السعديون، حيث بدأ حكمهم سنة ٩١٧هـ وانتهى سنة ١٠٦٩هـ في شمال المغرب وجنوبها، والمؤسس له هو محمد المهدي القائم بأمر الله الذي توفي سنة ٩٢٤هـ

٢ - اشراف الفلالي، وهي السلسلة الحالية، وهم حسنيون أيضاً، ومنهم محمد بن محمد الشريف المعروف بابن الشريف المتوفى سنة ١٠٧٥هـ؛ وقد حكمت هذه السلسلة المغرب حتى يومنا هذا، وكلا هذين الفرعين ينحدر من محمد ذي النفس الزكية اخي ادريس الأول؛ وتوجد شجرة هذه العائلة في المسجد الجديد عند قبر ادريس الأول والمسجد الكبير في الدار البيضاء على ساحل المحيط الاطلسي.

وفي ليبيا حكم السنوسيون هذا البلد قبل مجيء القذافي إلى السلطة، ومؤسس هذه السلسلة هو السيد محمد بن علي السنوسي الكبير الإدريسي الذي ولد في الجزائر سنة ١٢٠٢هـ ثم اتخذ مسلماً صوفياً وأسس سنة ١٢٥٣هـ في مكة المكرمة الطريقة السنوسية، ثم انتقل إلى ليبيا، وبني هناك عدة زوايا (خانقاه) وكان مركزه في (جغبوب) على الحدود المصرية حتى سنة ١٣١٤هـ، ثم انتقل إلى الزاوية البيضاء، وقد قاد هذا الرجل الجهاد ضد الجيوش الفرنسية؛ وتوفي سنة ١٢٧٦هـ فقام مقامه ولده محمد المهدي الذي حمل هذا اللقب لا لأنه ادعى المهدوية وإنما أطلقه الناس عليه؛ ذلك لأن عقيدة انتظار ظهور المهدي في قلوب الناس كانت قوية هناك بعد القرن الثامن عشر. وبعد وفاته سنة ١٣٢٠هـ تسلم السلطة ولده محمد بن محمد إدريس الأول، وتلاه ولده السيد محمد رضا السنوسي، حتى انقرضت هذه السلسلة على يد القذافي.

ويمكن مراجعة كتاب «المهدي السنوسي» لمحمد الطيب بن إدريس الأشهب المطبوع في طرابلس للوقوف على تفاصيل أكثر عن السلسلة السنوسية.

أما في مصر وجزء من شرق أفريقيا ووسطها، فقد حكم الفاطميون بين سنتي ٢٩٧ و٥٦٧ هـ، ونافسوا الخلافة العباسية في بغداد وأوشكوا في بعض الأحيان أن يتغلبوا عليها. ويقول الفاطميون إنهم من نسل اسماعيل بن جعفر ابن محمد، رغم أن بغداد كانت تنكر هذه النسبة على الفاطميين.

وحكمت في اليمن عدة سلاسل من الأئمة الزيدية فقد حكم أئمة الرس منذ سنة ٢٨٠ حتى ٧٠٠هـ، ومؤسس هذه السلسلة هو القاسم بن الحسين الرسي. وبدأت الإمامة الزيدية في صنعاء من سنة ١٠٠٠هـ تقريباً، وانتهت بالقضاء عليها قبل سنوات بانقلاب عسكري، وكانت اليمن منذ البدء تُوالي الإمام علياً عليه السلام ولاسيما قبيلة حمدان الباقية على ولائها حتى يومنا هذا.

وفي الحجاز حكم الأشراف الحسنيون قروناً عديدة، حتى سقط آخرهم الشريف حسين على يد الوهابيين بمساعدة الإنكليز، الذين خدعوه أيضاً

وآبوه على الخلافة العثمانية لبسط سلطته على كل الدول العربية.

وحكمت في ايران عدة سلالات من السادة، فقد حكم علويو طبرستان وهم من السادات الحسينيين بين سنة ٢٥٠ - ٣١٦ هـ، ومؤسس هذه السلسلة الحسن ابن زيد الداعي، وفي جنوب ايران حكمت السلسلة المشعشعية من اعقاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ومؤسس هذه السلسلة السيد محمد المشعشع وقد ادعى المهديوة، وسيطر بعد معارك مع السلطة المركزية سنة ٨٦١ هـ على منطقة خوزستان وجزء كبير من العراق، وجعل عاصمته مدينة الحويزة حتى مات سنة ٨٦٦ هـ، واعقبه اولاده في الحكم، وللمزيد من الاطلاع عن اوضاع هذه السلسلة يراجع كتاب «اعلام العرب» تحت اسم محمد بن فلاح بن هبة الله. وسيطرت السلسلة الصفوية، التي ادعت السيادة هي الاخرى واعتبرت أن نسبها يعود إلى الامام موسى بن جعفر عليه السلام، على كل ايران من سنة ٩٠٧ - ١٣١١ هـ، وامتد سلطانها إلى دول مجاورة اخرى كافغانستان وبلاد ماوراء النهر حتى حدود ارمينيا وجورجيا، وكانوا في البدء شأنهم شأن السنوسيين في ليبيا والاشراف في المغرب اصحاب طريقة صوفية اسسها جدهم الاعلى صفي الدين الارديبيلي، وقد بدأت خلافة هذه الاسرة بالشاه اسماعيل الصفوي وانتهت بالشاه سلطان حسين.

هذا، وقد حكم امراء آخرون من السادة اجزاء من ايران خلال القرون المنصرمة.

وقد لاحظت في كتاب مخطوط أن مؤلفه احتج على مفتي الديار العثمانية بأن الرسول صلوات الله عليه قال: «الائمة من قریش» وأن الخلفاء العثمانيين ليسوا قریشيين، واعتبر أن الصفويين اولى بالخلافة لكونهم ينتسبون إلى قریش. وقال بعض المؤرخين: إن شاه القاجار فتح علي كان يعتبر نفسه سيداً من ذرية الرسول صلوات الله عليه، ويخاطب السادة بعبارة «ابن العم».

وحكم السادات الخصريون في ضواحي دلهي في شبه القارة الهندية نحو ٤٠ عاماً بين سنتي ٨١٧ و ٨٤٩ أو ٨٥٥ هـ، وكان مؤسس هذه السلسلة السيد خضر خان.

مشايخ الطرق من السادة:

يعتبر المؤسسون لسلاسل الطرق ومشايخها في الغالب من السادة، ومن تلك السلاسل:

١ - السلسلة القادرية ومؤسسها الشيخ عبد القادر الكيلاني (٤٧١ - ٥٦١) وهو حسيني النسب، ولهذه الطريقة اتباع كثر في الهند وأفغانستان والعراق وأفريقيا.

٢ - السلسلة النعمة اللهيّة، ومؤسسها شاه نعمة الله ولي وهو حسيني النسب أيضاً، وقد انقسمت هذه الطريقة وتشعبت إلى عدة أقسام، ومعظم اتباعها في إيران.

٣ - السلسلة البدوية في مصر والبلدان المجاورة لها، ومؤسسها السيد أحمد بن علي أبو العباس البدوي الحسيني (٥٩٦ - ٨٧٥ هـ)، ويقع قبره في مدينة طنطا بين القاهرة والاسكندرية، حيث يحج إليه الملايين من المصريين في ذكرى ولادته، وله اتباع كثر في مصر والسودان وبعض البلدان الأفريقية الأخرى.

٤ - السلسلة الرفاعية، ولها اتباع في العراق ومصر وأفريقيا، ومؤسسها السيد أحمد بن علي الرفاعي (٥١٢ - ٥٧٨ هـ) وهو حسيني النسب أيضاً، ولد في مدينة واسط بالعراق، وكان ينوب عنه في حياته ١٨٠ ألف خليفة في الأقطار الإسلامية.

٥ - السلسلة السنوسية في أفريقيا وقد تحدثنا عنها سابقاً.

٦ - السلسلة الشمرانية، ومؤسسها السيد أحمد بن علي الحنفي المصري (٨٩٨ - ٩٧٣ هـ) وهو من أعقاب محمد بن الحنفية، وله مؤلفات قيّمة.

٧ - السلسلة الخلوتية في السودان، ومن مشايخها السيد محمد عثمان الميرغني المالكي مؤلف تاج التفاسير، حيث تلاحظ شجرة نسبه في مقدمة كتابه، وينحدر عن الامام الهادي عليه السلام؛ وهذه الاسرة تحظى بالاحترام والتقدير في السودان حتى يومنا هذا، وتجمع هذه الاسرة، شأنها في ذلك شأن اسرة المهدي السوداني، بين الزعامتين المعنوية والسياسية.

٨ - السلسلة التيجانية التي أسسها أحمد بن محمد المختار بن أحمد الشريف التيجاني (١١٥٠ - ١٢٣٠هـ) في المغرب، ويقول الدكتور التيجاني: إن اتباع هذه الطريقة يبلغ عددهم نحو مائة مليون نسمة، وكان الشيخ محمد الحافظ التيجاني من كبار المحدثين في العصر الحاضر شيخ التيجانية، ويدير زاوية في محلة العباسية بالقاهرة، وقد أخذت عنه إجازة في الحديث، ووافاه الاجل قبل سنوات.

سلاسل الطرق في مصر والسودان:

قرأت في أحد الكتب أن عدد الطرق الصوفية في مصر يبلغ نحو ٦٠ طريقة كل مشايخها أو معظمهم من السادة الحسنية أو الحسينية أو من الجانبين، ويبدو أن الانتساب لأحد الامامين الحسن والحسين هو الطريق الذي يوصل إلى مشيخة الطرق هناك.

وتوجد في السودان أيضاً طرق عديدة للتصوف تضم تقريباً جميع ابناء الشعب في هذا البلد، إلا أن كل هذه الطرق ترجع إلى سبعة طرق أصلية، وتعتقد هذه الطرق بأن الفيض الرباني قد وصلهم بطريق الامام علي عليه السلام وآل بيته. وهناك بعض الطرق الصوفية لا ينتمي مؤسسوها في النسب إلى آل البيت، كالسلسلة الشاذلية التي أسسها أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المغربي (٥٩١ - ٦٥٦هـ)، والطريقة النعمانية في ايران، ومؤسسها الحاج ملا سلطان علي كوند آبادي، والسلسلة المولوية في تركيا التي تعود إلى الشاعر والعارف الشهير المولوي الرومي (٦٧٢هـ)، وربما كانت السلسلة الكبرى والسلسلة الجشتية في الهند هي من هذا القبيل. أما السلسلة البكتاشية في تركيا وسوريا والعراق والبناتيا وغيرها من الدول، فقد أسسها شخص خراساني اسمه السيد محمد باقر الرضوي في القرن التاسع أو العاشر.

الإمام علي عليه السلام رمز التصوف:

تعتقد جميع الطرق الصوفية أنها تعود في الاصل إلى الإمام علي عليه السلام من

طريق الكرخي أحد اصحاب الإمام الرضا عليه السلام، أو من طريق أبي يزيد البسطامي أحد اصحاب الإمام الصادق عليه السلام أو من طريق الحسن البصري.

ولعل الطريقة النقشبندية هي الوحيدة التي تعود إلى الخليفة الأول أبي بكر ومن ثم إلى النبي. أما السلسلة النقشبندية فهي ترجع إلى النبي عن طريق أبي يزيد البسطامي إلى الإمام الصادق عليه السلام عن جده لأمه قاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه محمد عن سلمان الفارسي عن أبي بكر ! ومها يكن من أمر فإنه يوجد أحد أئمة أهل البيت في طريق السلسلة، ويبدو أن السلسلة الأخرى للنقشبندية ترجع إلى الإمام علي عليه السلام عن طريق الحسن البصري.

ولعل السر في انحدار جميع السلاسل الصوفية عن الإمام علي عليه السلام هو ما نقله السيد مرتضى الرضوي في كتابه «مع رجال الفكر والادب في القاهرة» عن استاذ الفلسفة والعرفان في جامعة القاهرة وشيخ إحدى الطرق الصوفية في مصر الدكتور أبو الوفاء التفتازاني، من أن العلم المراد به في حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» هو علم الطريقة والحقيقة الذي يعتقد به أهل الطريقة.

وتحتوي هذه العقيدة في مطاويها بعض معتقدات الشيعة ؛ ذلك أن الشيعة تعتقد بأنها تستلم احكامها وآدابها ومعارفها عن طريق الإمام علي عليه السلام وأهل بيته، بيد أن ما قاله الدكتور التفتازاني يشمل المعارف الدينية فقط، أما الاحكام فإن السنة يأخذونها عن أحد الأئمة الأربعة المعروفين.

ومن الجدير ذكره هنا أن الدكتور التفتازاني يشغل حالياً منصب شيخ المشايخ للطرق الصوفية في مصر، وهذا المنصب عند الطرق الصوفية يماثل منصب شيخ الأزهر لعلماء الشرع، وهو منصب رسمي يخوله الرئيس المصري إلى أحد كبار مشايخ الطرق.

وقد التقيت بالدكتور التفتازاني في زيارة علمية لي للبلدان العربية والإسلامية قبل أكثر من عشرين عاماً. التقيته في جامعة القاهرة وفي خيمته الخاصة التي تنصب في ساحة الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة في احتفالات المولد النبوي الشريف، وهي احتفالات تستمر مدة شهر واحد، يفتتحها شيخ الأزهر في مسجد الإمام الحسين، ثم ينصب اصحاب الطرق خيامهم أو

سراقاتهم على حد تعبير المصريين في ساحة الإمام الحسين إلى جوار الجامع الأزهر والحرم الحسيني، حيث يجلس شيوخ الطرق فيها ليلاً ويلتف حولهم المريدون وعامة الناس بالآلاف، وتتلئ فيها الأشعار في مدح آل البيت (عليهم السلام)، وتقام مراسم مماثلة في نفس المكان بمناسبة ولادة الإمام الحسين (عليه السلام)؛ وهي عادة انتشرت منذ العهد الفاطمي واستمرت إلى الآن، ويطلق المصريون على تلك المنطقة اسم حي الامام الحسين، وتجتمع في الحرم الحسيني وحرم السيدة زينب كل ليلة الحلقات الصوفية واصحاب الطرق، حيث يمارسون الذكر كل بأسلوبه الخاص به.

شخصيات بارزة أخرى من السادة:

ينحدر الكثير من أسر العلماء والفقهاء من شخصيات مرموقة تاريخياً، كالسيد حامد حسين وأخيه نظام العلماء وأبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي في الهند، وفي إيران والعراق أسرة الصدر التي تنحدر من صدر الدين الكبير من علماء جبل عامل، حيث برزت على مر التاريخ من هذه الأسرة شخصيات كبيرة كالسيد شرف الدين صاحب كتاب المراجعات في لبنان، والسيد حسن الصدر الذي يلقبه البعض بخاتمة المحدثين، وهو صاحب تأليف كثيرة منها تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، والسيد اسماعيل الصدر، والسيد صدر الدين الصدر من مراجع قم وهو والد الإمام موسى الصدر، والسيد حيدر من علماء الكاظمة والد الشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر(*)، وترتبط هذه الأسرة نسباً بأسرة الشريف الرضي والسيد المرتضى، وكذلك برزت أسرة السيد محمد حسن الميرزا الشيرازي صاحب الفتوى الشهيرة بتحريم التبغ، ومنها الميرزا مهدي الشيرازي من مراجع كربلاء والسيد عبد الهادي الشيرازي من مراجع النجف الاشرف.

كما يمكن أن نذكر أسرة السيد نعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢هـ وولده السيد عبدالله وحفيده السيد نورالدين، وعشرات العلماء والاساتذة الذين انجبتهم أسرة الجزائري.

(*) فقيه اصولي، وفيلسوف اسلامي، كان مرجعاً من مراجع المسلمين في النجف الاشرف. فجر الثورة الاسلامية في العراق وقادها حتى استشهد على يد نظام الطاغية صدام في عام ١٤٠٠ هـ ق «عن آية الله السيد كاظم الحائري» مقدمة مباحث الاصول: ٣٣ (التحرير).

وكذلك توجد اسرة بحر العلوم في النجف وكربلاء وايران ولندن.
وايضاً اسرة الميرزا مهدي الشهرستاني تلميذ الوحيد البهبهاني (١٢٠٦هـ)،
حيث انجبت أيضاً هذه الاسرة عشرات العلماء والمجتهدين والاساتذة، ومنهم
المصلح الكبير السيد هبة الدين الشهرستاني.
ومن أسر السادة المعروفة أيضاً اسرة السيد ابن طاووس واسرة أبي
الرضا القطب الكاشاني واسرة الميرداماد.

ومن المؤرخين يمكن أن نذكر المقرئ أحمد بن علي الحسيني العبيدي
صاحب كتاب خطط مصر والشام، وهو من اعقاب الخلفاء الفاطميين أو
العبيدين.

ومن المفسرين السيد هاشم البحراني من الشيعة، والسيد محمود الآلوسي
والسيد الميرغني والسيد محمد رشيد رضا صاحب تفهيم القرآن والسيد
اسماعيل حقي صاحب تفسير روح البيان من السنة.

ومن المصلحين والقادة السياسيين الذين لم تكف الـ راسات تنشر عنهم
وتدرس مواقفهم السيد جمال الدين الحسيني الاسد آبادي، المعروف بالافغاني
(١٣١٥هـ) وأبو الاعلى المودودي والامير عبد القادر الجزائري (١٢٢٢ -
١٣٠٠هـ)، وآية الله الكاشاني، والإمام الخميني (ع) (*).

والملاحظ أن معظم مراجع الشيعة خلال القرن الأخير هم من السادة.

النتيجة:

إن مكانة أهل البيت وسلالة النبي ﷺ بين المسلمين من الشيعة والسنة هي
مكانة مرموقة لا نظير لها، ولا ترقى إليها اسرة في العظمة والقداسة
والاحترام والفضيلة؛ والمسلمون يستلهمون من هذا النبع الرقراق علومهم
وآدابهم وسيادتهم واستقلالهم، ويجانب الحق والانصاف اي مجانبه من يفكر
من المسلمين بأن يسيء إلى النبي أو يوجه اهانة ولو صغيرة إلى أهل بيته
وسلالته.

ومن ذلك نستنتج أن لزوم مودة آل البيت هو ركن من اركان الوحدة

(*) فقيه اصولي وفيلسوف
اسلامي، من اكبر مراجع
وأئمة المسلمين في عصره،
مفجر الثورة الاسلامية
الرائدة في ايران، والتي قادها
من النجف الاشرف حتى
الانستصار وتأسيس
الجمهورية الاسلامية
الارائية. أجمع العالم على أنه
أبرز شخصية عالمية ظهرت
منذ عام ١٩٧٩م (التحرير).

الاسلامية، ومن القواسم المشتركة التي تجمع بين ابناء الامة من مختلف مذاهبها، شأنه في ذلك شأن التوحيد والنبوة والقرآن والكعبة والصلاة والصيام، فلا بد من أن نرسخ اسس الوحدة الاسلامية حول هذا المحور، أي محبة أهل البيت عليهم السلام، الأمر الذي لا ينكره أي مسلم؛ لأن أي مسلم تربطه علاقة وثيقة وأصرة قوية بنبيه وأهل بيته عليهم السلام.

تنبيه ضروري:

لم اقصد بذكر سلاسل الطرق الصوفية اضعاف المشروع عليها، وإنما اردت من هذا المقال فقط أن أبين مكانة أهل البيت والسادة في المجتمعات الاسلامية والفرق الاسلامية على اختلاف اتجاهاتها.

كما أن المقال ليس بصدد اثبات صحة الاتصال النسبي للسادة المذكورين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولربما ذكرنا بعض الاسر التي قد لا يصح نسبها وارتباطها بأهل البيت عليهم السلام.

الأمر الآخر الذي اود الاشارة اليه أن هذا الحب الشديد من الفرق الصوفية للإمام علي عليه السلام وأهل البيت عموماً، وسعيها البالغ لايجاد نوع من الرابطة النسبية أو الولائية للإمام علي عليه السلام، يعتبر سداً منيعاً امام الوهابية التي تنكر اصل التصوف كما تنكر اصل التشيع، وتحاول محو آثار أهل البيت عليهم السلام وذكرهم من اذهان المسلمين، لعاملين: أولهما العقيدة الوهابية التي تدعو إلى ذلك، وثانيهما السلطة السعودية التي نافست اشراف مكة ونازعتهم السيادة وقضت عليهم بعد حكم دام أكثر من الف عام.



الحاج محمد باقر الخميني رحمة الله عليه

دراسات

* عباس كاشف

ترجمة: عباس الأسدي

مع الأيام الأخيرة من شتاء عام ١٩٩٥م خيم على قلب الأمة الصابرة حزن ثقيل، وجثم على صدرها غم كبير، وذلك لرحيل الابن البار للإمام الخميني رحمة الله عليه حجة الاسلام والمسلمين الحاج السيد أحمد الخميني والتحاقه بالرفيق الأعلى، فلقد كان الراحل قرة عين أبيه الإمام، جعل كل وجوده في خدمة هذا الأب والقائد الكبير، وبذل ما في وسعه لخدمة الثورة والشعب، فكان له حق كبير عليهما.



كما كان السيد أحمد رحمة الله عليه أمين سر أبيه ومعتمه وجندياً مخلصاً له، سعى بكمال الاخلاص والتواضع لتحقيق آراء الإمام وإرادته في أمر القيادة.

إننا لا يمكن أن ننسى أبداً ذكرى هذا الرجل الكبير الذي امتزج وجوده منذ عنفوان شبابه بالثورة، وضحي كثيراً من أجل التقدم بأهداف أبيه القائد العظيم، ولم يسلم من برائن الطاغوت الذي حكم ايران قبل الثورة، ثم كان العزاء لأبيه الإمام في شهادة شقيقه الأكبر السيد مصطفى.

لم يكن هذا العزيز الغائب ولد الإمام وحسب، وإنما مريده وعاشقه، كما أن الإمام كان يحبه حباً جماً، إذ أبدى رضاه عنه واعتماده عليه في أكثر من مناسبة ومقام.

ولادته:

ولد الحاج السيد أحمد في مدينة قم في عام ١٩٤٦م، وأنهى دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها، وصادفت السنوات الأخيرة من دراسته الثانوية بداية انتفاضة الخامس عشر من خرداد الدائمة بقيادة أبيه الامام الخميني رحمه الله.

علمه:

بعد الانتهاء من مرحلة الدراسة الثانوية اقتفى السيد أحمد خطى والده الكبير ودخل سلك الدراسة الحوزوية في مدينة قم، وتلقى دروس المقدمات والسطوح على يد اساتذة الحوزة العلمية آنذاك. وفي سنة ١٩٦٦م زار العراق سرّاً للقاء والده، وارتدى هناك الزي العلمائي.

واصل دراسته الحوزوية بعد عودته من العراق، وأخذ ينسق وينظم القوى الثورية الاسلامية ويربط بينها وبين القيادة المتمثلة بأبيه الامام رحمه الله.

أكمل دراسة السطوح العالية عند اساتذة معروفين امثال آية الله السلطاني، وحضر دروس الخارج منذ سنة ١٩٧٢م عند آية الله الشيخ مرتضى الحائري رحمه الله وآية الله السيد موسى الشبيري الزنجاني.

هاجر إلى العراق سنة ١٩٧٧م بسبب الظروف الخاصة التي واجهها والمضايقات التي مارسها ضده اذلام الساواك، وهناك حضر درس الخارج عند والده وغيره من الأساتذة الكبار في حوزة النجف الأشرف، وتحمل منذ هذا العام اعباء الثورة الاسلامية وهو في خدمة والده بعد شهادة شقيقه السيد مصطفى، وتوقف عن الدراسة الحوزوية.

بعد وفاة الإمام الخميني رحمه الله استأنف ثانية طلب العلم، وانهمك في تهذيب نفسه والمشاركة في المباحثات العلمية الفقهية والاصولية، وتدريس كتاب كفاية الاصول.

ورغم أنه رحمه الله ترعرع في اسرة توفرت على الكثير من الكمالات الاخلاقية، وعاش في كنف اسرة كريمة، إلا أنه عكف في السنوات الأخيرة على اكتساب المعنويات، واختار لنفسه مكاناً متواضعاً قرب مدينة قم لينصرف فيه للعبادة

والذكر والدعاء.

وقد وصفه كل من عرفه عن قرب أنه كان كثير الخشوع والبكاء في الادعية وذكر مصائب أهل البيت (عليه السلام)، متواضعاً مخلصاً في خدمة الاسلام والثورة، بسيطاً في حياته مهتماً بشؤون الفقراء والمحرومين.

شخصيته وسجاياه الاخلاقية:

من أهم المعالم البارزة في شخصية الراحل بعد وفاة أبيه الإمام (عليه السلام)، وقوفه إلى جانب القيادة الجديدة المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي، ودعمه لها في كل فرصة ومناسبة قولاً وعملاً، كما أن المواقف التي صدرت عنه حيال مختلف القضايا، لا سيما بعد رحيل أبيه، كشفت عن رجاحة عقله ! حيث قدّم مصلحة الاسلام والنظام الاسلامي على كل شيء.

وقد بيّن ولده السيد حسن في مراسم التشييع هذا الاعتقاد الذي تبناه والده حول ولاية الفقيه وقيادة الامة الاسلامية. حينما قال:

إن الحاج السيد احمد كان على الدوام مؤيداً للنظام الاسلامي حامياً للقيادة وسنداً عظيماً لولاية الفقيه. إنني أشهد أنه تبني نظرية ولاية الفقيه من اعماق قلبه، وضحى من أجلها بكل وجوده.

وكان قد قال لوالدته يوماً: منذ أن عرفت نفسي إلى هذا اليوم سرت على نهج الإمام، ولم انحرف عن هذا النهج قيد أنملة.

اجل، لقد رحل عنا هذا السند العظيم، إلا أن نصائحه وكلماته ستبقى بين ظهرانينا حية إلى الأبد، وإننا مكلفون بأن نواصل رفع الراية التي حملها هذا الفقيد السعيد، ويجب ألا نترك الأعداء يفرحون بهذه الثلثة المؤلمة لحظة واحدة، وذلك بأن نتبع الافكار السامية للإمام (عليه السلام).

ومن السجايا الاخلاقية البارزة الاخرى للحاج السيد أحمد تواضعه وحبهِ لعوائل الشهداء والمستضعفين، فلقد ورث هذه السجية الطيبة عن أبيه الإمام (عليه السلام)، وظهر هذا الحب من خلال التوصيات التي كان يؤكد عليها خلال لقاءاته مسؤولي امور الشهداء والمستضعفين، ولم يكن يألو جهداً ويدّخر

وسعاً في حل مشاكلهم، ولذا أحبه الشعب كما أحب والده الإمام من قبله.

نشاطاته الثورية:

أدى السيد أحمد الخميني دوراً فعالاً ومهماً قبل الثورة وفي أثنائها وبعد انتصارها، حيث يمكن أن نصنف هذا النشاط إلى أربع مراحل:

١- جهاده قبل الثورة:

بعد نفي الإمام عليه السلام وهجرة الحاج السيد أحمد إلى النجف الأشرف، تركز نشاطه الجهادي على ايجاد ارتباط بين ابيه الإمام والقوى الثورية في ايران، وقد اثرت بعض خصائصه المميزة كالذكاء والابداع والبيان والقدرة على استغلال العدو في الوصول إلى الهدف.

تبنى منذ سنة ١٩٧١م مسؤولية الربط بين التنظيمات السرية لفضلاء الحوزة العلمية، فكان في تلك الأيام ينقل ويوزع جميع بيانات الإمام داخل البلد.

استمرت النشاطات الثورية للسيد أحمد الخميني حتى سنة ١٩٧٧م، حيث غادر ايران في تلك البرهة مهاجراً إلى العراق سراً؛ بسبب اعتقال بعض زملائه واكتشاف الساواك لنشاطاته.

وبعد شهادة شقيقه الحاج السيد مصطفى تبني مسؤولية تنظيم شؤون الثورة، ولا يمكن ان يُنسى دوره البارز في اثناء جهاد الشعب المسلم في ايران، هذا الدور الذي كان يكبر كلما اقترب موعد انتصار الثورة الاسلامية.

٢- مرحلة ما قبل الانتصار:

تعد هذه المرحلة من أكثر مراحل النهضة الاسلامية حساسية، ويومها كان السيد أحمد يقف مع الإمام ويدير امور الثورة وينسقها على أفضل وجه، وقد أخذ على عاتقه تنظيم هجرة الإمام من بغداد إلى باريس والإشراف على مكتبه، حيث كانت مسؤولية عسيرة أداها أكمل أداء.

وكان في باريس من اوثق الاشخاص العاملين في مجال ربط الثورة وعلماء الدين داخل البلد مع الإمام (عليه السلام)، وتحمل اعباء تنظيم الاوضاع، وإدارة الامور في مقر الإمام «نوفل لوشاتو» ومن ثم عاد إلى ايران مع والده، ورافقه كظله من مطار طهران إلى مقبرة «جنة الزهراء» متحدياً آلاف الاخطار التي كانت تحدق بأبيه في كل لحظة من بقايا نظام الشاه آنذاك، ولم يتركه لحظة واحدة. كان مرافقه الدائم في مدرسة علوي التي أقام بها الإمام الراحل في ليالي النار والدم التي سبقت الانتصار.

٣- نشاطه منذ الانتصار حتى وفاة الامام:

نظم السيد أحمد (عليه السلام) على مدى عشر سنوات منذ انتصار الثورة حتى رحيل الإمام (عليه السلام) شؤون أبيه على أفضل ما يرام، رغم صعوبة ذلك وخطورة الاوضاع التي كانت تحف بالثورة والاحداث الجسيمة التي شهدتها، فأصبح عينه البصيرة التي ينظر بها واذنه التي يسمع بها وامينه وموضع سره، وكان لصراحته وبصيرته واخلاصه للثورة وحبه لأبيه الإمام الدور الكبير في حل الكثير من العقد والمشكلات التي واجهتها الثورة في تلك الآونة.

وغاية ما كان يصبو اليه السيد أحمد هو أن يوفر لأبيه الاجواء المناسبة لكي يستطيع أن يقود الثورة باقتدار، ولهذا ضحى مخلصاً بكل شيء وبأعز ما يملك من اجل نهج الإمام الراحل.

ومن أهم حوادث تلك المرحلة من عمر الثورة الدفاع المقدس الذي خاضه الشعب الايراني المسلم مقابل العدوان البعثي العراقي، حيث بذل السيد أحمد كامل سعيه وجهده لخدمة ابطال الاسلام في جبهات القتال.

٤- نشاطه بعد رحيل الإمام:

رغم أن الثورة عاشت كل مراحلها تحف بها المخاطر، وأن السيد أحمد (عليه السلام) لم يأل جهداً في تقديم خدماته الجليلة المقرونة بالتضحية والإيثار في سبيل ديمومة الثورة والنظام الاسلامي، غير أن الفترة التي تلت وفاة الإمام (رضوان

الله تعالى عليه) كانت من أكثر الفترات حساسية وخطورة؛ إذ كان العدو يتربص سنوات لحظة وفاة الإمام ويعد العدة لتنفيذ مكائده ضد الثورة، وكان الشعب في تلك المرحلة الخطيرة من حياة الثورة مفاجئاً بوفاة الإمام من جهة وقلقاً على مستقبل الثورة من جهة ثانية، وقد لعب السيد أحمد دوراً بارزاً في ترسيخ أسس القيادة وتقديم آيات الولاء لها. ولا يمكن أن يخفى تأثير ذلك على أحد، فقد أدّى خدمة عظيمة للثورة والنظام الاسلامي، ولم يتراجع إلى نهاية حياته قيد أنملة عن دعمه للولي الفقيه ومسؤولي النظام الاسلامي، وسعى لتثبيت خط الإمام الذي رُسم بدماء الشهداء بعد سنوات من الكفاح والجهد، وإلى جانب ذلك تبنى مسؤولية جمع آثار أبيه الإمام وتنظيمها.

شوق الوصال:

بلغ حب السيد أحمد الخميني لأبيه الإمام الراحل عليه السلام حدّاً لم يستطع معه أن تتحمل روحه ألم الفراق الطويل، فكان يتهياً منذ مدة للرحيل إلى الآخرة وللحاق بوالده من خلال العمل في تهذيب نفسه.

وكان قد فاتح أسرته واصحابه مراراً بهذا الشوق للهجرة من دار الدنيا، وكانت حركاته وسكناته شاهداً على استعداده لهذه الهجرة، وكأنه كان يسمع هاتفاً من الغيب يناديه أن استعد للرحيل. وقد صرح بعض افراد أسرته واصدقائه المقربين بعد وفاته بذلك.

بقيت معظم فضائله الاخلاقية مجهولة للناس، لأنه كان إلى جانب شمس الإمام، ومن الطبيعي أن تبقى هذه الاخلاق طيّ الكتمان، لقد كان المرحوم يتّسم بالاخلاق والآداب الاسلامية، إلا أن تحولاً غريباً حصل لديه خلال السنة الأخيرة من عمره، وكان يميل إلى العزلة. فقد قال مرة: رأيت قبل عام مناماً قال لي فيه الإمام: «أصلح وضعك يا أحمد، فهذا الوضع صعب». واصبحت هذه الرؤيا منطلق تحول لديه... وكان يردد بين الحين والآخر قائلاً «على المرء أن يصلح نفسه ويستعد للموت».

وينقل آية الله مهدي كنى حادثة حول استعداده للموت فيقول: قبل سنة

تقريباً قال لي السيد أحمد في أحد المجالس: رغم أن الاعمار بيد الله إلا أنني وبسبب خصوصيتي الجسمية وامراضي لا اعتقد أنني سأعمر طويلاً، وأخاف أن ألقى الله دون أن أكون نقياً تماماً، ولذلك فإنني أرجو أن تدعوني.
ويقول آية الله الخزعلي بهذا الشأن: يمكن القول إنه لم يستطع تحمل فراق الإمام، وقد أثر فيه مصاب فقده بالغ التأثير حتى قضى عليه، وكان أول من التحق بأبيه.

ويقول حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الكروي: كان السيد أحمد يحمل روحاً ثورية، ويؤيد الثورة والمسؤولين ويعلن عن آرائه. ولقد شهد نجل الإمام البار أتعاباً كثيرة في سبيل الثورة، وكان فقدان أبيه صدمة كبيرة له، حتى قال مراراً: إنني سأكون أول من يلحق بالإمام.

هذه شذرات حاولنا من خلالها أن نخطو بعض الخطوات على طريق معرفة الفقيد، إلا أن أفضل ما قيل عنه عليه السلام بما يوضح مكانته الرفيعة في توجيه قضايا الثورة وخدمة الإمام، العبارات التي صدرت عن قائد الثورة الإسلامية في كلمته الغراء التي وجهها بالمناسبة؛ باعتبار أن السيد القائد كان أحد أقرب الأشخاص إلى الإمام الراحل، وأعرفهم بقضايا الثورة والنظام الإسلامي. يقول حفظه الله: كان المرحوم حجة الاسلام والمسلمين الحاج السيد أحمد الخميني في مرحلة الثورة المليئة بالاحداث، أحد أكثر العناصر تأثيراً في احداث البلد والثورة؛ فقد كان لقائد الثورة الكبير ابناً عطوفاً، ومستشاراً أميناً، ومساعداً قديماً، وجندياً مضحياً، ومريداً مطيعاً، وعاملاً كفوءاً وفعالاً.

وقد تحدث الإمام الكبير مراراً عن حبه لولده المطيع وثقته العميقة به ورضاه القلبي عنه. والمقربون هم الأشهاد الصادقون بما سمعوه من لسان ذلك الأب المتقي في حق ولده الوحيد.

وما أكثر العقد التي حُلت على يديه طوال سنوات الثورة، وما أكثر الاعمال الكبيرة التي أنجزت بتدبيره، إضافة إلى دور هذا العنصر الدؤوب المقتدر في رعاية الإمام والحرص على سلامته وهدوء باله، ولا شك في أن السلامة والقدرة الجسمية لذلك القائد العظيم في سنوات حضوره العشر الخطيرة، على

رغم كبر سنه واصابته بمرض القلب، تعود أكثر ما تعود إلى الرعاية الفائقة والمتواصلة لهذا الابن العطوف.

وفي ختام الحديث عن هذا الفقيه السعيد نذكر مقاطع من وصيته التي تدل على سيرته ومنهجه واعتقاداته وروحه السامية:

* ادفنوني قدر الامكان قرب أبي العزيز ومرادي وامامي، فلعله يصيبني شيء - وأنا الآثم من اخمص قدمي إلى قمة رأسي - من ثواب الفاتحة التي تقرأ للإمام، ويشملني الله بلطفه بسببه.

* إنني مقتنع تماماً - والله شاهد على ذلك - بأنني بذلت غاية جهدي لتقوية الاسلام والنظام والإمام، وأنا قدير العين لذلك. وأنا بطبيعة الحال ككل الذين يمارسون الاعمال السياسية والجهادية لم أعصم من الخطأ، واعترف بهذا... وربما قمت ببعض الاعمال في الصدامات السياسية، مما لا يتناسب وشأن الإمام واصحابه، فأسأل الله واصحاب الإمام العفو عني.

* اوصي حسناً واخوانه أن يسعوا دائماً للسير على خط القيادة وأن لا ينحرفوا عنها، ففيها خير الدنيا والآخرة، وليعلموا أنها تريد النصر للاسلام والنظام والبلاد، ولا يتورطوا بالتحليلات المختلفة أبداً لأن العدو متربص.

* الهي، عبدك ينزل بك، ولا يأمل غيرك، عبد مطأطئ مذنب، فاعف عنه برحمتك وكرمك.

وأخيراً، نسأل الله تعالى أن يحشر روح هذا الفقيه العزيز مع الإمام والشهداء، ويضاعف له من خزائن لطفه وكرمه اجر المشاق التي تحملها في سبيل الثورة والنظام الاسلامي.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

لَمْ يَجُتْ مَنْ تَرَكَ أَفْعَالاً تَقْتَرِي
بِهَا مِنَ الْخَيْرِ وَمَنْ نَسَرَ
حُكْمَهُ ذَكَرَ بِهَا.

قراءة جديدي أوراق كربلاء

مختارات

* فاطمة سالم

(الأردن)

باب ننشر فيه مختارات منتخبة بعناية وتلخيص مما نشر عن الثقلين المباركين في
الصحافة والدوريات الأخرى.

التحرير



(*) عن صحيفة اللواء الأردنية.

الذين يقفون اليوم لتحريف الواقع وتسويغه وفق بوصلة
مصالحهم وأهدافهم، مطالبون بقراءة تاريخ عنوانه «كربلاء» وأما
الذين يبحثون عن لغة جديدة لتضليل الشعوب باسم الراحة وتكتيك المهادنة،
ويبشرونهم بعبثية المواجهة وشرعية الصلح وحبال المصلحة الوطنية التي
- غالباً - ما تتحول في أيدي السحرة إلى حيّات مخيفة، هؤلاء مدعوون لزيارة
الحسين بن علي في مثل هذا الموسم من عاشوراء، لا لمتابعة اللطم والنحيب
وشق الصدور، ولكن لفهم معادلة الصراع بين الحق والباطل وادراك قضية
العدالة المرتبطة بالعبودية الخالصة لله، فعاشوراء ما زالت تتحدّد في كيانات
هذه الأمة ثورة ضد الاضطهاد، يتمثلها الاجيال كفاحاً وتمرداً، وتنطق بها
الأرض دماً لا يهدأ وروحاً تستأنس بالشهادة كما يستأنس الطفل بمحالب امه،
لا مجرد حماس وانفعال وثورة عاطفية تشتعل ثم تخدم، وإنما فكر متعلق بالله
وعمل شعاره «هَوْن ما نزل هنا أنه بعين الله»، واردة مستمدة من دم الحسين
ابن علي وهو يصعد إلى السماء في كفه مردداً: هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي

رسول الله ﷺ.

إن الذين يقرأون هذه المحنة التي لقيها الهاشميون من آل عترة المصطفى ﷺ، سيدركون - لا ريب - حجم القوة الايمانية التي تدفع اثنين وثمانين رجلاً وامراً للوقوف مع الحق في وجه أكثر من اثني عشر ألفاً من جيش يزيد بن معاوية، وتجعلهم مع محارمهم اللواتي ما هتك لهن ستر قط يواجهون عطشاً وحصاراً، ظلماً وجبروتاً يقع بعده الشهيد تلو الشهيد من أبناء الحسن وجعفر وآل أبي طالب أحفاد رسول الله ﷺ، دون أن يدفعهم ذلك إلى قبول «الذلة» ومبايعة يزيد بالخلافة.

السر في ذلك يلخصه لنا الحسين بن علي في إحدى خطبه فيقول «... لا والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر اقرار العبيد، ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة. يابى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس أبيّة».

والسر في ذلك يعرضه لنا «جؤن» مولى أبي ذر الغفاري حين أشار عليه الحسين بن علي أن يتنحى عن المشاركة في قتال «عاشوراء» فيجيبه «جؤن»: «لا والله، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟! والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم...» فأذن له الحسين حتى استشهد بعد أن قتل خمسة وعشرين رجلاً.

تعلمنا عاشوراء كيف نمد أيدينا لنصافح أو نعاهد أو نعاهد، كيف نسحب أيدينا حين تكون المسألة عزة وانفة وحين تحس النفس المؤمنة بأن عقد الصلح عقد لاذلالها واذعانها لشرعية الطاغوت، يعلمنا الحسين الفقير الذي تربى في حضن جده المصطفى، كما تربى والده علي عليه السلام منذ ولد في كنف ابن عمه محمد ﷺ كيف نحافظ على بساط التفاوض مع الاعداء، والاقرار لهم كما يفعل العبيد دون أن نملك أن نقول: لا؛ وذلك كاعطاء الذليل الذي يشعر بانسحاق ارادته امام سيده، فالعزة ليست في المنصب والمال ولا في السلة التي يوهمنا بها ادعياء الاستقرار، ولكنها بمقدار ما يملك الانسان من ارادة وعزيمة، وبمقدار ما يرتفع اليه من ايمان وشجاعة والتزام.

وأما الذين يتسابقون بدافع الخوف من قوة الآخر وجبروته للسجود بين يديه، والاستناد إلى الواقع لا المنطق لتبرير هذا الانجرار، وأما الذين يذرفون دموع التماسيح على تاريخنا المجيد في كربلاء وفي غيرها من مواقع التضحية التي لا ينفع عندها لطم الوجوه وقد الجيوب، فهؤلاء لم يسمعوا حنظلة الشبامي وهو ينادي على الحسين: «صدقت يا ابن رسول الله أفلا تروح إلى الآخرة» ولم يصغوا للشيخ الطاعن في السن انس الكاهلي الذي رأى النبي وسمع حديثه وشهد معه بذراً وحنيناً وقد برز رافعاً حاجبيه بالعصاة ومقاتلاً دون الحسين حتى استشهد.

لم تكن قلة العدد - إنذاراً - معياراً للهزيمة أو الانكسار، ولم يكن الانكسار مؤشراً لاندحار الحق وغلبة الباطل، وما كان الصادقون قصراً عن تبرير الواقع وتسويغه ليناسب حجم المحاذير والרגائب. كان الحسين بن علي وقد أقفل عائداً من مكة إلى كربلاء بعد أن قطع الحج وترك الذين ينتظرون خطبته على عرفه، كان يدرك وهو يصارح من انسحب خلفه من القوم أن كثيراً منهم لا يريد سوى الدنيا، وكان صادقاً معهم وهو يقول عشية السفر: «ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً». وقد انسحب منه الكثيرون بعد أن ادركوا حقيقة ما قاله الفرزدق: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»، وبقي القلة من الذين كان حاديهم يقول: «لوددت أنني قتلت واحرقت ثم احببت يفعل بي ذلك سبعين مرة ما توانيت عنك».

هو - إذن - درس في امتحان الصحابة وفرزهم عن جموع الموظفين الذين يتزاحمون ساعة الطمع ويفرون ساعة الفرع؛ والقائد هنا لا يكذب على اتباعه بالشعارات، ولا يصفهم بالحديد والنار ليقاتلوا دونه، ولكنه يصارحهم بالتحريه في البيعة والوضوح في القصد؛ فالبطولة ليست بهلواناً، والمعركة ليست قتالاً مجرداً من العقيدة والارادة.

وهو أيضاً درس في ترسيم العلاقة مع الله، العلاقة الدائمة غير الرسمية أو الموسمية مع أوامر الخالق، العلاقة التي لا تقتصر على الصلاة والصيام

فحسب بل تتعداها إلى كل ما يدور في حياة المسلم وما يتعلق بواقعة داخل المسجد وخارجه.

فهل يحتاج الفرد المسلم إلى وقفة «كربلائية» تعيد رسم شخصيته من جديد؟ وهل تحتاج الحركة الإسلامية إلى موقف «حسيني» يشحذ هممتها نحو التضحية ويعيد تفكيكها وتركيبها وفق قاعدة رفض السِّلَة والذلة؟ وهل تحتاج الدولة الإسلامية إلى يوم «عاشورائي» يطهرها من دنس المصافحة والانجرار خلف صكوك هذا الهوان.

إن الذين يتحركون من خلال ما تجسده «عاشوراء» من فكر في التضحية والالتزام بالحق، لا من خلال ما تبثه وسائل الاعلام من تبريرات وتوجيهات لمسح العقل الاسلامي، هؤلاء يتوجهون بقلوبهم إلى طلعة الحسين وهي مخضلة بالدم تعيد إلى التاريخ ما فعلته عترة المصطفى من أجل هذه الامة، وما يجب أن يفعله كل مسلم من أجل دينه لتعميق الحضور الوجداني الايماني في نفس هذا الجيل، الذي أصبح فاقداً لوجوده وهويته بفعل معاول الاستعمار وعملائه وارسالياته، والذي لا يمكن بوجودها من غير الايمان أن يستعيد لحظة من عزته أو ذرة من كرامته.

من قال - إذا - إن مصلحة الامة في الراحة والذلة؟ ومن قال - إذا - إن مصلحة الوطن في حسن التعامل مع الواقع المهين بمفرداته وآلياته وبدوافع الضعف أو عدم القدرة على تغييره أو مواجهته؟ ألم يمتحن رسول الله صحابته حين ارسل بعضاً منهم إلى قلعة ضخمة لبلوغها، وحين عادوا مقرّين بضعفهم وجبنهم عن دخولها قال لهم محمد ﷺ: «لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كزاراً غير فزار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه»؟ إن أول شروط نبذ الضعف والجبن الذي يسوغه البعض تكتيكاً والتزاماً بالواقع هو محبة الله ورسوله، ولكن أين الذين يحبهم الله وأين الذين يحبونه ورسوله في عالمنا هذا المهزوم؟ وأين الذين قال فيهم علي بن أبي طالب: «من أخذ سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل»؟

فالذين نخشاهم اليوم يحذون سيوفهم للقضاء على شعوبهم، ويغضبون

إذا غضبت اميركا أو إذا زمرت اسرائيل، الذين نخافهم ممن يعطون أنفسهم مرسوم الوطنية والخوف على مستقبل الامة يحرسون ثغور ومصالح غيرهم، ويجبنون إذا ما أحسوا انبأ اميركياً يقترب للتدبير بهم من فوق طاولة البنتاجون.

كيف يمكن إذا أن تتكرر مشاهد عاشوراء في هذا الزمن الاسود؟ كيف يمكن أن يقف الشعب خلف قيادته وأن يعلن رجل من بيننا يصارع الموت كما أعلن مسلم بن عوسجة في حضرة الحسين بن علي بوصيته لصديقه، وما هي وصيته؟ يقول حبيب بن مظاهر: «لما صرع مسلم بن عوسجة مشى اليه الامام الحسين وكنت معه، وجلسنا عنده وهو يحتضر قلت له: والله لو لا أني أعلم أني في الاثر لاحببت أن توصي الي، فإن الصديق يوصي صديقه لحظة الاحتضار، يوصيه بأهله وعياله، ولكن مشكلتي أني سأموت من بعدك وسأسير في نفس الطريق، فقال له مسلم: لي وصية تستطيع أن تنفذها الآن. قال: وما هي وصيتك؟ قال: اوصيك بهذا - وأشار بيده للامام الحسين عليه السلام - جاهد دونه حتى تموت».

وما دام هناك قضية عادلة، وحق يقابل باطلا ليدحضه، فالموت ليس مهماً والدم أقرب اللحظات التي توصل الأرض بالسماء. ألم تسمع ماذا قال علي الأكبر ابن الامام الحسين وهو يرى انفاس والده تعانق السماء وقد ظل يكرر: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ يا ابتاه لم تسترجع؟ فأجابه: يا بني عن لي فارس وأنا في المنام يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير خلفهم، فعلمت أن نفوسنا نعت الينا. قال علي: يا ابتاه السنا مع الحق؟ قال الحسين: بلى والذي نفسي بيده. قال علي: لا نبالي يا ابتاه - اذن - أن نموت محقين.

ولكن كيف يمكن لاطفالنا أن يتساءلوا عن قضيتنا؟ وكيف يمكن لنا نحن -التعساء- أن نجيبهم؟ لقد علم الحسين ولده درس التضحية وهو يحتضر في سبيل الحق والدعوة إلى الله، فكيف نعلم ابناءنا درس التضحية ونحن نسبل عيوننا لاستقبال خيرات العهد الاوسطى الجديد؟

كيف يمكن لنا أن نقنع اجيالنا بما نصنعه وما نعدده لهم ونحن غير مقتنعين

بما نفعل، وغير قادرين على مجرد الاحتجاج أو الحركة بشكل إيجابي ضد ما يحدث؟

الحركات الإسلامية ما زالت تبحث عن مخارج فقهية للاشتراك في العمل السياسي، وما زالت تتعهد بالحفاظ على مساهمتها «الفاعلة» جداً في جهاد النفس وتنظيف الفرج واللسان ومقاومة التطبيع بالبيانات والتنديدات. الحركات الإسلامية لم تخرج عن مألوفها في إدارة دفة الدين الرسمي لاقناع الناس بالصمت والاعتدال، وانتظار ما قد تحمله الظروف من رياح التغيير نحو الأفضل.

أما الحسين بن علي فيترك فريضة الحج من أجل مقاومة الباطل ومفاصلة الاستعباد، وهو يعلم عدد أصحابه وعدتهم في كربلاء لم يقل تنتظر الظروف المواتية، لم يقل نطهر النفوس من ادراؤها ونندرج في اقناعها بالجهاد والتغيير. اقرأوا إذن عاشوراء، لتدركوا معاني كربلاء الحقيقية، معنى المكابدة من أجل رضا الله، معنى التضحية بكل شيء من أجل الحق، معنى الإيمان الخالص بالقضية العادلة والدفاع عنها مهما غلا الثمن.

اقرأوا عاشوراء لتعرفوا كيف نحدد أهدافنا ونوضحها، وكيف تميزوا بين الصحابة والموظفين، بين المؤمنين بأوطانهم وقضاياها وبين المندسين طمعاً في المغانم، بين المرتبطين عقلاً وقلباً بالاسلام وبين المرتبطين عاطفياً وموسمياً به، ومدى حاجتنا إلى القيادة الحركية القادرة على تحريك الأمة نحو جهاد مستمر وعمل لا ينقطع.

اعيدوا قراءة عاشوراء ودماء الحسين في كربلاء لتذكروا بأرواحكم ما يفعله هواة الرقص والتطبيع، وما يمارسه سدنة الترويح من أجل الرفاه القادم والخيرات المنتظرة التي ستغمر فردوسنا الاوسطى الموعود.

وأما الذين يظنون أن الحسين مُلكاً لفرقة دون فرقة، وأن عاشوراء مناسبة دينية لمذهب دون آخر فهؤلاء يجهلون التاريخ، فالحسين هو معلمنا جميعاً، وعاشوراء وكربلاء مناسبتان عابقتان بالدم والتضحية في تاريخنا السياسي والاسلامي لأنهما ثورة ضد الطغاة، ضد الأذلال، ضد التطبيع والمصافحة،

ضد الاستهتار بالامة، ضد تسويغ الواقع وتبرير السقوط في آبارهِ الآسنة،
ضد كل خطط الازلال التي تحاك هنا وهناك للقضاء على روح الجهاد في هذه
الامة.

عاشوراء لنا جميعاً بلا استثناء، لفقرائنا وساستنا لحركاتنا التائهة
ولانساننا الذي ما زال يخشى السياسة. عاشوراء لغة الواقع التي يجب أن
تصنع لنا المستقبل وهي لفظة الحرية في تاريخنا المليء بالاستعباد. تظل تعيد
في اذهاننا ما قاله الحسين عليه السلام: «والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر اقرار
العبيد».

قال النبي الكريم (ص):

حُسَيْنٌ بَنِي وَلَدِ بْنِ حُسَيْنٍ
أَحَبَّ اللَّهُ
مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا
حُسَيْنٌ شَرِيفٌ مِنْ آلِ شَرِيفٍ

فصائل الحنفية ٣ : ٣٢٦

دور المنظمات الشعبية

في تحقيق الأهداف للدولة

دري

* الأمين العام للمجمع

العالمي لأهل البيت (عليه السلام)



خطت البشرية خطوات واسعة على طريق ايجاد تشكيلات دولية شاملة تسعى إلى حل مشاكلها، وتحقيق تفاهم ممكن بين أعضائها، وتحاول الوصول إلى أطروحات عالمية تترك آثارها الايجابية على المستوى العالمي.

وهكذا تم انشاء الامم المتحدة اوسع منظمة دولية بما لها من منظمات فرعية في مختلف المجالات الثقافية، والاقتصادية، والصحية، والتجارية وغيرها.

كما تم انشاء حركة عدم الانحياز في مجال أضيق، ومنظمة المؤتمر الاسلامي في اطار العالم الاسلامي.

وهناك منظمات وتجمعات دولية كبرى أخرى لها أثرها الكبير في المسيرة. إلا أن أكثر المنظمات الدولية مازالت مبتلاة بنقاط ضعف كبرى تمنعها من تحقيق اهدافها الانسانية. ويمكننا أن نشير إلى بعضها فيما يلي:

١ - أن قرارات هذه المنظمات إنما تحقق في أحسن الحالات مصالح

الحكومات وتوجهاتها، ولا ضمانات فيها لتحقيق أهداف الجماهير، على أنها في الواقع إنما تحقق مصالح القوى المتحكمة في هذه المنظمات، إن لم نقل إنها إنما تحقق مصالح القطب الواحد المتحكم اليوم فيها.

٢ - أن واقع الحال المشاهد في هذه المنظمات يقضي بأنها في كثير من الاحيان تقع تحت تأثير اتجاهات معادية للانسانية، كالاتجاهات الصهيونية والاتجاهات المادية الالحادية وغيرها، الامر الذي يعود بأعظم الخسائر على المسيرة الانسانية.

٣ - أن التأمل في قراراتها يكشف لنا احياناً عن قيام هذه المنظمات بإشباعات كاذبة لتطلعات الجماهير، دون أن يكون وراء الشعارات المرفوعة واقع مؤثر، وذلك كما في قرارات حقوق الانسان، ومحاربة العنصرية، والدفاع عن حقوق المرأة، وتنظيم عملية التنمية الاجتماعية وغيرها، في حين أننا نجد في هذا المجال تكيل بمكاييل متعددة حسبما تقتضيه المصالح الضيقة. على أن القرارات الحقيقية تبقى حبراً على ورق مالم تتفق مع مصالح القوى الكبرى، ولا أدل على ذلك من الفيتو الأميركي لقرار مجلس الامن حول مصادرة الاراضي في القدس.

وكذلك ما نشاهده من ضعف في قرارات منظمة المؤتمر الاسلامي في مختلف القضايا الاسلامية، على رغم ضخامة الشعارات التي ترفعها تجاه القضية الفلسطينية والقضية الافغانية والقضية العراقية وغيرها، غير أنها تبقى عاجزة عن التنفيذ.

٤ - ثم انها تعتمد عنصر التأجيل والمماطلة والمساومة وأنصاف الحلول، واساليب ما وراء الكواليس وغيرها مما قد يؤجل الحل المطلوب. وغير ذلك من النقائص المشهودة.

ومن هناك نجد مجالاً واسعاً لقيام المنظمات غير الحكومية بالاشتراك في الاجتماعات الدولية، والسعي للضغط على الجهات الرسمية لتتخذ القرارات الأكثر انسجاماً مع الأهداف المطلوبة.

إن مشاركة هذه المنظمات يمكنها أن تترك آثاراً ايجابية من جهات عديدة

من قبيل ما يلي:

١ - لما كانت هذه المنظمات الشعبية اقرب إلى واقع المشكلات الاجتماعية، كانت أكثر تفهماً للطلول المطلوبة جماهيرياً، وهي بعد تستطيع أن تقرب القرارات من هذه الأهداف.

٢ - ولما كانت هذه المنظمات غير الحكومية حرة في تحليلاتها وغير مقيدة بالقيود الرسمية، تستطيع أن تصل إلى الحل الواقعي وتطرح ذلك بقوة امام المحافل الدولية.

٣ - على أن حضور هذه المنظمات يشكل تواصلاً جماهيرياً جيداً، قد يشكل رأياً عاماً دولياً لا تستطيع معه الجهات الرسمية إلا الاستجابة لمقتضيات هذا الرأي العام، مما يمنحها روحاً جماهيرية واقداماً على خطوات أكثر واقعية.

ولكي نكون بمنتهى الوضوح فإن من المناسب ذكر مثالين أحدهما دولي والآخر اسلامي على هذا الدور الشعبي الفعال:

المثال الأول: مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة، فإنه على رغم التخطيط الدقيق الذي اشترك فيه الكثير من العقليات المادية والمعادية للقيم المعنوية، وعلى رغم الدعم الدولي الضخم الذي تمتعت به الوثيقة المقدمة إلى هذا المؤتمر، إلا أن الب حساسية ورد الفعل الذي ابدته المنظمات الشعبية والهيئات الدينية والاجتماعية المستقلة، سواء في العالم الاسلامي أم في العالم المسيحي، أدت في النهاية إلى هزيمة أنصار التحلل والانحراف الجنسي، وتنازلهم عن كثير من البنود التي ادخلوها في هذا السند ليحققوا أهدافهم الخبيثة.

وهكذا استطعنا أن نغير أكثر من ثمانين موضعاً من السند، كما استطعنا أن ندخل في فصل المبادئ مبدأ يقر بضرورة مراعاة كل دولة لمبادئها الدينية، وقيمها الدولية. وقد قلنا: إن ذلك شكل أكبر هزيمة دولية للعقول الجهنمية المخططة ضد العلاقات الانسانية والعائلية السليمة، حتى لقد صرّح بيكر «وهو العقل المفكر اثناء حكم جورج بوش» بأن أميركا أرادت أن تروج للرديلة في مؤتمر القاهرة، ولكنها منيت بهزيمة فادحة على يد الجمهورية

الاسلامية الايرانية وغيرها من الدول الاسلامية والفاتيكان.

هذا وإن الفضل الكبير يعود للجوي العالمي الذي أوجدته المنظمات الاسلامية والمسيحية ضد هذه الوثيقة، وجهود المخلصين في المؤتمر الذين وقفوا بحزم امام هذا المخطط.

أما المثال الثاني: فنركز فيه على منظمة المؤتمر الاسلامي وكيفية تعاملها مع موضوع المرأة المسلمة، وسبل الارتفاع بمستواها ودفعها للمساهمة في مجال البناء الاجتماعي والسياسي؛ فقبل عشر سنوات تقريباً وبعد محاولات باكستانية جادة، قرر وزراء خارجية الدول الاسلامية تشكيل لجنة من ثماني دول، تعمل لايجاد منظمة دولية للمرأة. وبعد مداولات دامت سنتين قدمت هذه اللجنة تقريرها إلى الأمين العام، ولكن الفكرة وُوجِعت بمعارضة شديدة من بعض الدول المتنفذة في المنظمة، والتي لا تمتلك المرأة فيها أي دور اجتماعي، أو تلك التي لم ترد للمرأة أن تسلك سلوكاً اسلامياً ملتزماً. وأن تملك دوراً اجتماعياً بارزاً بعيداً عن التحلل الخلقي. وهكذا تم خنق المشروع في مهده من خلال التأجيلات والتسويفات، ولذلك عملت الجمهورية الاسلامية الايرانية بشتى الاساليب لاهياء هذا المشروع وكان لبعض المنظمات الشعبية النسوية دور مهم في دفع هذا المشروع إلى الامام، حتى استطعنا أن نستصدر قراراً من مؤتمر القمة السادس بذاكار - السنغال - لاهياء المشروع، وتم خنقه مجدداً حتى جاء مؤتمر القمة الاسلامي السابع في مراكش، وأعدنا الكرّة وانتزعنا قراراً بعقد ندوة مصغرة في طهران ليست للتشاور عن انشاء منظمة نسوية، وإنما في شأن مساهمة المرأة في عملية التنمية، ومع ذلك وُوجِهن بمعارضة الدول المشار اليها وتقاعس الامانة العامة، لولا سعيينا لرفع عدد الدول المساهمة، واستطاعة بعض المنظمات النسوية أن تلعب دوراً مهماً في هذا المجال.

وعقدت هذه الندوة المباركة وخرجت بقرارات جيدة جداً نرجو أن تشكل فتحاً في هذا المجال، وقد شاركت فيها ٣٤ دولة بهيئات اكثرها من الاخوات اللواتي عبّرن باشتياق عن توقع أكبر لدور أكثر فاعلية في المستقبل.

إننا لندعو الى تحرك أكبر للطاقت النسوية لتشكيل الجمعيات القوية المؤثرة، والقيام بعملية توعية اجتماعية واسعة المجال، والتنسيق فيما بين هذه الجمعيات، والحضور النشط في المحافل الدولية، واعتماد مختلف الاساليب كتقديم المشاريع وارسال البرقيات والمساهمة الجماهيرية في ايجاد رأي عام يضغط على المنظمات الدولية، لتقوم بدورها الفعال في خدمة قضية المرأة.

ونمثل لذلك بمؤتمر بكين العالمي، الذي كان فرصة فريدة استغلت في هذا المجال لتأصيل قيم عالمية انسانية تحفظ للمرأة حقوقها المشروعة، وتصور شخصيتها الانسانية ضد المعتدين على معالم هذه الشخصية. وإنني لأعتقد أن التوصيات التي صدرت من ندوة طهران يمكنها أن تشكل منطلقاً جيداً للتنسيق فيما بين المنظمات الشعبية، ولتحقيق ما اشرنا اليه من أهداف.

ومما ينبغي التذكير به هو أن حضور المرأة المؤمنة في المؤتمرات له أكبر الأثر في توضيح الصورة التي يرسمها الاسلام العظيم للمرأة، ودفع الشبهات التي يبثها الاعداء، وتوضيح وضعية المرأة في العالم الاسلامي، كما يمكنه أن يشكل جواً جيداً تطلع فيه المرأة المسلمة على أوضاع اخواتها في العالم الاسلامي، أو على المستوى العالمي، ليتم التواصل المطلوب بين كل القوى النسوية المخلصة، لتحقيق نهضة عالمية تدافع بحق عن المرأة، ولا تترك هذا الموضوع بيد حفنة من المستأكلين والمتباكين كذباً على حقوق المرأة وهم أول المعتدين عليها.

إن على المرأة المسلمة في المؤتمرات أن لا تسمح للاتجاهات المخربة أن تسيطر على مجريات الأمور، ومن المتوقع أن تحاول هذه الاتجاهات طرح شخصيات وهمية منحرفة، من قبيل (تسرین) وامثالها من ذوي الآراء العليقة الذين احتضنهم الغرب ليعبر عن عداوته لكل قيمة انسانية، فيجب الانتباه لهذه المؤامرة وافشالها وتوضيح ابعادها بكل حكمة.

إننا لنتنظر أن تقوم المرأة المسلمة ايرانية وغير ايرانية بتوضيح موقف

الثورة الاسلامية المباركة من المرأة، بدءاً بتصريحات الامام الراحل الكبير «رحمه الله تعالى»، وكذلك ما قاله قائد الثورة الاسلامية الفعلي آية الله العظمى الخامنئي الكبير، وسماحة رئيس الجمهورية الاسلامية، وانتهاء بالخطوات العملية الرائعة التي اتخذتها المجالس التقنية والقضائية والحكومية، للارتفاع بمستوى المرأة وتمكينها من ممارسة حقوقها المشروعة، من المشاركة بعملية البناء السياسي والاجتماعي والاقتصادي بكل قوة وجدارة.

وسيجد العالم أن الاسلام والثورة الاسلامية المنبثقة منه قد عملا بحق في سبيل اعلاء شأن المرأة، وتكريمها إنساناً يمكنه أن يصل إلى أعلى مستوى تكاملي، ويسهم في صنع الحضارة الانسانية أيما إسهام.

قال الإمام علي (ع) :

صِيَانَةُ الْمَرْأَةِ
نَعْمٌ لِلْحَالِهَا وَادُّومٌ لِحِمَالِهَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : ٤١٢

دراسات

مِثَالِيَّة حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ

* مِزَالِدِين سَلِيم
(العراق)

إن الدراسة الموضوعية لحديث الثقلين تجعلنا نلتقي بالحقائق الآتية:



١ - مدلول العترة:

ورد لفظ العترة بمعان عديدة في قواميس اللغة العربية، نذكر منها ما يلي: «... والعِترُ أيضاً نبت يتداوى به مثل المرزنجوش، أو شجر صغار الواحدة عترة ... والعترة قلادة تعجن بالمسك والافاويه، ونسل الرجل ورهطه وعشيرته الذين ممن مضى وغير، ومنه حديث أبي بكر: نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضته التي تفقأت عنهم، وكذا في الحديث: خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، قيل: عترة النبي بنو عبد المطلب، وقيل: أهل البيت الأقربون، وهم أولاده وعلي وأولاده»^(١).

وأورد الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (رحمته الله) معنىً مشابهاً للمعنى السابق نذكره فيما يلي «حكى محمد بن بحر الشيباني، عن محمد بن عبد الواحد صاحب أبي العباس ثعلب في كتابه الذي سماه كتاب الياقوتة أنه قال: حدثني أبو العباس ثعلب، قال: حدثني ابن

(١) محيط المحيط، بطرس
البيستاني، ط. مكتبة لبنان
١٩٧٧م ص ٥٧٤.

الاعرابي وقال: العترة قطاع المسك الكبار في النافجة^(٢) وتصغيرها عتيرة، والعترة: الريقة العذبة وتصغيرها عتيرة، والعترة شجرة تنبت على باب وجار الضب - وأحسبه أراد وجار الضبع لأن الذي للضب مكو^(٣) والضبع وجار - ثم قال: وإذا خرجت الضب من وجارها تمرغت على تلك الشجرة فهي لذلك لا تنمو ولا تكبر، والعرب تضرب مثلاً للدليل والذلة فيقولون: انزل من عترة الضب. قال: وتصغيرها عتيرة، والعترة ولد الرجل وذريته من صلبه، فلذلك سميت ذرية محمد ﷺ من علي وفاطمة ﷺ عترة محمد ﷺ. قال ثعلب: فقلت لابن الاعرابي: فما معنى قول ابي بكر في السقيفة نحن عترة رسول الله ﷺ؟ قال: أراد بلدته وبيضته وعترة محمد ﷺ لا محالة ولد فاطمة ﷺ، والدليل على ذلك رد ابي بكر وانفاذ علي ﷺ بسورة براءة وقوله ﷺ: أمرت ألا يبلغها عني إلا أنا أو رجل مني، فأخذها منه ودفعها الى من كان منه دونه، فلو كان ابو بكر من العترة نسباً - دون تفسير ابن الاعرابي انه أراد البلدة - لكان محالاً اخذه سورة براءة منه ودفعها الى علي ﷺ. وقد قيل: إن العترة الصخرة العظيمة يتخذ الضب عندها حُجراً يأوي اليه، وهذا لقلة هدايته، وقد قيل: إن العترة أصل الشجرة المقطوعة التي تنبت من اصولها وعروقها، والعترة في (غير)^(٤) هذا المعنى قول النبي ﷺ: لا فرعة ولا عتيرة. قال الاصمعي: كان الرجل في الجاهلية ينذر نذراً على أنه اذا بلغت غنمه مائة أن يذبح رجبته وعتائره^(٥) فكان الرجل ربما بخل بشاته فيصيد الظباء ويذبحها عن غنمه عند آلهتهم ليوفي بها نذره، وانشد الحارث بن حلزة:

عنناً باطلاً وظلماً كما تُعتر عن حجرة الربيض الظباء

يعني يأخذونها بذنب غيرها كما يذبح اولئك الظباء عن غنمهم. وقال الاصمعي: والعترة الريح، والعترة ايضاً شجرة كثيرة اللبن صغيرة تكون نحو القامة^(٦) ويقال: العتر: الظباء الذكر، عتر يعتر عتراً اذا نعظ، وقال الرياشي: سألت الاصمعي عن العترة: فقال: هو نبت مثل المرزنجوش ينبت متفرقاً.

قال مصنف هذا الكتاب ﷺ^(٧) والعترة علي بن ابي طالب وذريته من فاطمة وسلالة النبي ﷺ، وهم الذين نص الله تبارك وتعالى عليهم بالامامة على

(٢) النافجة: الجلدة التي يجتمع فيها المسك

(٣) في البعض النسخ (هو جحر)

(٤) في بعض النسخ (في هذا المعنى) والظاهر أنه هو الصحيح.

(٥) عتائر: جمع عتيرة وهي شاة كان العرب يذبحونها للاصنام في شهر رجب، ويقال لها ايضاً «رجبية».

(٦) في بعض النسخ «بحرتهامة» والظاهر أنه تصحيف.

(٧) يعني الشيخ الصدوق

لسان نبيه ﷺ، وهم اثنا عشر اولهم علي وآخهم القائم ﷺ على جميع ما ذهب اليه العرب من معنى العترة؛ وذلك أن الائمة ﷺ من بين جميع بني هاشم ومن بين جميع ولد أبي طالب كقطاع المسك الكبار في النافجة، وعلومهم العذبة عند أهل الحل والعقد^(٨) وهم الشجرة التي قال رسول الله ﷺ: انا اصلها وامير المؤمنين ﷺ فرعها والائمة من ولده اغصانها وشيعتهم ورقها وعلمهم ثمرها، وهم ﷺ اصول الاسلام على معنى البلدة والبيضة، وهم ﷺ الهداة على معنى الصخرة العظيمة التي يتخذ الضب عندها جحراً يأوي اليها لقله هدايته، وهم اصل الشجرة المقطوعة لأنهم وتروا وظلموا وجفوا وقطعوا ولم يوصلوا فنبتوا من اصولهم وعروقهم ولا يضرهم قطع من قطعهم وادبار من ادبر عنهم؛ اذ كانوا من قبل الله منصوباً عليهم على لسان نبيه ﷺ، ومن معنى العترة هم المظلومون المأخوذون بما لم يجرموه ولم يذنبوه، ومنافعهم كثيرة وهم ينابيع العلم على معنى الشجرة الكثيرة اللين، وهم ﷺ ذكران غير اناث على معنى قول من قال: إن العترة هو الذكر، وهم جند الله عزوجل وحزبه على معنى قول الاصمعي، إن العترة الريح. قال النبي ﷺ: الريح جند الله الاكبر - في حديث مشهور عنه ﷺ - والريح عذاب على قوم ورحمة لآخرين وهم ﷺ كذلك كما في القرآن^(٩) المقرون اليهم بقول النبي ﷺ: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي. قال الله عزوجل: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً﴾^(١٠)، وقال عزوجل: ﴿واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون﴾ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون^(١١) وهم ﷺ المشاهد المتفرقة على معنى الذي ذهب اليه من قال: إن العترة هو نبت مثل المرزنجوش ينبت متفرقاً وبركاتهم منبثة في المشرق والمغرب^(١٢).

ومما تجدر الاشارة اليه أن احتمال صرف لفظة العترة عن معناها الحقيقي - بسبب تعدد معانيها اللغوية - هو الذي جعل النبي الكريم ﷺ يشخص في حديثه المدلول الحقيقي الذي يقصده من ذكره للعترة، حيث قرنها بلفظة «اهل

(٨) في بعض النسخ (عند اهل الحكمة والعقل).

(٩) فسي بعض النسخ (كالقرآن) ولعل المثبت هو الصحيح.

(١٠) سورة الاسراء: ٨٢.

(١١) سورة التوبة: ١٢٤ - ١٢٥.

(١٢) معاني الاخبار: ٩١ - ٩٢ ط. قم ١٣٧٩ هـ.

بيتي؛ ليقطع الطريق على المتلاعبين ويلقي الحجة على الأمة عبر امتدادها التاريخي (١٣).

ومن أجل ذلك ذكر عطية العوفي في إحدى رواياته للحديث أنه عندما حدثه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه مرة ولم يذكر لفظة أهل بيتي بعد عترتي «قلت لأبي سعيد: من عترته؟ قال: أهل بيته» (١٤).

٢ - المدلول الحقيقي لأهل البيت:

من أجل تحديد المدلول الحقيقي للفظ أهل البيت الواردة في آية التطهير والاحاديث الشريفة، لابد من أن نحدد المراد لغوياً من مصطلح «أهل البيت» الذي حملته الآية الشريفة والاحاديث، كما وردت في كتاب الله العزيز وقواميس اللغة العربية، فإن استعراضاً سريعاً لمجمل الآيات القرآنية التي تحمل اللفظين، أي أهل وبيت، إضافة إلى قواميس اللغة يقودنا إلى جملة من المداليل للفظين المذكورين.

فأهم معاني الأهل في القرآن الكريم واللغة العربية:

١ - الزوجة: فقد ورد في كتاب الله العزيز آيات كثيرة تحمل هذا المعنى. قال تعالى:

﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلني آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴾ (١٥).

فأهل موسى عليه السلام المشار إليهم في الآية ليس غير زوجه (١٦) التي خرج بها عائداً من مدين إلى مصر - كما هو معلوم - وليس يصحبه أحد سواها.

وقال عز وجل: ﴿ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ (١٧).

والأهل هنا في الآية الكريمة هي زوج عزيز مصر لا غير، وفي كتاب الله نماذج أخرى من هذا القبيل.

٢ - الأسرة من الزوجين والاولاد ومتعلقي الرجال، وإلى هذا المعنى اشارت جملة من آيات الذكر الحكيم.

(١٣) لاحظ اقتران لفظة أهل بيتي بلفظ العترة في مختلف الالفاظ التي ورد بها حديث الثقلين. راجع صحيح مسلم والترمذي والحافظ السيوطي في احياء الميت والسمهودي في جواهر العقدين وكنز العمال وغيرهم.

(١٤) معاني الاخبار: ٩٠.

(١٥) القصص: ٢٩.

(١٦) راجع تفسير السيد

عبدالله شبر: ٣٧٣، ط ٣.

١٩٧٧ م، دار احياء التراث

العربي.

(١٧) يوسف: ٢٥.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَنْجَوُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (١٨).

وقال: ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (١٩).

فلوط النبي ﷺ - كما تشير الآية الأولى - قد أنجاه الله تعالى من العقوبة الدنيوية التي حلت بقومه، ولم ينج معه من العذاب غير ابنتيه، حتى امرأته التي خالفت خطه واندمجت في خط قومها نالها العذاب، ولقد عبر القرآن الكريم عن ابنتي لوط ﷺ وزوجه بالاهل، على أنه تعالى استثنى زوجه من النجاة، فكان أهله بنتيه الناجيتين معه.

وفي الآية الثانية توجيه للمؤمنين - من خلال مخاطبة النبي ﷺ - إلى حمل اسرهم ومتعلقينهم على الاهتمام بأمر الصلاة أداء وحفظاً لوقت الاداء. والمهم أن الأهل في الآيتين تعني الاسرة بمعناها العرفي العام، فسمت الذرية أهلاً كما في موضوع لوط ﷺ، ودعت الأزواج والذرية ومتعلقي الرجل القاطنين في داره أهلاً كما في الآية الثانية.

٣ - الأهل تعني اسرة الرجل الذين يندمجون في الخط الفكري الذي يحمل ويتبنى دون سواهم من افراد أسرته، وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم. ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني اعطتك أن تكون من الجاهلين﴾ (٢٠).

فأهل نوح النبي ﷺ الحقيقيون في مضمون الآية ليسوا كل من عاش في داره وربطتهم معه وشيجة القرى من أبوة وسواها، وإنما هم - فضلاً عن ذلك - السالكون لدربه والمؤمنون برسالته الالهية؛ ولذا نهاه سبحانه وتعالى أن يعد احد ابنائه - وهو منحرف عن الاسلام - في زمرة اهله، فكان أهله فحسب من حمل رسالته من زوجه واولاده وزوجات أولاده (٢١).

٤ - الاقارب والعشيرة، وقد ورد الأهل بهذا المعنى في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٢٢).

﴿وَشَهِدْ شَاهِدًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٢٣).

فقد جاء في توضيح المراد من الأهل في الآية الأولى أنهم اقارب

(١٨) العنكبوت: ٢٣. الغابرين: الباقيين. راجع تفسير عبد الله شبر: ٢٨٢.

(١٩) طه: ١٣٢. أهلك: اهل بيتك. انظر تفسير شبر: ٢٧٤.

(٢٠) هود: ٤٥ - ٤٦.

(٢١) لاحظ تفسير الآية في تفسير الجلالين.

(٢٢) النساء: ٣٥.

(٢٣) يوسف: ٢٦.

الزوجين (٢٤).

(٢٤) انظر تفسير الجلالين وشبر.

كما حدد المفسرون المراد من الأهل في الآية الثانية بأقارب امرأة العزيز المصري، وقد قالوا عن الشاهد الذي فند مزاعمها بحكمه إنه ابن اختها أو ابن عمها أو رجل غيرهما على اختلاف الروايات (٢٥).

(٢٥) لاحظ تفسير شبر، والميزان ١٢: ١٤٢.

٥ - وجاء الأهل في القرآن الكريم بمعنى أبناء الرجل فقط كما يفيد قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (٢٦).

(٢٦) الانبياء: ٨٤.

فالأهل الذين آتاهم الله تعالى ايوب النبي ﷺ - بعد كشف الضر عنه - هم اولاده فحسب، وقد ضاعف الله تعالى عددهم بفضله، وإلى هذا المعنى نفسه اشارت آية متقدمة حين اعتبرت ابنتي لوط ﷺ أهلاً له، وذكرت قصة نجاتهم دون امرأته المنحرفة عن سبيل الله تعالى ﴿إِنَّا مَنجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٢٧).

(٢٧) العنكبوت: ٣٣.

٦ - ومن معاني الأهل في القرآن الكريم أصحاب الشيء أو اصحاب العمل كما تؤكد النصوص الآتية:

(٢٨) فاطر: ٤٣.

﴿وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (٢٨) أي اصحابه الذين عملوه. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (٢٩) يقصد اصحابها. ﴿قَالَ أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ (٣٠) أي الذين تحملهم من اصحابها وغيرهم من المستأجرين.

(٢٩) النساء: ٥٨.

(٣٠) الكهف: ٧٦.

وهكذا يتضح جلياً أن كلمة «أهل» حين تطلق تحتل عدة وجوه - كما رأينا - فربما تعني الزوجة فقط، أو الأولاد فقط، أو هي وهم معاً، أو الاقارب والعشيرة، أو الحملة لرسالة الرجل من أسرته دون سواهم، أو اصحاب الشيء والأمر.

ولم ينفرد القرآن الكريم في طرح هذه المداليل الكثيرة لكلمة الأهل، وإنما شاركته قواميس اللغة العربية المعتمدة في هذا المضمار فقد قال الفيروز آبادي في قاموسه المحيط ما نصه في هذا الباب: «أهل الرجل: عشيرته وذوو قريابه «جمع» أهلون، وأهلان، وأهل يأهل ويأهل أهولا وتأهل واتهل: اتخذ أهلاً. وأهل الامر: ولاته، وللبيت سكانه، وللمذهب من يدين به، وللرجل زوجته

كأهله، وللنبي أزواجه وبناته وصهره علي عليه السلام أو نسأؤه، والرجال الذين هم آله، ولكل نبي أمته، ومكان أهل: له أهل، ومأهول: فيه أهله...» (٣١).

وقد أوجز المعجم الوسيط في تعريفه لكلمة أهل فقال: «الأهل: الأقارب والعشيرة والزوجة، وأهل الشيء: أصحابه وأهل الدار ونحوها: سكانها...» (٣٢).
أما كلمة «بيت» التي وردت في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه فقد حملت مدلولين اثنين فحسب:

١ - البيت النسبي وهو جماعة من الناس تجمعهم رابطة القرى ويمثلون جزءاً من عشيرة أو قبيلة، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣)، فالبيت في منطق هذه الآية إنما هو لوط النبي عليه السلام وأبنتاه (٣٤).

وقد جاء البيت بمعنى الجزء من القبيلة في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، نذكر منه موضع الحاجة. قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، فذلك قوله تعالى: وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين» إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب» (٣٥).

٢ - البيت المادي المعد للسكن أو العبادة، وقد وردت آيات عديدة في هذا المعنى:

﴿وَرَأَوْتَهُ الْيَوْمَ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ (٣٦).

﴿فِي بَيْوتِ أَزْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (٣٧).

﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبِثَ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨).

ومن نافذة القول أن نذكر أن اللفظين مدار البحث - الأهل والبيت - ليسا الوحيدين اللذين تعددت مفاهيمهما في القرآن الكريم واللغة العربية، وإنما حفلت الآيات الكريمة وقواميس اللغة بالعديد من الكلمات ذات الالفاظ

(٣١) القاموس المحيط، ٣.

(٣٢) فصل الهمزة، باب اللام.

ط. مؤسسة الحلبي - القاهرة.

(٣٣) مادة (أهل).

(٣٤) الذاريات: ٣٦.

(٣٥) لاحظ مجمع البيان.

وتفسير الجلالين.

(٣٦) أخرجه الحكيم الترمذي

والطبراني وابن مردويه وأبو

نعيم البيهقي في الدلائل عن

ابن عباس. لاحظ روح

المعاني للسيد محمود

الأغوسي ٢٢: ١٢، ط. طهران.

كما ذكر الحديث السيوطي في

دره المثور في تفسير آية

التطهير.

(٣٧) يوسف: ٢٢.

(٣٨) النور: ٣٦.

(٣٩) العنكبوت: ٤١.

المشتركة من هذا القبيل، كلفظة «أمة» التي وردت في القرآن الكريم بثمانية معانٍ، ومنها:

(٢٩) القصص: ٢٣.

١ - جماعة كما في قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (٣٩).

(٤٠) آل عمران: ١١٠.

٢ - اتباع الانبياء ﷺ كقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٤٠).

(٤١) النحل: ١٢٠.

٣ - رجل واحد جامع للخير يقتدى به كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ (٤١).

٤ - دين وملة كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ (٤٢).

(٤٢) الزحرف: ٢٢ و ٢٣.

٥ - حين وزمان كقوله: ﴿إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ (٤٣).

(٤٣) هود: ٨.

٦ - صنف واحد او على طريقة واحدة كقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٤٤).

(٤٤) البقرة: ٢١٣. يراجع

مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني.

اهل البيت في آية التطهير والاحاديث الشريفة:

بعد استعراضنا السريع للمراد لغوياً من كلمتي «اهل» و «بيت» أيقنا أن كلمة اهل على وجه الخصوص كلمة عامة ومطلقة، فإذا اطلقت يتبادر الى ذهن السامع او القارئ ان المراد منها واحد من المداليل الآتية: الزوجة فقط. الاولاد فقط. هي وهم معاً. العشيرة والارحام. الحَمَلَة لملة الرجل من أسرته، وغير ذلك.

وإذا اضيفت كلمه البيت للأهل يتبادر الى الذهن سكان البيت من ماله حقيقي له وأسرته ومن معهم من اماء وخدم، أو أصحاب البيت بالتملك فقط الى غير ذلك، الامر الذي ينطبق على لفظة (اهل البيت) التي وردت ضمن آية التطهير المباركة ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٤٥).

(٤٥) الأحزاب: ٣٣.

ومن هنا فإن الضرورة تقتضي تخصيص هذا التعميم في كلمة الأهل وتقييد اطلاقها، وذلك يتأتى من خلال قرينة ترافق الاستعمال كأن يشير المتكلم الى من أراد بخطابه، او يرشد السامع بالإخبار المباشر الى من قصد من ذكره للأهل. ومن المقطوع به أن رسول الله ﷺ كان مدركاً لطبيعة كلمة (اهل البيت) من ناحية المرونة والاستيعاب، ومن أجل ذلك قيد اطلاقها وخصص عمومها - كما سنرى - غير أن الاهمال المتعمد للقرينة - وسنبين

الاسباب - اعطى فرصة لصرف الكلمة الى جميع ما تتحمله من معان ومداليل، وقد تمخض عن اهمال القرينة قيام عدة مذاهب كل منها يزعم لنفسه سلامة الاتجاه والمرمى:

١ - فمن قائل إن المراد من اهل البيت الوارد ذكرهم في آية التطهير هم بنو هاشم - عشيرة النبي ﷺ - جميعاً ذكورهم واناثهم، وهذا ما رآه الثعلبي وقال به الحنفية من مذاهب اهل السنة.

٢ - أنهم مؤمنو بني هاشم وعبد المطلب دون سائر ابنائهما، وهو رأي الشافعية.

٣ - وقيل: إن اهل البيت المشار اليهم في آية التطهير هم نساء النبي ﷺ فحسب، واصحاب هذه الوجهة عكرمة مولى ابن عباس ومقاتل وعروة ومن اندمج في خطهم.

٤ - ولجأ قوم الى عملية توفيقية فقالوا: إن اهل البيت هم رسول الله وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام ويضاف اليهم ازواج النبي ﷺ، واختار هذه الوجهة الآكوسي في روح المعاني وابن حجر.

٥ - وذهب قوم الى أن اهل البيت الذين قصدتهم الآية إنما هم العباس بن عبد المطلب - عم النبي ﷺ - وابناؤه، وقد روى هؤلاء حديثاً نسبوه الى رسول الله ﷺ لتبرير مذهبهم، فقالوا إن الرسول ﷺ «اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال: يا رب هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه، فأمنت اسكفة الباب وحوايط البيت، فقالت: آمين ثلاثاً» (٤٦).

٦ - وقالت طائفة من الناس: إن اهل البيت رسول الله وعلي وفاطمة والحسنان وازواج النبي وبناؤه وراحامه.

٧ - أن اهل البيت الذين خصوا بالذكر في آية التطهير هم رسول الله وعلي ابن ابي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم، وإذا كان يلزم ذكر الطرف الذي يتبنى هذا الرأي فإن من المقطوع به أن الذي صدع به هو رسول الله ﷺ نفسه، فلقد احصي ما ورد عنه ﷺ من

(٤٦) روح المعاني ٢٤: ١٤.

السيد محمود الآكوسي، آية التطهير ط. طهران.

أحاديث - بهذا الخصوص - فنافت على السبعين، روى منها أهل السنة بطرقهم ما يقرب من أربعين حديثاً عن أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وسعد وواثلة بن الأسقع وأبي الحمراء وابن عباس وثوبان مولى النبي وعبدالله بن جعفر وعلي والحسن بن علي عليه السلام.

ورواها الشيعة عن علي والسجاد والباقر والصادق والرضا عليهم الصلاة والسلام وعن أم سلمة وأبي ذر وأبي ليلى وأبي الأسود الدؤلي وعمرو بن ميمون الأودي وسعد بن أبي وقاص في أكثر من ثلاثين طريقاً ^(٤٧). وهذه طائفة من الأحاديث النبوية المحددة للمراد من أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير، وهي مما اجمعت عليه الأمة عبر أجيالها من خلال كتب الاحاديث المعتمدة أو كتب التفسير :

أ - روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه الكبرى وكل من الطبري وابن كثير والسيوطي في تفسير الآية بتفاسيرهم - واللفظ لمسلم - عن عائشة قالت: «خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾» ^(٤٨).

ب - في تفسير آية التطهير عند ابن كثير والسيوطي وسنن البيهقي وتاريخ بغداد للخطيب ومشكل الآثار للطحاوي - واللفظ لابن كثير - عن أم سلمة رضي الله عنها ^(٤٩) قالت: «في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله بكساء كان عليه ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وفي باب فضل فاطمة من صحيح الترمذي والرياض النضرة وتهذيب التهذيب قال رسول الله ﷺ: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وفي مسند احمد قالت أم سلمة: «فأدخلت رأسي في البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال: انك الى خير انك الى خير».

(٤٧) لاحظ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين المطباطي ١٦ : ٣٢٩، آية التطهير، ط ٣، ١٣٩٦ هـ - طهران.

(٤٨) مستدرک الصحيحين ٣ : ١٤٧ ط. حيدر آباد ١٣٣٤ هـ، وصحيح مسلم: باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ ط ٢، ١٩٧٢ م دار احياء التراث العربي - بيروت، والبيهقي في سننه الكبرى ٢ : ١٤٩ ط. حيدر آباد ١٣٤٦ هـ، وتفسير الطبري ٢٢ : ٥ ط. بولاق ١٣٢٣ هـ، وتفسير ابن كثير ٣ : ٤٨٥ ط. القاهرة، وتفسير السيوطي ٥ : ١٩٨ - ١٩٩ ط. القاهرة ١٣١٤ هـ.

(٤٩) سنن البيهقي ٢ : ١٥٠ وابن كثير ٣ : ٤٨٣، والسيوطي ٥ : ١٩٨ وعند الحاكم في تفسير الآية ٢ : ٤١٦، وتاريخ بغداد ٩ : ١٢٦ للخطيب البغدادي ط. القاهرة ١٣٤٩ هـ، ومشكل الآثار ١ : ٣٣٤ للطحاوي ط. حيدر آباد ١٣٢٣ هـ.

وفي رواية الحاكم في المستدرک قالت أم سلمة: «يا رسول الله، ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير. هؤلاء أهل بيتي. اللهم أهل بيتي أحق».

ج - في تفسير السيوطي ومشكل الآثار - واللفظ للسيوطي - قالت أم سلمة: «نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ وفي البيت سبعة جبريل وميکال وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام وأنا على باب البيت. قلت: يا رسول الله، ألسنت من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير إنك من أزواج النبي» ^(٥٠).

د - في تفسير الطبري وذخائر العقبي للمحب الطبري - واللفظ للأول - عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله ﷺ: نزلت هذه الآية في خمسة، في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» ^(٥١).

هـ - الطبري وابن كثير في تفسيريهما والترمذي في صحيحه والطحاوي في مشكل الآثار - واللفظ للطبري - عن عمر بن أبي سلمة قال: «نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا علياً فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال: هؤلاء بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ^(٥٢).

و - في صحيح الترمذي ومسنند أحمد ومسنند الطيالسي ومستدرک الصحيحين وأسد الغابة وتفسير الطبري وابن كثير والسيوطي - واللفظ للترمذي - عن أنس بن مالك قال: «إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» ^(٥٣).

ز - الاستيعاب وأسد الغابة ومجمع الزوائد ومشكل الآثار وتفسير الطبري وابن كثير والسيوطي عن أبي الحمراء - واللفظ للسيوطي - قال: «حفظت من رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى باب علي عليه السلام فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال: الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» ^(٥٤).

(٥٠) السيوطي في دره المنثور ٤: ١٩٨، ومشكل الآثار ١: ٢٣٢.

(٥١) الطبري ٢٢: ٥، وذخائر العقبي ٢٤ ط القاهرة ١٣٥٦ هـ.

(٥٢) الطبري ٢٢: ٧، وابن كثير ٣: ٤٥٨، وصحيح الترمذي ١٢: ٨٥ ط القاهرة ١٣٥٠ هـ، والطحاوي ١: ٢٣٥.

(٥٣) مستدرک الصحيحين ٣: ١٥٨، وأسد الغابة ٥: ٥٢١، ط القاهرة ١٢٨٠ هـ، ومسنند أحمد ٣: ٢٥٨، والطبري في تفسيره ٥: ٢٢، وابن كثير ٣: ٤٨٣، والسيوطي في دره المنثور ٥: ١٩٩، ومسنند الطيالسي ٨: ٢٧٤، ط حيدر آباد ١٢٢١ هـ، والترمذي ١٢: ٨٥، وكنز العمال ٧: ١٠٣، ط ١.

(٥٤) الاستيعاب للأشعري ٢: ٥٩٨، ط ٢ حيدر آباد ١٢٣٦ هـ، وتفسير الطبري وابن كثير والسيوطي في تفسير آية التطهير من سورة الاحزاب، وترجمة أبي الحمراء في أسد الغابة ومجمع الزوائد للهيثي ٩: ١٢١ و ١٦٨ ط ٢ بيروت ١٩٦٧ م، ومشكل الآثار للطحاوي ١: ٢٣٨.

وفي تفسير السيوطي عن ابن عباس قال: «شهدت رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عليه السلام عند كل صلاة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ كل يوم خمس مرات» (٥٥).

(السيوطي في الدرر

المنثور ٥: ١٩٩.

من ادخل نساء النبي ﷺ في اهل بيته؟

من متابعة سريعة للبلبلّة التي أثّرت حول مدلول اهل البيت عليه السلام، يتبين أن المدلول الحقيقي لهذا المصطلح الجليل قد تعرض لحملة من التزوير والتشويه، قادها رجلان من الموالي يعدان من أكثر المحدثين دجلاً، أحدهما من البربر والآخر بلخي خراساني. كان الأول من غلاة الخوارج ويدعى عكرمة، والثاني من غلاة المجسمة ويدعى مقاتلاً، وكان لهما الكذابين دور فعال في تفسير مصطلح اهل البيت الوارد في آية التطهير أو الاحاديث الشريفة بنساء النبي ﷺ بدلاً عن الخمسة المطهرين عليهم الصلاة والسلام.

وهذه نبذة قصيرة عن سيرة كل من الرجلين:

١ - عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٧ هـ): هو عكرمة بن عبدالله مولى عبدالله ابن العباس. أصله من البربر من بلاد المغرب، وكان مولى لحصين بن النمير العنبري، فوهبه لابن عباس حين ولي البصرة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، اجتهد ابن عباس عليه السلام في تعليمه القرآن والسنن، وقد حدث عكرمة عن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعبدالله بن عمرو بن العاص وعائشة، وكان كثير التنقل من بلد إلى بلد.

كان من الوجهة الاعتقادية يرى رأي الخوارج بل رأي غلاتهم، فعن ابن المدائني قال: «كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري، وهو من أشد الخوارج بغضاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام».

وكان يرى كفر جميع المسلمين من غير الخوارج. ومما يكشف عن موقفه ذلك ما رواه خالد بن عمران قال: «كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم، فقال: وددت أن بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً

وشمالاً».

وعن يعقوب الحضرمي عن جده أنه قال: «وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلا كافر».

ومن مفاهيمه الاعتقادية ما قاله أيوب محدثاً عنه أنه قال: «إنما أنزل الله متشابه القرآن ليُضِلَّ به».

أما عن درجة التزامه بالشريعة الإسلامية ومقتضياتها فيحدثنا يحيى بن سعيد حديثاً عن أيوب «إن عكرمة لا يحسن الصلاة». ولقد اشتهر بكذبه ووضعه للحديث على ابن عباس وابن مسعود، فعن عبدالله بن الحارث قال: «دخلت على علي بن عبدالله بن العباس فإذا عكرمة في وثاق فقلت: ألا تتقي الله؟ فقال: إن هذا الخبيث يكذب على أبي»، وشبهه بهذه الرواية رويت عن علي بن عبدالله بن مسعود. وعن ابن المسيب أنه قال لمولاه واسمه برد: «لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس».

وأضافة إلى ما اتصف به من كذب وافتراء فإنه كان يحب الغناء ويستمتع ويلعب بالنرد.

وقد شهد كثير من أهل العلم من معاصريه بعدم وثاقته.

فطاووس اليماني يقول فيه: «لو أن عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله لشدت إليه المطايا».

وعن ابن ذؤيب: «رأيت عكرمة وكان غير ثقة».

وشهد محمد بن سيرين بكذبه.

ووصفه يحيى بن سعيد الانصاري بأنه كذاب^(٥٦).

هذه بعض ملامح شخصية عكرمة مولى ابن عباس كما ذكرتها أوثق كتب الرجال عند المسلمين، أفصح بعد هذا أن نركن إلى الوثوق برأي ارتآه، أو حديث رواه؟.

٢ - مقاتل: هو مقاتل بن سليمان البلخي الأزدي الخراساني المتوفى عام ١٥٠هـ. أصله من بلخ. انتقل إلى البصرة ثم إلى بغداد وعاد إلى البصرة^(٥٧) وهلك فيها.

(٥٦) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، عبد الحسين شرف الدين (مطبوع بذييل الفصول المهمة في تأليف الأمة للمؤلف قدس سره)، ط. دار النعمان في النجف الاشرف، وقد نقل ترجمته عن ميزان الاعتدال للنهني، والاستزادة يراجع وفيات الاعيان ٢: ٤٢٧، التسلسل ٣٩٤، والمعارف لابن قتيبة الدينوري وطبقات ابن سعد وغيره.

(٥٧) الاعلام لخير الدين الزركلي.

روى عن الضحاک - ولم يدركه - ومجاهد وعلي بن الجعد. كان مفسراً للقرآن على طريقته الخاصة حتى قال فيه ابن المبارك: «ما أحسن تفسيره لو كان ثقة» (٥٨).

أما وجهته الاعتقادية فقد أجملها الرجاليون بقولهم: «إنه كان من غلاة المجسمة يشبه الرب تعالى بالمخلوقين. قال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعله مثل خلقه» (٥٩).

وقال ابن حبان: «كان - يعني مقاتلاً - يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في الحديث» (٦٠).

و «كان على مذهب المرجئة» (٦١).

أما من الناحية الالتزامية، فلم يكن بشيء؛ إذ كان كذاباً يضع الحديث على رسول الله ﷺ، ويأخذ عن اليهود والنصارى ويغرر بالمسلمين، حتى وصفه الجوزجاني كما في ترجمة مقاتل في ميزان الاعتدال بقوله: «كان مقاتل دجالاً جسوراً. سمعت أبا اليمان يقول: قدم ها هنا فأسند ظهره إلى القبلة وقال: سلوني عما دون العرش، وحدث أن قال مثلها بمكة فقام إليه رجل فقال: اخبرني عن النحلة أين امعاؤها؟ فسكت».

وقال النسائي: «والكذابون المعروفون بوضع الحديث: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان» (٦٢).

وفي ترجمة مقاتل في وفيات الأعيان: «قعد مقاتل فقال: سلوني عما دون العرش، فقال له رجل: أخبرني من خلق رأس آدم حين حج ... فبهت».

ومن المناسب أن نذكر أن مقاتلاً كان بحكم كونه من المرجئة - المذهب الذي صممته السياسة الأموية - عدواً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولعل في مخاطبته للناس بقوله: سلوني إشارة واضحة لحقه الدفين؛ لأن هذه العبارة كثيراً ما كان يرددها الإمام علي عليه السلام ويخاطب بها الأمة.

هذه لمحة موجزة عن بطلي الافتراء على الله ورسوله وأهل بيت النبوة عليه السلام،

(٥٨) تهذيب تهذيب العمال في أسماء الرجال للحافظ الخرجي الانصاري، وميزان الاعتدال للذهبي ٤: ١٧٣، التسلسل ٨٧٤١، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٩٦٧، وغيرهما.

(٥٩) ميزان الاعتدال للذهبي ٤: ١٧٣، التسلسل ٨٧٤١.

(٦٠) ميزان الاعتدال للذهبي ٤: ١٧٣، التسلسل ٨٧٤١.

(٦١) الفصل لابن حزم ٤: ٢٠٥، نقلاً عن الكلمة الغراء لشرف الدين: ٢١٢.

(٦٢) ميزان الذهبي ٣: ٥٦٢، ترجمة محمد بن سعيد المصلوب.

استوحيناها من أكثر مصادر تأريخ الرجال شيوعاً بين المسلمين.
أفيجوز لمسلم شرعاً أن يدين الله تعالى برأي يتبناه هذان الخبيثان أو
يدعوان إليه؟

أرأيت كيف يلوث الدجالون وجه الحقيقة؟

بل كيف يتفنن المفترون لمواجهة الحق؟

فقد يرتدي الدجل ثوب فقيه أو مفسر، وقد يتجلبب الافتراء بجلباب رئيس
مذهب أو ملة ويأتي الناس بدعوى الإصلاح، بيد أن حيل الكذب قصير.
إن خطر الافتراء لا يدخل في الحساب إذا بقي حبيساً بين جدران أصحابه،
ولكنه يتحول فتنة عمياء إذا وجد من يتخذ منه مبادئ وشعارات وهدافاً.
والا فكيف يجوز لمسلم عاقل أن يطمئن إلى رأي يراه عكرمة ومقاتل
واضربهما من خدام السلاطين المنحرفين عن صراط الحق؟ ﴿فإنها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

وهكذا نخلص إلى القول: إن حديث الثقلين يهدف أساسياً إلى بلورة مفهوم
ضرورة وجود القيم الملازم للقرآن الكريم بعد النبي ﷺ، لا أمداً محدوداً
وإنما حتى قيام الساعة وحين يرث الله الأرض ومن عليها: «وإنهما لن يفترقا حتى
يردا علي الحوض».

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن مجموعة من النصوص الشريفة تعمق هذا
المبدأ وترسخه في ضمير الزمن.

قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل
السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» (٦٣).
وقال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف
عنها هلك»، وفي لفظ آخر «ومن تخلف عنها غرق» (٦٤).

وأخرج ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن نافع مولى ابن عمر قال: «قلت
لابن عمر: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: ما أنت وذاك لا أم لك! ثم
قال: استغفر الله. خيرهم بعده من كان يحل له ما يحل له، ويحرم عليه ما يحرم
عليه. قلت: من هو؟ قال: علي بن أبي طالب. سد أبواب المسجد وترك باب علي،
وغيرهم

(٦٣) ينابيع المودة، الحافظ
سليمان بن إبراهيم القدوري
الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ) : ٢٠٠،
نقلًا عن أحمد بن حنبل
والحموي الشافعي
بطريقين، والحاكم في
المستدرک بطريقين، وعن
الصواعق المحرقة لابن حجر
وعن نوادر الأصول، وقد ورد
الحديث بألفاظ متقاربة
واثبتنا هنا لفظ أحمد في
مناقبه. هذا وقد روى الحديث
السيد ابن طاووس في
الطرائف: ١٣١، نقلًا عن
ينابيع المودة ونخائر العقبي
للمحب الطبري والعمدة
وغيرها

(٦٤) أخرجه الفقيه الحافظ
ابن المغازلي (ت ٤٨٣ هـ) في
العناقب بعدة طرق عن ابن
عباس وأبي ذر وسلمة بن
الأكوع، كما أخرجه الحافظ
القدوري الحنفي في ينابيع
المودة: ٢٧ و ٢٨ بطرق
عديدة، نقلًا عن البزار وابن
المغازلي والحموي الشافعي
والطبراني في الأوسط
والصغير وابن حنبل
وغيرهم

وقال له: لك في هذا المسجد مالي، وعليك منه ما علي، وأنت وارثي ووصي. تقضي ديني وتنجز عداتي، وتقتل على سنتي. كذب من زعم أنه يبغضك ويحبني» (٦٥).

فأهل بيت النبي ﷺ مرة لاهل الارض، ومرة كسفينة نوح ﷺ التي بها نجا المؤمنون ولم ينج بسواها حتى من اوى الى الجبال، ومرة يكون عميدهم ﷺ وارثاً للنبي ووصيه والمنجز لعداته.

إن أي مسلم عاقل بعد استيعاب هذه الحثثيات وعيش النصوص التي تتحدث عن مكانة علي بن أبي طالب ﷺ وأولاده ومسؤوليتهم بعد النبي ﷺ لا يسعه أن يرى أن هذه النصوص قد دخلت مدليلها حيّز التاريخ الماضي فقط الذي لا يرتبط بواقع المسلمين اليوم؛ فإن قضية الحكم مجردة قد يصدق عليها هذا التصور، إلا أن وجوب استمداد القيم والاحكام الشرعية ومعارف الحق من أهل البيت ﷺ من أوضح مسؤوليات الامة تجاههم بعد رسول الله ﷺ حتى قيام الساعة، كما يفيد حديث الثقلين وحديث الغدير وحديث المنزلة والسفينة وآية الولاية وغيرها من نصوص شريفة.

وهكذا فإن اعتقاد البعض بعدم جدوى الحديث حول قضايا تاريخ المسلمين الغابر ومشاكله، قد يصح إذا كان القصد منه إثارة القضايا التاريخية مجردة عن مدلولها الحضاري فحسب، أما إذا أدركنا أن النصوص الاسلامية الاصلية التي استعرضنا بعضها، كان من مقاصدها المركزية أن تفرض الولاية لعلي وأولاده على الناس بعد ولاية الله تعالى ورسوله ﷺ بمعناها الشامل، من ولاية تدبير الشؤون، وولاية قيادتهم نحو الحق، وولاية صياغة حياتهم وفق ما أراد الله تعالى وارتضاه لعباده، وما في الولاية الشاملة من أبعاد وحقوق وامتدادات، أقول: إذا أدركنا ذلك تتضح حينئذ مسؤوليتنا وضوحاً كاملاً تجاه الائمة ﷺ بعد النبي ﷺ.

ومن الجدير ذكره، أننا لو أجرينا دراسة لكتب المناقب الخاصة بآل البيت ﷺ، لوجدنا أن النصوص الكريمة التي تتناول مناقبهم صلوات الله عليهم أجمعين تنقسم الى محورين:

١ - محور يتناول الولاية العامة لأهل البيت ﷺ كحديث الغدير والثقلين

(٦٥) المصدر السابق: ٢٦١،
ونقل في الهامش احاديث
مشابهة عن البخاري في
الصحيح والسنن في
الخصائص وابن حجر في
لسان الميزان والترمذي في
جامعة الصحيح والبيهقي في
السنن

والمنزلة وما الى ذلك.

٢ - ومحور يتناول ابعاداً محددة من خصائص الولاية العامة كالعلم «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، والعدل «كفي وكف علي في العدل سواء»، والاعلمية في القضاء «أقضاكم علي» الى غير ذلك.

وهكذا فإن من الضروري جداً لهذه الامة أن تلتفت الى البعد العام للولاية المناطة بعلي بن ابي طالب وأولاده عليهم الصلاة والسلام ، وأبرز معالمها هو الاستمداد منهم والاندماج بخطهم في الفكر والعمل .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال الرسول الكريم (ص) :

إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ
فِي صُلْبِهِ
وَجَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ هَذَا
«يَعْنِي عَلِيًّا»...

زمخشري العقيلي : ٦٧

فنون وآداب

٢٠٢٢/٢٠٢٣

* صباح الدين صوفاي

(المانيا)

قصيدة



قلبي بمحبٍ وليّ الله يتقلّبُ وفي هولةٍ مقيمةٍ ليس يرتلُ
 لا طاب عيشاً ولا دامت مسرتهُ إن كان يشغله عن حبه شغلُ
 هو الأنيس لروحي عند وحشتها وهو الفليل لها إن نايها وجلُ
 ومنقذي كلما قد حاق بي كدرٌ ومرشدي كلما ضاقت بي السبلُ
 يا من يعدّني عن حب حيدرةٍ هات الحديث فما عندي له مللُ
 ذاك الحديث حياتي منه منبعاُ وهو الرقيق لها والشهد والعسلُ
 وهو الشرابُ فهاتِ الكأسَ مترعةً فبالكنوس يداوي الشرابُ الثملُ
 يا من أهدب روعي في محبته أنت الغرام وأنت الحب والغزلُ
 وأنت من لو رأى العذال طلعته لستبوا شغاعاً لله وابتهلوا
 ولو هم عرفوا أوصافه عذروا لكنهم حينما لم يعرفوا عذّلوا
 هوالك لست بشاكٍ من تراكمه فلا تنو بـيّ الاعباء والثقلُ
 لو كان حبك طوداً كنت حامله من قال عليّ إني لست أقتلُ
 يا من دعاه نبيّ الأنبياء أفاً وقال في حبه حُبّي لمن عَقِلوا
 الله ينصر يوم الدين ناصره ألا ويغفل يوم العشر من غفلوا

هل غاص حزناً ولىّ الله حامية
 هل ظلّ حولك رسول الله في أحد
 صفيّين سلهان القوم الطغاة وعن
 وكربلا لم يزل للمسلمين بها
 جرح الحسين على وجه الصّباح له
 بجذّه وأبيه المرتضى وبه
 إني أصلي عليهم دائماً وبهم
 أسيّر في حبّهم في كلّ منته
 وليس لي ملجأ إلاّ أبو حسني
 من لا يعادله في قوله أحد
 من قد تترسّن بالباب الذي عجزت
 ماذا أقول به والكلّ قد عجزوا
 فهك يجوز مقالتي إنّه بطل
 وهل أقول وحيد في فضائله
 وهو الذي ربهت من بعينها غربت
 وهو الذي سوف يبقى ذكره أبداً
 إلاّ وكان هو المغوار والبطل
 إلاّ عليّ وناز العرب تشتعل
 بغّي الذين أباقظانها قتلوا
 بك للبريّة جرح ليس يندمل
 تضرّع تكتسي من لونه الأصل
 وأمه وأبيه الذين يكتمل
 أدعوا إلى الله ما أضيأ وأبتهل
 عليهم حيثما يممت أتكلم
 يوم الحساب وما لي غيره أمل
 من لا يماثلّه في فعله رجل
 عن أن تزعزعه الأموال واليول
 عن نعيه ولدى أوصافه فشلوا
 وقد أتى بالذي لم يأت به بطل
 وهو الفضيلة والإيمان والعمل
 له ذكاء ولم يشعر بها الطّفّل
 مهما تغيّرت الأيام والدول



التطور السياسي للمرجعية الإسلامية في تاريخها المعاصر

١

دراسات

✽ عبد الكريم آل نجف
(العراق)

التطور السياسي للمرجعية الإسلامية:

يتولد التأريخ من شعور عام يتطور في ذهن الأمة ويستوعب قطاعاتها المختلفة بشكل يحركها باتجاه معين، وقد يتواصل هذا الشعور فترة ليكوّن مرحلة قد تطول فتستوعب جيلاً أو جيلين وقد تقصر مكثفية بزمان محدود، حسب طول وقصر امد ذلك الشعور الذي إذا انقلب أو تغيرت ملامحه تكون الأمة قد دخلت مرحلة جديدة.

وهكذا فإن المراحل في حياة الأمة لا يشترط في تكونها وجود تخطيط مسبق، بل قد تتكون وتسير في طريق ما خلافاً لإرادة الخطة المسبقة؛ لأن الأساس فيها هو الشعور العام الذي يسود الأمة ويسيرها، والذي يعبر عنه البعض بروح التأريخ، فإذا وجد في صورة معينة تكون الأمة في مرحلة من نسخها وإذا تغيرت ملامح هذه الصورة أو تلبس الشعور العام بغيرها تغيرت ملامح تلك المرحلة أو انقلبت إلى مرحلة جديدة.

من هنا يتعين على الباحث في حقل التأريخ استنطاق ركام الحوادث التي يدرسها واستكشاف الروح العامة والشعور العام الذي ينتظمها، ومن ثمّ تلمس جذوره وامتداداته وتحديد نقاط الانعطاف والتغيير التي تحوله إلى عدة حلقات، وتحول التأريخ من خلالها إلى عدة مراحل. وإذا ما اعتمد هذا المنهج فإن الباحث سينقذ بحثه من محدودية الحدث، وسيوفر على نفسه مجالاً رحباً للتفسير وفرصة واسعة للعثور على الحقيقة.

فهناك منهجان في البحث التحليلي التاريخي:

١ - المنهج التجزيئي الذي ينظر إلى الحدث التاريخي من خلال ربطه بالاحداث المباشرة له فقط.

٢ - المنهج الشمولي الذي يدرس الحدث في ضوء تشخيص مسبق ومدرّوس للمرحلة التاريخية التي ينتمي إليها، والتي تتكون على أساس شعور عام يتواصل فترة زمنية معينة. ولا شك أن المنهجين متكاملان وضروريان معاً للباحث في حقل التاريخ، ومن غير الممكن له الاكتفاء بأحدهما وترك الآخر.

بعد هذه المقدمة نتساءل هل درسنا تأريخ المرجعية الاسلامية المعاصر؟ ووفق أي من المنهجين ؟

الجواب أن هذه المسألة درست غالباً وفقاً للمنهج الأول فقط وبشكل محدود، مما أدى إلى نتائج غير متكاملة؛ ومن هنا ولدت الحاجة إلى تسليط الضوء على تأريخ المرجعية المعاصر ودراسته على أساس المنهج الشمولي.

المرحلتان الاساسيتان:

يتمثل التأريخ السياسي المعاصر للمرجعية بمرحلتين اساسيتين هما:

١ - مرحلة الدفاع عن الهوية الاسلامية ومواجهة التحديات الخارجية والمشكلات الداخلية على هذا الأساس، وتبدأ من الصلح القاجاري العثماني في ثلاثينات القرن الهجري الثالث عشر - عشرينات القرن الميلادي السابق - على يد الشيخ موسى كاشف الغطاء، وتنتهي في اربعينات القرن الهجري الرابع

عشر «١٩٢٤م» وذلك عند عودة الإمام الاصفهاني وآية الله النائيني إلى العراق بعد نفيهما إلى ايران.

٢ - مرحلة التحديث الاسلامي والتحرك على أساس التجديد في بنية المجتمع الاسلامي، وتبدأ من نهاية المرحلة السابقة وتمتد حتى يومنا هذا.

وقبل الخوض بدراسة هاتين المرحلتين لابد لنا من شرح الاساس الذي قام عليه هذا التصور؛ فقد يقال إن المرجعية لم تنسق اعمالها على أساس تخطيط مسبق ومنهجية شمولية مدروسة، فمن أين جاءت هذه المرحلية؟

الجواب هو ما تقدم قبل قليل من أن المراحل في حياة الامة لا يشترط في تكونها وجود تخطيط مسبق، بل قد تتكون وتسير في طريق ما خلافاً لإرادة الخطة المسبقة؛ والأساس هو الشعور العام الذي يستولي على الأمة ويحركها باتجاه ما، وليس المرحلية إلا تعبير عن حالات الانعطاف والتغيير التي تطرأ على هذا الشعور؛ وحينئذ فمن الأولى أن نحور السؤال السابق إلى السؤال عن طبيعة الشعور العام الذي قامت هذه العملية على اساس منه، وللإجابة على هذا السؤال نحتاج إلى استعراض تاريخي سريع، ففي اواخر القرن السادس عشر الميلادي بدأ الغرب يتطلع نحو العالم الاسلامي، مجدداً العهد بأطماعه القديمة فيه ومشاعره الصليبية تجاهه، ومنطلقاً بشكل خفي نحو مرحلة جديدة من الصراع السجالي بين الاسلام والصليبية؛ وقد كانت البداية اقتصادية لكنها سرعان ما تحولت في بعض المناطق إلى سيطرة عسكرية متعددة الجنسيات، شارك فيها الاسبان والبرتغاليون والانجليز والفرنسيون؛ فيما كان الروس يعلنون الحرب بين فترة وأخرى على الدولة العثمانية. ودون مزيد من الاستعراض فقد دخل المسلمون القرن التاسع عشر الميلادي والغرب قوة مهيمنة عسكرياً في بعض المناطق الاسلامية، ومتنفذة سياسياً وثقافياً واقتصادياً في المناطق الاخرى، مستعيناً في ذلك بالعامل التقني وبزخم الولادة الحضارية الجديدة وما توفره من اندفاع وما اقترن به من شعور بالتفوق، وبتآكل الوضع العام للمسلمين وما يسببه من ضعف معنوي. وفي تلك الظروف التي نشرت بين المسلمين مشاعر المقاومة وحوافز النهوض

كانت المرجعية الاسلامية قد بلغت مستوى جيداً من النضج والتبلور على الصعيد العلمي والتنظيمي ؛ فمن جهة كانت الحركة الاخبارية تعيش أيامها الاخيرة بعد الانتكاسات الكبيرة التي منيت بها على أيدي رموز الاتجاه الاصولي، وهو الذي ساعد على انماء حركة الفكر الديني وتطويره بشكل ملحوظ، ومن جهة ثانية شهدت الحوزة العلمية توسعاً في الحجم ونمواً في النوع؛ فإضافة إلى تزايد عدد الفقهاء والمجتهدين والطلاب لمعت في النجف الأشرف آنذاك أسماء سيطر لها دويها فترة طويلة، كالسيد مهدي بحر العلوم الكبير والشيخ جعفر كاشف الغطاء ونجمله الشيخ موسى كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الانصاري... وغيرهم. ولعل من ابرز مؤشرات النمو والتطور ظهور فكرة تنظيم عمل المرجعية، وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي على يد السيد مهدي بحر العلوم الكبير؛ حيث ارشد الناس إلى تقليد تلميذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وعيّن لامامة الصلاة الشيخ حسين نجف، وللقضاء الشيخ شريف محيي الدين، وأمر السيد جواد العاملي بالتأليف.

وجاء الشيخ موسى كاشف الغطاء في القرن التاسع عشر ليؤكد هذه الخطوة وينسق اعمال المرجعية على هذا الأساس.

وفي عام «١٢٢٧هـ - ١٨٢٢م» برز تطور مهم له دلالاته البالغة ؛ فقد قام المرجع الديني الشيخ موسى كاشف الغطاء بعقد الصلح بين الدولتين العثمانية وممثلة بوائي بغداد داود باشا والدولة القاجارية ممثلة بمحمد علي بن فتح علي شاه القاجاري، ولقب إثر ذلك بمصلح الدولتين، اضافة إلى لقب «سلطان العلماء» الذي اطلقتة الحوزة العلمية عليه لما كان له من هبة ورئاسة روحية، وما حظي به من انقياد العلماء لزعامته. وبذلك تكون المرجعية قد أطلت على عالم السياسة وسجلت أول ادوارها فيه بالنسبة إلى تاريخها الحديث.

إن الذي يتحصل من دراستنا لتلك الفترة هو أن المرجعية في زمن الشيخ موسى كاشف الغطاء بدأت مرحلة النضج السياسي، وقد ورد في ترجمة حياة هذا المرجع أنه كان خبيراً بالسياسة عارفاً بمواقع الامور، وله حكايات مع

الامراء والوزراء والسلاطين^(١).

ومن المستبعد جداً أن تمر الاحداث المصيرية على الأمة دون أن تترك أثرها على زعيم ديني له هذه الخصائص.

فالتنافس الروسي الالمانى البريطانى الفرنسى على النفوذ والتغلغل في بلاد المسلمين كان على اشده، والدولة العثمانية أصبحت تعرف بالرجل المريض، ومشاكل المسلمين تتفاقم يوماً بعد آخر؛ كل ذلك لا يسمح لنا بتصور أن الصلح العثماني والقاجاري الذي تم برعاية المرجعية كان لمجرد حقن الدماء.

ولا بد أن يكون العامل السياسي المتمثل بالانتصار للأمة على اعدائها الغربيين قد لعب دوراً مهماً في تحفيز المرجعية نحو السياسة، وعلى هذا الاساس نتصور أن عام ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢م)، مثل بداية الحياة السياسية للمرجعية الاسلامية وبداية المرحلة الاولى فيها، ونتصور أيضاً أن هذه المرحلة انطلقت على أساس الدفاع عن هوية المسلمين ازاء التحديات الغربية، وهذا هو الشعور الذي ساد وعي المرجعية وانتظم حركتها السياسية حتى الربع الأول من القرن العشرين.

مرحلة الدفاع عن الهوية الاسلامية:

وتتكون هذه المرحلة من ثلاث فترات هي:

١ - فترة مقاومة النفوذ الاجنبي، التي اشترك فيها المرجعان الكبيران الشيخ موسى كاشف الغطاء، والامام محمد حسن الشيرازي، فقد أوجد الشيخ موسى بصلحه أساساً لفكرة الوحدة الاسلامية بعد عهود من التناحر والتمزق وغياب الشعور بالوحدة، ممهداً بذلك لفكرة الجامعة الاسلامية التي رفع رايتها السيد جمال الدين المعروف بالأفغاني.

وتتلور روحية المقاومة للنفوذ الاجنبي بشكل حاسم في ثورة التنباك عام «١٣٠٩ هـ - ١٨٩١م»، حينما اعطى ناصر الدين شاه امتيازاً لشركة انجليزية باحتكار وزراعة وتسويق التبغ الايراني مدة خمسين عاماً، فأفتى آية الله

(١) جعفر آل محبوبة،
ماضي النجف وحاضرها، ٣،
٢٠٠.

المجدد السيد محمد حسن الشيرازي بحرمة استعمال التبغ، والتزم المسلمون في ايران بها والغي الامتياز.

وبعد هذا التاريخ بتسعة اعوام اكد هذا المرجع الكبير اهتمام المرجعية بهوية المسلمين ووحدهم ازاء التحديات الغربية، وذلك في حادثة رمي سماحته بالحجارة من قبل أحد أهالي سامراء السنة، حيث جاء اليه القنصل البريطاني في بغداد يعرض عليه استعداد حكومته لاتخاذ الاجراءات القمعية التي يراها سماحته بهذا الشأن، محاولاً من وراء ذلك الفتنة، فأجابه المجدد الشيرازي قائلاً: «إن الحادث مجرد عمل صبياني عفوي وقع من قبل صبيان كانوا يلعبون في الطريق، فلا حاجة لأن تدس بريطانيا انفعالها فيما لا يعنيه من الأمور»^(٢).

(٢) حسن الأسدي، ثورة

النجف: ١١٣.

فعاد القنصل يجزّ أذنيه بالفضل من هذه السياسة التي نجح الانجليز فيها في الهند، وتصوروا أنها تنجح مع زعماء الدين الاسلامي أيضاً، وبذلك أحدث الميرزا الشيرازي في المرجعية زوبعة الوعي المقاوم، وفتح أمامها أبواب العمل السياسي على أوسع نطاق.

٢ - فترة الاصلاح السياسي، فقد التفتت المرجعية بعد ثورة التنبك إلى أن الاستبداد الداخلي ليس أقل خطراً على الأمة من التحديات الخارجية، وأنه يؤكدها حيث تحول النظام القاجاري المستبد إلى العوبة بأيدي الانجليز تارة والروس تارة اخرى، فتبلورت لديها فكرة الاصلاح السياسي بإزالة الاستبداد وإقامة نظام يستند إلى اسس دستورية وشورية، ولم تفكر بتطوير حركتها إلى المناداة بنظام اسلامي انسجاماً مع المرحلة وشعارها الاساسي المتمثل بالدفاع عن هوية المسلمين.

لقد لقت المرجعية في هذه الفترة بكل ثقلها الجماهيري والسياسي في معركة الاصلاح السياسي، فشارك فيها - بعد علماء طهران - المراجع الكبار امثال «الميرزا حسين خليل، والشيخ عبد الله المازندراني والشيخ كاظم الخراساني».

٣ - فترة الجهاد ضد الاحتلال الاجنبي، بعد أن انتكست أخيراً الحركة

الدستورية الايرانية، حيث قام الانجليز بتحريفها وتحويل خطها السياسي من المرجعية إلى التبعية لهم، ومن ثم تحويل النظام القاجاري إلى العوبة بأيديهم بعدما كان العوبة بأيدي الروس.

وفي مقياس المرحلة اصبحت الهوية الاسلامية في خطر أشد من السابق؛ حيث اصبحت تواجه خطر الاحتلال والسيطرة الاجنبية المباشرة، وهذا ما حصل بالاعتداء الروسي على آذربيجان، والاطالي على ليبيا عام ١٩١١م، ثم البدء باحتلال العراق في عام ١٩١٤م، وكذا احتلال سوريا ولبنان وفلسطين والاردن وغيرها؛ وهنا لعبت المرجعية الاسلامية دوراً مشرفاً قل نظيره في ابعاده القتالية والجماعية والمعنوية، ولم تتوان عن خوض معركة الشرف في جبهاتها كافة؛ فقد اصدرت فتاها بضرورة تحرير ليبيا من الطليان^(٢)، وبعثت وفداً إلى هناك لتحري الموقف عن كُتب، ومعرفة سبل المساعدة التي يمكن للمرجعية تقديمها في هذا المجال، وكثفت جهودها ضد الاحتلال الروسي لآذربيجان حتى إن الشيخ محمد كاظم الخراساني عزم على قيادة الجيش المتوجه لجبهات القتال هناك، غير أن المنية وافته في الليلة التي كان مصمماً فيها على الرحيل إلى آذربيجان في صباح يومها التالي.

وخاضت المرجعية كذلك معركة تحرير سوريا ولبنان من الاحتلال الفرنسي، وتحرير العراق من الاحتلال البريطاني، وواصلتها حتى النفس الأخير وفي مراحلها كافة، ففي البدء أعلنت الجهاد ضد الانجليز، ثم اعلنت المقاومة لمشروع الاستفتاء حول مصير العراق، ثم اطلقت شرارة ثورة العشرين، وأخيراً أعلنت رفضها القاطع لنظام الانتداب في العراق ومشروع المعاهدة الايرانية - البريطانية في ايران.

ولمعت في هذه الفترة اسماء السيد كاظم اليزدي والشيخ الخراساني والسيد مهدي الحيدري والشيخ مهدي الخالصي والميرزا محمد تقي الشيرازي وغيرهم. وبخصوص العراق طرحت المرجعية مشروعها السياسي البديل عن الاحتلال، وكان هذا المشروع يتمثل بفكرة اقامة دولة عربية يرأسها ملك مسلم مقيد بمجلس تمثيلي، وهو مشروع يأتي استمراراً لمشروع

(٢) حسن شبر، تاريخ

العراق السياسي المعاصر ٢:

١٣١-١٣٢.

المرجعية في الحركة الدستورية الايرانية، ويمثل خلاصة فكرها السياسي المتمثل آنذاك بالدفاع عن هوية المسلمين، وقامت الفكرة على اساس هوية مزدوجة من العروبة والاسلام دون قصد المعنى الايديولوجي الكامل لأي منهما؛ فلم يقصدوا من العروبة المشروع القومي كما لم يقصدوا من الاسلام النظام الاسلامي، بل اقتصر الامر على الهوية التي كان المسلمون يسهرون على حمايتها ويخشون ضياعها، فكان التعبير عن العروبة يعني رفض التتريك، والتعبير عن الاسلام يعني رفض سلطة الكفار على العراق.

ولذا لم يطرحوا دور العلماء في هذا المشروع ولم يرفضوا الصياغة الملكية له، وهما أمران لا يتم معهما النظام الاسلامي الذي يقتضي دوراً أساسياً للعلماء ورفضاً صريحاً للملكية كما هو واضح.

وبعد ثورة العشرين واصلت المرجعية دورها المقاوم للانتداب، وعارضت تأسيس المجلس النيابي قبل انجاز الاستقلال التام للعراق، حتى كان ما كان من أمر التفسير الذي تعرضت له، حيث قام عملاء الانجليز بتفسير الشيخ مهدي الخالصي، والشيخ محمد حسين النائيني والسيد ابو الحسن الاصفهاني وعدد آخر من كبار العلماء إلى خارج العراق.

وبعد أشهر معدودة قرر الزعيمان الشيخ النائيني والسيد ابو الحسن الاصفهاني العودة إلى العراق، والموافقة على مطلب اعتزال السياسة الذي ارادته السلطة العراقية منهما.

مرحلة التحديث الاسلامي:

لم تدرس حتى الآن حادثة تسفير العلماء إلى ايران عام ١٩٢٤م بما تستحقه من التحليل العميق والبحث الكافي، واكتفى الباحثون بالإشارة الخجل إلىها تارة والعرض السلبي تارة أخرى ! وكأنهم يجمعون على أن المرجعية ارتكبت خطأ عندما وقّعت على اشتراط ترك العمل السياسي، ولكي ندرك الحقيقة في هذا الجانب ينبغي علينا تسليط الاضواء الكافية على هذه الحادثة المهمة.

لقد كانت حادثة ذات دلالات بالغة الأهمية؛ فالمرجعية التي دخلت العمل السياسي بقوة جماهيرية لم تعدها السياسة من قبل، بحيث أنها بفتوى ذات سطر واحد ومن مرجع واحد فقط استطاعت أن تُركع الشاه القاجاري وتربك الدوائر الانجليزية في المنطقة وتحقق استجابة جماهيرية منقطعة النظير، كيف وصل بها الامر بحيث يتمكن وزير داخلية في حكومة هزيلة من تفسير خمسين عاماً يتقدمهم ثلاثة مراجع كبار لهم سجلهم الحافل بالجهاد والفقّه؟ اين توارت تلك القدرة الجماهيرية الواسعة؟ هل هو سحر الانجليز، أم ضعف المرجعية السياسي، أم شيء آخر؟

لا أنكر براعة الانجليز في السياسة، ولكن الأمر أكبر من البراعة والدهاء، كما لا اعتقد بأن المرجعية توانت عن أمر كان ينبغي لها القيام به؛ فما قامت به هو أعلى دور يمكنها أن تؤديه. والتفسير الصحيح لهذه الظاهرة الغريبة يكمن في تفاوت أدوار الحضارة بين الانجليز والمسلمين؛ فقد دخل المجتمع الاسلامي المعركة مع الغرب وهو في نهايات الدورة الأخيرة من حضارته الاسلامية، مثقلاً بتراكمت كثيرة وسلبيات كبيرة، وقد اضعفته عوامل عديدة كان يفعلها في حاجة إلى بناء جديد، وهو ما يتطلب وقتاً ليس بالقليل وشرطاً ليست بالهينة؛ فيما خاض الغرب هذه المعركة وهو في عنفوان دورة حضارية جديدة، يتحرك بزخم فاعل ويعمل بثقة عالية بالنفس^(٤).

وفي مأزق من هذا النوع لم يكن بوسع المرجعية إلا أن تمد الوضع القائم بمقومات الصمود، امام التحديات الغربية الهادفة إلى اسقاط الهوية الاسلامية للمسلمين، في مجالات السياسة والثقافة والاجتماع. والمقومات هي:

١ - إقامة الصلح بين الدولتين العثمانية والقاجارية.

٢ - القضاء على النفوذ الاقتصادي الغربي.

٣ - العمل في سبيل اصلاح الحياة السياسية.

٤ - اعلان الجهاد المقدس ضد الاستعمار.

وقد استطاعت بهذه الادوار الاربعة الرئيسية أن تحقق زخماً سياسياً وثورياً قل نظيره كماً وكيفاً، بحيث لا يتصور أن واجهة قيادية اخرى يمكنها

(٤) نتحدث هنا عن الجانب النفسي والمعنوي من المجتمعين الاسلامي والعربي، ونقارن بينهما بعيداً عما يرمزان اليه من الايديولوجيات؛ فإن الانجليز لم يستصروا لأنهم آمنوا بالعلمانية، بل لأنهم كانوا في انبعاث جديد وروحية جديدة ولأنهم كانوا ينظرون الى أمر حولهم موسومة بالخواء والضعف فتعززت ثقتهم بأنفسهم؛ ولم يضعف المسلمون امامهم بسبب انتمائهم الديني، بل لأنهم عاشوا دور الشيخوخة من مسيرتهم الحضارية السالفة، بكل ما لذلك من مدلولات سلبية في المجالات النفسية والثقافية والسياسية

أن تحقق مثل ذلك ؛ لكن العامل الحضاري المتمثل بكون المجتمع المسلم يعيش نهايات مسيرته الحضارية السالفة، تسبب في وجود أعماق اجتماعية هامة لا يمكنها الاستجابة لمتطلبات المعركة بكل ابعادها، فانهصر زخم المرجعية في السطح وظهرت الاندفاع الثورية والجهادية التي توالى متواصلة بين عامي «١٨٩١م - ١٩٢٤م»، والتي تمثل الطاقة الدفاعية المتبقية لحضارة المسلمين في دورتها الاخيرة.

ووفقاً لهذه المعادلة تمثل دور الغرب طبيعياً في بناء متواصل الخطى، فيما تمثل دور الأمة في دفاع مستميت ولكنه لا ينطلق من قاعدة صلبة بل من دورة حضارية ميته، لذا كان دفاعاً محكوماً بالتراجع وفقدان المواقع واحداً تلو آخر، حتى جاء العام ١٩٢٤م ليسجل نهاية الدفاع وبدء عهد التبعية، ففي تركيا سقطت الخلافة العثمانية وأسس أتاتورك جمهوريته العلمانية على انقاضها، وفي ايران تم تحريف الحركة الدستورية وكان هناك خطوات جادة لإنهاء الحكم القاجاري وابداله بحكم علماني صريح، وفي الجزيرة العربية تمت تصفية «الشريف حسين» الذي كان يطمح إلى تأسيس خلافة اسلامية تشمل الجزيرة والشام والعراق، وجيء بآل سعود بدلاً منه، ولم تكن الساحة العراقية بدءاً من هذه الساحات.

فمشروع الجهاد الذي بدأ من العام ١٩١٤م على الرغم من زخمه واندفاعه الشديدين لم يحقق النتائج الميدانية المطلوبة والمرجوة؛ إذ لم يحل في المحصلة النهائية دون تحقق الاحتلال، فانتكست ثورة النجف وبعدها ثورة العشرين، فيما تواصل دور الانجليز المتنامي بتشكيل نخب علمانية متغربة، واكمال الاحتلال، وتشكيل الحكومة المؤقتة، وتنصيب الملك فيصل.

والفصل الأخير الذي تبقى من المعركة بين الطرفين كان يتمثل في انتخابات المجلس التأسيسي وعقد معاهدة الانتداب، وهو الفصل الذي حُسم أخيراً بتفسير المراجع الثلاثة ومن معهم من العلماء الكبار إلى خارج العراق، والذي ظهرت فيه علائم نضوب المقاومة لدى الأمة وأبدت جماهير المرجعية استرخاءً أمام السلطة، ولم تؤد الدور المعهود منها ازاء مسؤول عادي في

الدولة هو متصرف كربلاء، عندما أمر باعتقال أبرز مرجعين في النجف الأشرف هما الإمام الاصفهاني والإمام النائيني مع عدد كبير من العلماء البارزين.

هذه هي الدلالات البالغة والعميقة لحادثة تفسير العلماء، وما لم ندركها ضمن سياق الصراع الحضاري بين الغرب والأمة الاسلامية آنذاك، يمكننا أن ندرك موقف المرجعية المتمثل بالعودة إلى العراق وقبول اشتراط عدم التدخل في السياسة.

إن السياسة تمثل مرحلة متقدمة من مشروع حضاري، والمشروع الاسلامي آنذاك كان يعيش سلسلة تراجعات قهرية فرضها العامل الحضاري المذكور آنفاً، حتى وصل اخيراً في عام ١٩٢٤م إلى الصفر حيث اغلق ملف آخر دورة من دورات الحضارة الاسلامية.

وتعين على المسلمين النهوض بأعباء دورة جديدة، وتأسيس واقع جديد يأخذ بنظر الاعتبار المعطيات الجديدة للحياة، وقد يستبعد بعض هذا التصور مستكثراً من المرجعية مثل هذا الوعي، ولكنه استبعاد غريب؛ فإن المرجعية التي وافقت على اشتراط عدم التدخل في السياسة كان لها حضورها السياسي المبكر، ومعايشتها للمرحلة الاولى منذ ثورة التنباك سنة ١٨٩١م، اي إنها وافقت المشروع الاسلامي منذ أيامه الاولى، وواكبت محطاته وانتصاراته وانتكاساته مواكبة تجعل التصور المذكور أمراً تلقائياً وطبيعياً جداً.

لقد أدركت المرجعية وهي في ايران أنها اصبحت في غنى عن السياسة، وأنها يتعين عليها خوض مهام التحديث في البنى الاساسية للمجتمع الاسلامي، فعادت إلى العراق ووافقت على شرط السلطة الذي لو لم يشترط عليها لكانت قد التزمت به تلقائياً؛ لأنها دخلت مرحلة التحديث التي ستتشكل من أربع فترات:

١- فترة إعادة بناء القواعد التحتية للمجتمع:

ونقصد بالقواعد التحتية الاسس الثقافية والاجتماعية التي يلزم إعادة

بناءها بما يتوافق والظروف العصرية الجديدة. وقبل أن نشرح الأدوار التي قامت بها المرجعية في هذا المجال لابد لنا من الإشارة إلى أن جذور هذه الفترة تشكلت في المرحلة السابقة، إلا أنها لم تفرض طابعها المتميز إلا في المرحلة الثانية.

فإن الأعمال الفكرية والنشاطات الثقافية المتميزة للسيد هبة الدين الشهرستاني، والشيخ محمد جواد البلاغي، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ آغا رضا الاصفهاني، والسيد عبد الحسين شرف الدين قدحت شرارة التحديث في المجتمع الاسلامي وجعلته يتنبه للمرحلة القادمة التي حلت فعلاً بعد عام ١٩٢٤م.

أما الأدوار التي قامت بها المرجعية في هذه الفترة فتتمثل بالنقاط التالية:
أ- إعادة تنظيم الفكر الإمامي وتجديده، وهذا ما يتمثل في الأعمال الفكرية للسيد عبد الحسين شرف الدين والعلامة الأميني والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ كاشف الغطاء والسيد حسن الصدر.

ب- ترسيخ قواعد المرجعية وتوسيع نطاقها، ويتمثل ذلك في مرجعية الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني والميرزا حسين النائيني، وتأسيس الشيخ عبد الكريم اليزدي الحوزة العلمية في قم المقدسة، وما تضمن ذلك من انشاء موطن اضافي سرعان ما احتضن المرجعية العليا في اعقاب وفاة الإمام الاصفهاني، تلك هي مرجعية الإمام حسين البروجردي التي واصلت هذا الدور.

ج- تجديد نظم الدراسة وهيكلية الحوزة، ويتمثل ذلك في مشروع جمعية منتدئ النشر للشيخ محمد رضا المظفر.

د- الإصلاح الاجتماعي، ويتمثل هذا الدور بالأعمال الإصلاحية للسيد محسن الأمين العاملي على صعيد الشعائر الحسينية وتأسيس الجمعيات الخيرية، وللشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء على صعيد المجتمع الشيعي في العراق.

هـ- انماء حركة الفكر الإسلامي، ويتمثل ذلك في الأعمال الفكرية للشيخ

البلاغي والسيد هبة الدين الشهرستاني وأمثالهما.

و- فهرسة التراث الشيعي، ويتمثل هذا الدور بالأعمال الرجالية والبيبلوغرافية القيمة للشيخ الجليل آغا بزرك الطهراني، والسيد محسن الأمين العاملي.

ولا يعني انشغال المرجعية في هذه الفترة ببناء الاسس الجديدة للمجتمع أنها انصرفت تماماً عن السياسة، فالسيد الاصفهاني الذي أمضى شرط عدم التدخل في السياسة، والسيد حسين القمي والسيد حسن المدرس والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والسيد البروجردي قاموا بنشاطات وادوار سياسية مختلفة عندما اقتضت الضرورة ذلك منهم.

٢- فترة الاصطدام مع السلطة:

فمنذ اوائل الخمسينات بدأ الطابع السياسي يزداد ظهوراً في أعمال المرجعية الاسلامية، التي بدأت تطرح محوراً جديداً هو محور معارضة النظام الحاكم؛ ففي ايران ظهرت حركة «فدائيان اسلام» بقيادة السيد نواب صفوي، كما ظهرت حركة السيد أبو القاسم الكاشاني في معارضة الاحتكارات الاجنبية لصناعة النفط والدعوة إلى تأميمه، وفي عام ١٩٦٣م تصدر محور معارضة النظام أعمال المرجعية، بحيث قام الإمام الخميني بقيادة انتفاضة «١٥ خرداد» ضد النظام البهلوي المقبور، وفي العراق بدأ السيد محسن الحكيم مرجعيته في اوائل الخمسينات بمعارضة واضحة للنظام الملكي ما لبثت أن تبلورت تبلوراً واضحاً إبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وفي مطلع العهد الجمهوري تم تأسيس «جماعة العلماء» و«حزب الدعوة الاسلامية» ليكونا ذراعي المرجعية في مواجهة النظام القائم، وفي منتصف الستينات مارست مرجعية الإمام الحكيم دوراً بارزاً في بلورة رأي جماهيري رافض للنظام الحاكم.

٣- فترة طرح النظام الاسلامي:

فمنذ اوائل الستينات بدأت تظهر في اوساط المرجعية فكرة اقامة نظام اسلامي، وذلك من خلال جملة كتابات أبرزها كتابات الإمام الشهيد محمد باقر الصدر؛ غير أن هذه الفكرة لم تتبلور تبلوراً بارزاً ومشخّصاً إلا في اوائل السبعينات، عندمالقى الإمام الخميني محاضراته عن ولاية الفقيه التي مثلت اول صياغة فقهية محددة لمشروع الحكومة الاسلامية، وأول مبادرة سياسية مرجعية في هذا الاتجاه الذي رافقه ظهور حركة فكرية قوية تدعمه.

وقد واصلت المرجعية اتجاهها الجديد بكل إصرار وحزم حتى قيض لها الله سبحانه وتعالى تحقيق حلم الأنبياء من خلال اقامة الجمهورية الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩م.

٤- فترة الدعوة إلى تطوير واقع المرجعية:

فمنذ اوائل المرحلة التحديثية التفتت المرجعية إلى ضرورة تطوير واقعها واساليب عملها بما يتناسب مع خصائص الوضع الجديد ومهامه، فظهرت فكرة التغيير الكيفي في عمل الحوزة ومناهجها، فيما ظهرت مرجعية قم بزعامة آية الله اليزدي ومن بعده آية الله البروجردي، وتوسعت مرجعية النجف الأشرف بزعامة الإمام الاصفهاني توسعاً كبيراً، وعبرت هذه الاضافة والتوسع عن تطور في حجم المرجعية فيما بقي الجانب النوعي من عملها منتظراً الفرصة المناسبة للظهور، حتى جاءت فترة طرح النظام الاسلامي لتسلط الضوء على الواقع النوعي للمرجعية، وتؤشر بقوة لضرورة تطوره والارتفاع به إلى مستوى التحديات والمهام الجديدة، وتأكدت هذه الضرورة - بل تحولت إلى حتمية - بعد قيام النظام الاسلامي في ايران.

ومع أن الكثيرين بدأوا يرون في الواقع النوعي للحوزة والمرجعية نوعاً من القصور إلا أنهم لم يدرسوا الاسباب الطبيعية لها، والمتمثلة أساساً بأن قيام الثورة الاسلامية وإقامة النظام الاسلامي فاجأ المرجعية واخذاً يطالبانها بخصائص وامتيازات ما كان بالإمكان توفرها دفعياً، كما أن هناك شروطاً

نوعية مفقودة كانت سنة التدرج تقتضيها للدخول في الواقع المطلوب.
ومن بين كبار العلماء العاملين الذين افصحوا عن رغبتهم في تطوير الواقع
النوعي للمرجعية الإمام الراحل السيد الخميني رحمه الله في خطابه ووصيته
الخالدة، كما قام الإمام الشهيد الصدر رحمه الله بحكم قيمومته على الفكر والتنظير
الاسلامي المعاصر، بتقديم اطروحة متكاملة في هذا المجال يمكن اعتبارها في
الحد الأدنى ورقة عمل لمؤتمر قمة مرجعي، تفرض الضرورة الراهنة إقامته
للوصول إلى صيغة جديدة في واقع المرجعية الاسلامية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

مَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ سَبَّهَتْهُ
وَحَلَمُهُ غَضَبُهُ
كَانَ جَدِيرًا بِحَسَنِ السَّبْرِ

اهل البيت
في روايات الصحابة

روايات الامام علي القمي الاول

* ناصر البهدي

ما اروعها من ابيات مأثورة عن امير المؤمنين، وسيد الوصيين،
وامام المتقين، وقائد الغر المحجلين، علي بن ابي طالب ابن عم
رسول الله ﷺ، وزوج ابنته وحافظ سرّه، ومستودع علمه، وحامل لوائه الذي
فداه بنفسه بميته على فراشه:



وحمزة سيد الشهداء عمي	محمد النبي أخي وصنوي
يطير مع الملائكة ابن أُمّي	وجعفر الذي يضحى ويمسي
منوط لحمها بدمي ولحمي	وبنت محمد سكني وعرسي
فأيكم له سهم كسهمي ^(١)	وسبطا أحمد ولداي منها

لقد كان الامام امير المؤمنين عليه السلام اول الصحابة إسلاماً هو وزوجة
النبي ﷺ خديجة بنت خويلد ولم يسجد إلى صنم قط، حسب الروايات
الواردة عن الفريقين. وقد جاء عن ابي سعيد الخدري أنه ذكر علياً فقال: «إنه
كان من رسول الله بمنزلة خاصة ولقد كانت له عليه دخلة لم تكن لأحد من
الناس».

وروى الشهيد سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: «ما نزل في أحد من
كتاب الله تعالى مثل ما نزل في علي عليه السلام».

وقال ابو الطفيل نقلاً عن بعض أصحاب النبي ﷺ: «لقد سبق لعلي بن

(١) الغدير ٢: ٢٥-٢٦.

أبي طالب من المناقب ما لو ان واحدة قسمت بين الخلق وسعتهم خيراً». وروى عن احمد بن حنبل قوله: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام». وفي المناقب للخوارزمي بالاسناد إلى عباد بن عبد الله بن سلمان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعلم أقتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام».

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في مقدمة شرحه لنهج البلاغة: «فأما فضائله ﷺ فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمح معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها ... وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله؟! فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الارض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحريض عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوه وقتلوه، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعةً وسموً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفة، وكلما كُتم تضرع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حُجب عنه عين واحدة ادركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تُعزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذرها، وسابق مضمارها، ومجلى حليتها. كل من بزغ فيها بعده فمته أخذ، وله اقتفى وعلى مثاله احتذى. وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء، وشيخ قریش ورئيس مكة» (٢).

(٢) راجع شرح نهج البلاغة:

٢٩ - ١٦

وقال محيي الدين الخياط في مقدمته لشرح نهج البلاغة: «هو أعلم الصحابة بلا استثناء، وأفصحهم بلا مراء، واقضاهم بلا شبهة، واشجعهم بلا ريب، وأشرفهم حسباً، وأقربهم من النبي نسباً وأزودهم عنه بالسيف والسنان وأدروهم بالبيان».

وفي الختام نعتذر من ساحة امير المؤمنين ﷺ لانا لا نستطيع أن نلم

بأبعاد هذه الشخصية الالهية التي كانت كما وصفها القرآن الكريم أنها نفس رسول الله ﷺ في كل الخصائص إلا النبوة، فماذا أقول والقلم يجف حينما يريد أن يتناول فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام؟!

وإن فضيلة واحدة له تعدل عبادة الثقلين، فكيف لو عدت جميع فضائله وقد اكتنفت كل فصول حياته الشريفة حتى آخر يوم منها حيث استشهد في بيت من بيوت الله؟! فلم تكن فضيلة استشهاده بأقل شأنًا من فضائله طوال أيام حياته. وقد قال احد المعاصرين وهو جورج جرداق كلمة جميلة عبرت عن عمق تأثير غير المسلمين بهذه الشخصية الفذة:

«في عقيدتي أن ابن ابي طالب كان أوّل عربي لازم الروح الكلّية وجاورها وساورها. مات عليّ شهيد عظمتة، مات والصلاة بين شفّتيه، مات وفي قلبه الشوق إلى ربّه، ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس اناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى» (٣).

ولذا فإن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فرض نفسه حتى على اعدائه فتراهم لا يستطيعون انكار فضيلة من فضائله، فجاء الكثير منها في كتبهم حتى حصروا الولاية به بعد الرسول ﷺ بأدلة كثيرة اوردوها.

إن ما ورد في اهل البيت عليه السلام على لسان امير المؤمنين سلام الله عليه، يُعد قطرة في مقابل بحر فضائلهم صلوات الله عليهم نذكر طرفاً منها تاركين لمن يريد التوسع أو المزيد مراجعة الكتب المدونة لهذا الغرض كعقبات الانوار والغدير واحقاق الحق وفضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها من كتب الغريقيين:

١ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تعلق بها فاز ومن تخلف عنها زج في النار» (٤).

٢ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: النجوم امان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي امان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» (٥).

٣ - روى الحافظ سليمان القندوزي الحنفي قال: «أخرج صاحب المناقب

(٣) الامام علي صوت العدال

الاسنانية ٥ : ٢٢٦.

(٤) ذخائر العقبين: ٢٠

وفضائل الخمسة ٢ : ٥٨.

(٥) ذخائر العقبين: ٨٧.

وفضائل الخمسة ٢ : ٦٠.

(بالسند المذكور فيه) عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم - في حديث - : يا علي، إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي، وللأئمة من ولدك منا بعدك، فإن الملائكة من خدامنا وخدام محبينا يا علي ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ (*) بولایتنا (٦) الحديث.

(*) غافر: ٧.

٤ - عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قال: «قال رسول الله ﷺ: أنا سيد الأولين والآخرين وأنت يا علي سيد الخلائق، أولنا كأخرنا، وآخرنا كأولنا» (٧).
٥ - عن المسيب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «والله لقد خلفني رسول الله ﷺ في أمته، فأنا حجة الله عليهم بعد نبيه، وإن لايتي لتلزم أهل السماء كما تلزم أهل الأرض، وإن الملائكة لتتذاكر فضلي وذلك تسبيحها عند الله. أيها الناس، اتبعوني أهدكم سواء السبيل، ولا تأخذوا يميناً وشمالاً فتضلوا. أنا وصي نبيكم وخليفته أمير المؤمنين ومولاهم، وأنا قائد شيعتي إلى الجنة، وسائق أعدائي إلى النار. أنا سيف الله على أعدائه ورحمته على أوليائه. أنا صاحب حوض رسول الله ﷺ ولوائه، وصاحب سقايته، والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين عليه السلام خلفاء الله في أرضه وأمنائه على وحيه، وأئمة المسلمين بعد نبيه، وحجج الله على بريته» (٨).

(٦) يتابع المودة: ٤٨٥.

(٧) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن شاذان، تحقيق عبد الرحمن خويلد: ٣٠.

(٨) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ٥٦.

٦ - قال عليه السلام: «لا يقاس بال محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين، اليهم يفى الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة. الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله» (٩).

(٩) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

٧ - وقال الامام عليه السلام في منزلة الأئمة الاطهار: «أين الذين زعموا انه هم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وادخلنا واخرجهم. بنا يستعطي الهدى، ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم» (١٠).

(١٠) نهج البلاغة، الخطبة

١٤٢

٨ - عن ربيعة بن ناجذ عن علي عليه السلام قال: «خرج رسول الله ﷺ حين خرج

لمباهلة النصارى بي وبفاطمة والحسن والحسين عليه السلام» (١١).

٩ - عن العياشي بإسناده عن المنذر قال: «حدثنا علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية، قال: أخذ بيد علي وفاطمة وابنيهما عليه السلام، فقال رجل من النصارى: لا تفعلوا فتصيبكم عنت فلم يدعوه» (١٢).

١٠ - عن علي، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «أنا وعلي وفاطمة وحسن وحسين مجتمعون ومن احبنا يوم القيامة، نأكل ونشرب حتى يفرق بين العباد، فبلغ ذلك رجلاً من الناس، فسألت عنه فاخبر به فقال: كيف بالعرض والحساب، فقلت له: كيف لصاحب ياسين بذلك حين ادخل الجنة من ساعته» (١٣).

١١ - عن علي عليه السلام قال: «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن والحسين فقام رسول الله إلى شاة لنا بكى (*) فحلبها فدرت، فجاء الحسين فنحا النبي صلى الله عليه وآله فقالت فاطمة: كأنه احبهما اليك يا رسول الله، قال: لا ولكنه استسقى قبله، ثم قال: إني وإياك وهذين وهذا المرقد في مكان واحد» (١٤).

١٢ - عن علي عليه السلام قال: «لما نزلت عشر آيات من براءة علي النبي صلى الله عليه وآله عليه [وآله] وسلم، دعا النبي صلى الله عليه وآله عليه [وآله] وسلم أبا بكر رضي الله عنه فبعثه بها ليقراها على أهل مكة، ثم دعاني النبي صلى الله عليه وآله عليه [وآله] وسلم فقال لي: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وآله عليه [وآله] وسلم فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك» (١٥).

١٣ - عن ربيعة بن ناجذ عن علي قال: «جمع رسول الله صلى الله عليه وآله (أو دعا رسول الله صلى الله عليه وآله) بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجذعة، ويشرب الفرق، قال: فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا، قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس، أو لم يشرب فقال: يا بني عبد المطلب: إني بُعِثت لكم خاصة وإلى الناس بعامية، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأيكم ببايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟ قال: فلم يقم إليه أحد، قال: فقامت إليه، وكنت اصغر القوم... قال: فقال: اجلس، قال: ثلاث مرات كل ذلك اقوم إليه فيقول لي اجلس

(١١) أمالي الطوسي ١: ٢٦٥.

(١٢) تفسير العياشي ١: ١٧٧.

(١٣) مجمع الزوائد ٩: ١٧٤.

(*) شاة بكى: قليلة اللبن.

(١٤) مجمع الزوائد ٩: ١٦٩.

(١٥) تفسير ابن كثير ٤: ١١١.

والدر المنثور ٣: ٢٠٩، ومسنود

الإمام أحمد بن حنبل ١: ١٥١،

وترجمة الإمام علي بن أبي

طالب رضي الله عنه من تاريخ دمشق

٢: ٣٨٤، ومناقب الخوارزمي:

٨٠، ومجمع الزوائد ٧: ٢٩.

وكفاية الطالب: ٢٥٤.

حتى كان الثالثة ضرب بيده على يدي» (١٦).

١٤ - قال ﷺ: «كان لي من رسول الله ﷺ مدخلان: مدخل بالليل ومدخل بالنهار.

فكنت إذا دخلت بالليل تنحج لي» (١٧).

١٥ - قال علي عليه السلام: «كنت آتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذن، فإن كان في

صلاة سبج، وإن كان في غير صلاة أذن لي» (١٨).

١٦ - قال علي: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من

نزلت. إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً» (١٩).

١٧ - عن علي قال: «لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة، أمرني أن

أقيم بعده حتى أؤذي ودائع كانت عنده للناس. ولذا كان يُسمى الأمين. فأقمت ثلاثاً.

فكنت أظهر ما تغيب يوماً واحداً، ثم خرجتُ فجعلت أتبع طريق رسول الله ﷺ حتى

قدمت بني عمرو بن عوف، ورسول الله ﷺ مقيم. فنزلت على كلثوم بن الهدم وهناك

منزل رسول الله ﷺ» (٢٠).

١٨ - قال علي: «سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليلاً نزلت أم

بنهار، في سهل أم في جبل» (٢١).

١٩ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إنا دار الحكمة وعلي بابها» (٢٢).

٢٠ - عن علي عليه السلام قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أضحي عنه، فانا أضحي عنه

أبداً» (٢٣).

٢١ - قال علي: «أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها

بعدي إلا كذاب. صليت قبل الناس بسبع سنين» (٢٤).

٢٢ - عن حبة العرني قال: «سمعت علياً يقول: إنا أول رجلٍ صلَّى مع رسول

الله ﷺ» (٢٥).

٢٣ - قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «قال لي النبي ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من

موسى غير أنه لا نبي بعدي» (٢٦).

٢٤ - عن علي عليه السلام قال: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب، كل باب

يفتح ألف باب» (٢٧).

٢٥ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا دار العلم وعلي

(١٦) أحمد بن حنبل ١: ١٥٩

ج: ١٢٠٠، ومجمع الزوائد ٨:

٣٠٢، وتاريخ الطبري ٢: ٦٣،

والرياض النضرية ٢: ١٦٧،

وخصائص النسائي: ١٨.

(١٧) أخرجه النسائي في

كتاب السهو، باب التتحج في

الصلاة، ج: ١١٩٧.

(١٨) مسند أحمد بن حنبل ١:

٨٧، ط: الميمنية.

(١٩) الطبقات الكبرى ٢: ٣٢٨،

وترجمة الامام علي بن

أبي طالب عليه السلام من تاريخ

دمشق ٢: ٢١، وآل بيت

الرسول (ص)، مناقب علي

والحسنين وامهما فاطمة

الزهراء: ٣٢.

(٢٠) الطبقات الكبرى ٣: ٢٢.

(٢١) الطبقات الكبرى ٢: ٣٢٨،

وترجمة الامام علي بن أبي

طالب عليه السلام من تاريخ دمشق

٣: ٢٢.

(٢٢) حلية الاولياء ١: ٦٤،

والجامع الصحيح ٥: ٦٢٧،

ونزل الابرار بما صح من

مناقب أهل البيت الأطهار: ٧٤.

(٢٣) سنن الترمذي ٢: ٣٥٢ -

٣٥٤، ومسند أحمد ١: ٨٠٧،

ط: الميمنية، ومستدرک

الحاكم ٤: ٢٢٩، وقال: صحيح

الاسناد. ووافقه الذهبي.

(٢٤) سنن ابن ماجه ١: ٤٤،

باب فضائل أصحاب رسول

الله ﷺ، ج: ١٢٠، ومستدرک

بابها» (٢٨).

٢٦ - عن علي عليه السلام قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: خُلِقَ الناس من أشجار شتى، وخلقنا أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا اصلها، وعلي فرعها، فطوبى لمن استمسك بأصلها، وأكل من فرعها» (٢٩).

٢٧ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: خلقت أنا وعلي من نور واحد» (٣٠).

٢٨ - عن علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبه: «إنا آل محمد كنا أنواراً حول العرش فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ثم أهبطنا إلى الأرض فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحت أهل الأرض بتسبيحنا، فإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون» (٣١).

٢٩ - عن علي قال: «أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طير يقال له الحبارى فوضعت بين يديه - وكان أنس بن مالك يحجبه - فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده إلى الله ثم قال: اللهم ائتني بأحب خلقك يأكل معي من هذا الطير. قال: فجاء علي فاستأذن فقال له أنس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي حاجة فرجع، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [واله] وسلم [الثانية فجاء علي فاستأذن فقال أنس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي حاجة] فرجع، ثم دعا الثالثة فجاء علي فأدخله، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: اللهم وإليّ فأكل معه، فلما كان رسول الله [كذا] صلى الله عليه وسلم خرج علي قال أنس: أتبعته علياً فقلت: يا [أ] باحسن استغفر لي فإن لي اليك ذنباً وإن عندي [لك] بشاره. فأخبرته بما كان من النبي فحمد الله واستغفر لي ورضي عني. أذهب ذنبي عنده بشارتي آياه» (٣٢).

٣٠ - عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله: سألت الله فيك خمساً فأعطاني أربعاً ومنعني واحدة. سألته فأعطاني فيك: أنت أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، وأنت معي معك لواء الحمد وأنت تحمله، وأعطاني: أنك ولي المؤمنين من بعدي» (٣٣).

٣١ - عن علي عليه السلام قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجحفة فقال: أيها الناس، ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى قال: فإني كائن لكم على الحوض فرطاً وسائلكم عن اثنتين عن القرآن وعن عترتي» (٣٤).

المصحيحين ١: ١١١، ٣، وخصائص النسائي: ٤٦، ونزل الأبرار بما صنع من مناقب أهل البيت الأطهار: ٦٨، وآل بيت الرسول: ٢٥.

(٢٥) مسند أحمد بن حنبل مسند العشرة المبشرين بالجنة، ج ١: ١١٢٠.

(٢٦) ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق ١: ٣٣٣.

(٢٧) كنز العمال ٦: ٣٩٢.

(٢٨) الرياض النضرة ٢: ١٩٣.

(٢٩) تاريخ دمشق لابن عساکر ١: ١٣١.

(٣٠) مؤنة القريب: ٩ ط. المكتبة الامامية - لاهور، ونور الهدى في مناقب علي المرتضى: ٢٦.

(٣١) بحار الأنوار ٢٤: ٨٨ ط. مؤسسة الوفاء - بيروت، وكنز الفوائد للكراچي: ٢٦١، ونور الهدى في مناقب علي المرتضى: ٣١ ط. لاهور.

(٣٢) ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق ٢: ١٠٧.

(٣٣) تاريخ بغداد ٤: ٣٢٩.

وفضائل الخمسة ٢: ٦.

(٣٤) حلية الاولياء ٩: ٦٤.

وفضائل الخمسة ٢: ٤٩.

٣٢- روى الحافظ الحسكاني الحنفي قال: «حدثني أبو الحسن الفارسي (باسناده المذكور) عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا علي فيكم نزلت هذه الآية (*) : ﴿إِنَّ الَّذِي سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾» (٣٥).

(٥) الأنبياء: ٨٠٠.

(٣٥) شواهد التنزيل ١: ٣٨٤.

٣٣- عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: إِنَّ مُوسَىٰ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ مَسْجِدَهُ بِهَارُونَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطَهِّرَ مَسْجِدِي بِكَ وَبِزَيْتِكَ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ أَنْ سَدَّ بَابَكَ، فَاسْتَرْجِعْ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْنَا وَطَاعَةٌ، فَسَدَّ بَابَهُ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَىٰ عُمَرَ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَىٰ الْعَبَّاسِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَنَا سَدَدْتُ أَبْوَابَكُمْ وَفَتَحْتُ بَابَ عَلِيٍّ، وَلَكِنَّ اللَّهَ فَتَحَ بَابَ عَلِيٍّ وَسَدَّ أَبْوَابَكُمْ» (٣٦).

(٣٦) المناقب لابن

شهر آشوب ٢: ٨٨٩، وكنز

العمال ٦: ٤٠٨، ومجمع

الزوائد ٩: ١١٤.

٣٤- عن ابن مردويه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «نزلت هذه الآية على رسول الله في بيته ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، فخرج رسول الله ﷺ فدخل المسجد وجاء الناس يُصَلُّونَ بَيْنَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ وَقَائِمٍ يُصَلِّي إِيذًا سَائِلٍ، فَقَالَ: يَا سَائِلُ، هَلْ أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، ذَاكَ الرَّاكَعُ (علي بن أبي طالب) أَعْطَانِي خَاتَمَهُ» (٣٧).

(٣٧) الدر المنثور ٢: ٢٩٣.

وشواهد التنزيل للحسكاني ١:

١٧٠، ح ٢٣٣.

٣٥- عن علي عليه السلام قال: «لما كنا بخيبر سهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتال المشركين، فلما كان من الغد وكان مع صلاة العصر فوضع رأسه في حجري فتنام فاستثقل فلم يستيقظ مع غروب الشمس، قلت: يا رسول الله ما صليت صلاة العصر كراهية أن أوقظك من نومك، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده وقال: اللهم إن عبدك تصدق بنفسه على نبيك فاردد عليه شروقها فأريتها في الحال في وقت العصر بيضاء نقية حتى قمت ثم توضأت ثم صليت ثم غابت» (٣٨).

(٣٨) كنز العمال ٦: ٢٧٧.

وفضائل الحمسة ٢: ١١٩.

قال الإمام زين العابدين (ع):

نَعَمْ نَحْنُ قُرْآنُ عَالِمِ اللَّهِ وَوَرَمُهُ
وَحُبِّي لِلَّهِ وَحَمْلَةُ كِتَابِ اللَّهِ، طَاعْنَا
فَرِيضَةً وَحُبُّنَا إِيْمَانًا.

خاطرة

فنون وأدب

وَلَا تَنْظُرُونَ

* بهمد علي الحسني

(العراق)

عاشوراء ... إنه صراع الافكار الذي أعاد للأذهان دورة زمنية كاملة، لتعيد بديراً وأحداً والاحزاب، ثم يقفز ليستعرض الجمل وصفين والنهر وان. صحيح أنها كانت سويغات من ذلك اليوم العصيب لكنها طوت مئات السنين لترجع الامة إلى وراء، ولتعيد لها قراءة القرآن من جديد، وتستعرض مشاهد حوار الامم بين كل كفر والحاد، وبين كل ايمان وتوحيد، ثم لتنتقل إلى صراع الانبياء ... نوح والطوفان، ابراهيم والنمرود، موسى وفرعون، عيسى وبني اسرائيل ... كلها تجلت في وارث الانبياء. ذلك هو الحسين عليه السلام.

في ذلك اليوم المشهود تقرأ عاشوراء فتقرأ فيه نوحاً والطوفان، ثم تسمع صوت نبي الله يرتفع من بين تلك الامواج القادمة الزاحفة لينقذ أمة من الضلال. وقد تلونه في كتاب الله كما أمر نبيه أن يتلوه بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ كُنْزَ عَلَيكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَاعْلَمِي أَنَّ اللَّهَ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ حُكْمًا ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾.

وفي ظهيرة أحد الأيام من عاشوراء كربلاء، وبعد آلاف من السنين تردد صوتك يا نبي الله نوح، وقد رأيته في وارثك وهو يعيد للتاريخ وقفتك ونداءك الابدي بين جموع من الضلال: «أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى

اعظكم بما هو حق لكم عليّ، وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتُموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون».

وفي ذلك اليوم الحسيني شاء الله أن يبعث خليله من جديد يواجه النيران النمرودية لتعيد يومه إلى ذاكرة الزمن الممتد بسنيه المتطاولة. لقد أعاد وارثه الحسين وقفته الابدية الخالدة، بوجه النيران الأموية الملتهبة، التي رامت حرق الزمن الابراهيمي المحمدي الممتد برسالة الانبياء وجهادهم وكانت سنة الله في نيران آل أبي سفيان هي ذاتها في نيران النمرود الطاغية، حيث كانت برداً وسلاماً عليك يا أبا عبد الله كما هي من قبل على أبيك ابراهيم خليل الله.

وأنت أيها السيد العائد إلى يوم أبيك ابراهيم الخليل، لتصنعه جديداً يشرق بوجه ذلك الشيخ الملبّي نداء ربه في ولده اسماعيل، وهو يُقدّمه قرباناً كما أراد الله. لقد كنت - سيدي أبا عبد الله - كريماً في عطائك لا تكتفي بقربان واحد إلا أن تجمع آلك لتقدمهم قرابين أبديّ إلى حيث الرضا الالهي وساحة العطاء، ثم أجزلت العطاء.. وأوفيت العطاء فلم يبق غير صغيرك الرضيع الذي عانق نحره ذلك السهم المسموم بأحقاد آل أبي سفيان، وقد ضعمته إلى صدرك الملتهب بحرارة المصائب لتقول: «هَوْنٌ ما نزل بي أنه بعين الله تعالى» وكان الجميع هم قرابين لرضا الرب تعالى. ثم تابعت المسير إلى حيث اتجهت قافلة شهدائك من الآل في يومك المشهود، وأنت تحاور آل أبي سفيان لتعيد إلى الازهان حوار موسى وفرعون وقد أخذه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله، بما آتاه الله من بينات باهرات، لقد حاورت قومك وأنت متكئ على عصا موسى مرتدياً عباءة هارون: «ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة وهيئات منا الذلة يابئ الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» وكيف لا وهو موروثك من أبيك موسى حين نادى ربه: ﴿قال ربّ بما أنعمت

عليّ قلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴿ ثم خرج من المدينة ﴾ خائفاً يترقب قال ربّ
 نجني من القوم الظالمين ﴿ وقد خرجت سيدي من مدينة جدك على ترنيمة
 أبيك موسى خائفاً مترقباً لتقول: ﴿ ربّ نجني من القوم الظالمين ﴾ ثم تحاور
 قومك لتزهمهم بما آتاك الله من إرث النبوة والإمامة.

وهكذا عرج الحسين وآله إلى سماء الخلود كما عرج عيسى ﷺ بعد أن
 جاهد - والقلّة القليلة من حواركيه - بني إسرائيل وواجهوا مكائدهم.
 وهكذا كان يومه عصارة ذلك الصراع، وفكره حصيلة وهي السماء لأنّه
 وارث الانبياء.

قال الرسول الكريم ﷺ :
 مَرَّ أَهْبَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَبَّحَ اللَّهُ
 عَالِي أَوَّلِ النِّعَمِ ،
 قِيلَ : وَمَا أَوَّلُ النِّعَمِ ؟ قَالَ :
 طَيِّبُ الْوَلَادَةِ *

حمدك يا رب العالمين

من غرر حكم
اهل البيت (ع)

اعداد

عبد القادر فرج الله

في هذا الباب نحاول أن نوجه أنظار القراء الكرام إلى مفهوم أو فكرة معينة عن طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما أثر من نصوص كلمات المعصومين (عليه السلام) فيها، لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية واقعية صادقة وبيان شمولي بليغ يرتبط بمعين القرآن الكريم الذي لا ينضب، تصديقاً لقولهم (عليه السلام): «شترقا أو غربا فلن تجدنا علما صحيحا إلا شيئا يخرج من عندنا أهل البيت».

التحرير

فضل قضاء الحاجة

رسول الله ﷺ: «من قضى لمؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة

أدناها الجنة» (١).



(١) البحار ٧٤: ٢٨٥.

الامام الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «من قضى لأخيه

المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهرًا» (٢).

(٢) البحار ٧٤: ٢٨٥.

الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «والله لقضاء حاجة المؤمن خير من

صيام شهر واعتكافه» (٣).

(٣) البحار ٧٤: ٣٠٢.

وعنه عليه السلام: «إن الله في عون المؤمن ما دام في عون أخيه المؤمن، ومن نفّس عن

أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه سبعين كربة من كرب الآخرة» (٤).

(٤) البحار ٧٤: ٣١٢.

ومن حديث له عليه السلام: «من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في

سبيل الله»^(٥).

أمير المؤمنين عليه السلام: «ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله: عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة»^(٦).

الامام الباقر عليه السلام: «أوحى الله تعالى إلى موسى: إن من عبادي من يتقرب إلي بالحسنة، فأحكمه في الجنة، قال: وما تلك الحسنة؟ قال: تمشي في حاجة مؤمن»^(٧).

وعنه عليه السلام: «إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه، فلا تكون عنده فيهم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمة الجنة»^(٨).

الامام الصادق عليه السلام: «من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه»^(٩).

وعنه عليه السلام: «مشي المسلم في حاجة المسلم خير من سبعين طوافاً بالبيت الحرام»^(١٠).

وعنه عليه السلام: «من مشى في حاجة أخيه المؤمن كتب الله عز وجل له عشر حسنات، ورفع له عشر درجات، وحوط عنه عشر سيئات، وأعطاه عشر شفاعات»^(١١).

وعنه عليه السلام: في حديث له: «لأن أسعى مع أخ لي في حاجة حتى تقضى أحب إلي من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل على ألف فرس في سبيل الله مسرعة ملجمة»^(١٢).

وعنه عليه السلام: «إن لله عبداً من خلقه يفزع العباد إليهم في حوائجهم، أولئك هم الآمنون يوم القيامة»^(١٣).

وعنه عليه السلام: «للقضاء حاجة امرئ مؤمن أحب إلى الله من عشرين حجة، كل حجة ينفق فيها صاحبها مئة ألف»^(١٤).

وعنه عليه السلام: في وصيته لعبد الله بن جندب: «يا بن جندب، الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمتشخط بدمه في سبيل الله يوم بدر وأحد»^(١٥).

الامام الكاظم عليه السلام: «إن لله حسنة آخرها لثلاثة: لإمام عادل، ومؤمن حكّم أخاه في ماله، ومن سعى لأخيه المؤمن في حاجته»^(١٦).

وعنه عليه السلام: في حديث له: «إن خواتيم أعمالكم قضاء حوائج إخوانكم، والإحسان إليهم ما قدرتم، وإلا لم يقبل منكم عمل. حتّوا على إخوانكم وارحموهم تلتحقوا بنا»^(١٧).

(٥) البحار ٧٦: ٣٦٧.

(٦) البحار ٧٤: ٣١٢.

(٧) البحار ٧٤: ٣٠٦.

(٨) البحار ٧٤: ٣٣١.

(٩) البحار ٧٤: ٢٨٦.

(١٠) البحار ٧٤: ٣١١.

(١١) البحار ٧٤: ٣١٢.

(١٢) البحار ٧٤: ٣١٦.

(١٣) البحار ٧٤: ٣١٨.

(١٤) البحار ٧٤: ٣٢٤.

(١٥) البحار ٧٨: ٢٨١.

(١٦) البحار ٧٤: ٣١٤.

(١٧) البحار ٧٥: ٣٧٩.

السعي إلى قضاء الحاجة:

أمير المؤمنين عليه السلام: «تبادروا المكارم، وسارعوا إلى تحمّل المغارم، واسعوا في حاجة من هو نائم، يحسن لكم في الدارين الجزاء، وتناولوا من الله عظيم الجباء» (١٨).

(١٨) غرر الحكم ودرر الكلم
٣١٧: ١

وعنه عليه السلام: «عجبت لرجل يأتيه أخوه المسلم في حاجة فيمتنع عن قضائها، ولا يرى نفسه للخير أهلاً، فهب أنه لا ثواب يرجي، ولا عقاب يتقن، أفتزهدون في مكارم الأخلاق» (١٩).

(١٩) غرر الحكم ودرر الكلم
٣٧: ٢

وعن الصادق عليه السلام: «إن الرجل ليسألني الحاجة فأبادر بقضائها، مخافة أن يستغني عنها فلا يجد لها موقعا إذا جاءته» (٢٠).

(٢٠) البحار ٧٤: ٢٨٦

وعنه عليه السلام لسدير الصيرفي: «يا سدير، ما كثر مال رجل قط إلا عظمت الحاجة لله عليه، فإن قدرتم أن تدفعوها عن أنفسكم فافعلوا، فقال له: يا بن رسول الله، بماذا؟ قال: بقضاء حوائج إخوانكم من أموالكم» (٢١).

(٢١) البحار ٧٤: ٣٠٢

وعنه عليه السلام في حديث له: «ومن خالص الإيمان البر بالإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر» (٢٢).

(٢٢) البحار ٧٤: ٣١٧

وعنه عليه السلام قال: «قال الله عز وجل: الخلق عيالي، فأحبهم إلي أطفلكم بهم، وأسعاهم في حوائجهم» (٢٣).

(٢٣) البحار ٧٤: ٢٣٦

وعنه عليه السلام: «إني لأسارع إلى حاجة عدوي خوفاً أن أردّه فيستغني عني» (٢٤).

(٢٤) ميزان الحكمة ٢: ٥٤٣

النصح في قضاء الحاجة:

الامام الصادق عليه السلام: «ما من مؤمن يمضي لأخيه المؤمن في حاجة فينصحه فيها إلا كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة، قضيت الحاجة أم لم تقض، فإن لم ينصحه فيها خان الله ورسوله، وكان النبي صلى الله عليه وآله خصمه يوم القيامة» (٢٥).

(٢٥) البحار ٧٤: ٣١٥

وقال أبو بصير عنه عليه السلام: «سمعتة يقول: أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة، فلم يبالغ فيها بكل جهد، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» (٢٦).

(٢٦) المحاسن ١: ١٨٣

الحاجة إليك نعمة ورحمة:

أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَاغْتَنِمُوهَا وَلَا تَمْلُوهَا فَتَتَحَوَّلَ نِقْمًا» (٢٧).

(٢٧) غرر الحكم ودرر الكلم
٢٣٢: ١

وعنه عليه السلام: «مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَامَ فِيهَا بِمَا أَوْجِبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ فَقَدْ عَرَضَهَا لِلدَّوَامِ، وَإِنْ مَنَعَ مَا أَوْجِبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيهَا فَقَدْ عَرَضَهَا لِلزَّوَالِ» (٢٨).

(٢٨) غرر الحكم ودرر الكلم
٢١١: ٢

الامام الحسين عليه السلام: «إِنْ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَمْلُوهَا النَّعَم» (٢٩).

(٢٩) البحار ٧٤: ٣١٨

الامام الصادق عليه السلام في حديث له: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَتَى أَخَاهُ فِي حَاجَةٍ فَإِنَّمَا ذَلِكَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَاقَهَا إِلَيْهِ، وَسَبَّيْهَا لَهُ، فَإِنْ قَضَى حَاجَتَهُ كَانَ قَدْ قَبِلَ الرَّحْمَةَ بِقَبُولِهَا، وَإِنْ رَدَّ عَنْ حَاجَتِهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهَا فَإِنَّمَا رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَاقَهَا إِلَيْهِ، وَسَبَّيْهَا لَهُ» (٣٠).

(٣٠) البحار ٧٤: ٣٢٤

الامام الكاظم عليه السلام: «مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فِي حَاجَةٍ، فَإِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَاقَهَا إِلَيْهِ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ وَصَلَهُ بِوِلَايَتِنَا، وَهِيَ مَوْصُولَةٌ بِوِلَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ رَدَّ عَنْ حَاجَتِهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا، فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَأَسَاءَ إِلَيْهَا» (٣١).

(٣١) البحار ٧٤: ٣١٣

عقوبة من خذل محتاجاً:

أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ بَخَلَ عَلَى الْمُحْتَاجِ بِمَا لَدَيْهِ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ» (٣٢).

(٣٢) غرر الحكم ودرر الكلم
٢٣٨: ٢

الباقر عليه السلام: «مَنْ بَخَلَ بِمَعُونَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالْقِيَامَ لَهُ فِي حَاجَتِهِ، ابْتَلَى بِمَعُونَةٍ مِنْ يَأْتُمُّ عَلَيْهِ وَلَا يُؤْجَرُ» (٣٣).

(٣٣) البحار ٧٥: ١٧٥

الامام الصادق عليه السلام: «مَنْ سَأَلَهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ حَاجَةً مِنْ ضَرٍّ، فَمَنَعَهُ مِنْ سَعَةٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا مِنْ عِنْدِهِ أَوْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، حَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، حَتَّى يَفْرَغَ اللَّهُ مِنْ حِسَابِ الْخَلْقِ» (٣٤).

(٣٤) البحار ٧٤: ٢٨٧

وعنه عليه السلام: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَتَاهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي حَاجَةٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهَا فَمَنَعَهُ إِيَّاهَا، عَثِرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَعْيِيراً شَدِيداً، وَقَالَ لَهُ: أَتَاكَ أَخُوكَ فِي حَاجَةٍ قَدْ جَعَلْتَ قَضَاءَهَا فِي يَدَيْكَ، فَمَنَعْتَهُ إِيَّاهَا زَهْداً مِنْكَ فِي ثَوَابِهَا، وَعَزَّتِي لَا أَنْظُرَ إِلَيْكَ فِي

حاجة معذباً كنت أو مغفوراً» (٣٥).

(٣٥) ميزان الحكمة ٢: ٥٤٠.

من هم أهل قضاء الحوائج ؟

أمير المؤمنين (عليه السلام) : «اللَّهُمَّ لا تجعل بي حاجة إلى أحد من شرار خلقك، وما جعلت بي من حاجة فاجعلها إلى أحسنهم وجهاً، وأسأخاهم بها نفساً، وأطلقهم بها لساناً، وأقلهم عليّ بها مناً» (٣٦).

(٣٦) البحار ٧٨: ٥٦.

وعنه (عليه السلام) : «قلت: اللَّهُمَّ لا تحوجني إلى أحد من خلقك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا علي، لا تقولن هكذا، فليس من أحد إلا وهو محتاج إلى الناس... فقلت: يا رسول الله، فما أقول؟ قال: قل: اللَّهُمَّ لا تحوجني إلى شرار خلقك، قلت: يا رسول الله، من شرار خلقه؟ قال: الذين إذا أعطوا منّوا، وإذا منعوا عابوا» (٣٧).

(٣٧) ميزان الحكمة ٢: ٥٤٥.

وعنه (عليه السلام) : «فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها» (٣٨).

(٣٨) نهج البلاغة، الحكمة ٦٦.

الحسين (عليه السلام) في حديث له: «ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين أو مروءة أو حسب، فأما ذو الدين فيصون دينه، وأما ذو المروءة فيستحيي لمروءته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك» (٣٩).

(٣٩) البحار ٧٨: ١١٩.

شروط قضاء الحوائج:

أمير المؤمنين (عليه السلام) : «لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث: باستصغارها لتعظم، وباستكثامها لتظهر، وبتعجيلها لتتهنؤ» (٤٠).

(٤٠) نهج البلاغة، الحكمة ١٠١.

الامام الصادق (عليه السلام) : «رأيت المعروف لا يتم إلا بثلاث: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإنك إذا صغرت عظمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تغمته، وإذا عجلته هتأته، وإن كان غير ذلك سخفته وتكدته» (٤١).

(٤١) ميزان الحكمة ٦: ٢٤٩.

الامام (عليه السلام) :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فِي الْأَرْضِ سَيِّئِينَ
فِي صَوَائِحِ النَّاسِ
لَهُمُ الْأَمْنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فنون وأداب

نظريّة الأدب الإسلامي

بين الفكرة والتكوين

* سامر ملا عبيدي

(العراق)



على الرغم من وجود الخزين الهائل من الأدب والفن الإسلاميين على مدى العصور من صدر الاسلام حتى وقتنا الحاضر، إلا أن القارئ الإسلامي والعربي لا يجد نظريةً مستقلةً ومبوبةً في كتاب مستقل خاص بآراء النظرية الإسلامية للأدب والنقد، ولا تعدو الآراء في النقد الأدبي والأكاديمي للأدب الإسلامي غير شذرات متفرقة تتوزع بين صفحات الكتب. لذا كان لزاماً على القارئ المسلم نتيجةً لغياب عناصر الفهم الأدبي اللجوء إلى نظرية الأدب الغربية التي وضعها كل من الأستاذين: «رينيه ويليك» [المولود في فيينا لأبوين تشيكيين عام ١٩٠٣م، والحائز على شهادتي دكتوراه من براغ والولايات المتحدة، وعدة درجات فخرية مماثلة، وله كتب ودراسات في النقد الأدبي وتاريخ نشوء الأدب الإنجليزي] و«استون وارين» [الأميركي الأصل وأستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة ميشيغان، والمشارك في أغلب المجالات الأدبية العالمية، وله عدة مؤلفات في النقد، مثل: «الكسندر بوب الناقد والإنسان» و«قديسو نيوانجلند»]^(١). أو اللجوء إلى نظرية الأدب التي ألفها مجموعة من الكتاب والأساتذة السوفييت^(٢). والنظريتان موضع بحث ودراسة في عدة جامعات كمنهج دراسي كما في الجامعة التونسية التي أقرّت الثانية^(٣).

(١) جاءت ترجمة المؤلفين في مقدمة كتاب نظرية الأدب «الغربية».

(٢) نظرية الأدب «الشرقية» تأليف مجموعة من الأساتذة السوفييت.

(٣) مقدمة كتاب نظرية الأدب تأليف مجموعة من الأساتذة السوفييت.

وقد جاءت آراء النظرية الغربية رد فعل على النظرية الثانية إبان الحرب الباردة بين القطبين، حيث يستعرض الشرقيون آداب المدرسة الواقعية الاشتراكية، ويطرحون آراءهم وفق المادية التاريخية كمفاصل محرّكة للتطور الديالكتيكي، ويبثون داخل متون نظريتهم الأدبية آراء فلسفية قديمة، ويوعزون بشكل ذكي عوامل تطورها أو اضمحلالها إلى الماركسيّة، بعيداً عن العمق العقدي للدين وروح الرسائل السماوية، وأثر الرسل والأنبياء في تغيير وجه الأرض وحركة الأمم. وذلك يعود بدءاً لإلغائهم بل قطعهم الحبل الذي يوصل آدم عليه السلام بالبشرية، واعتبروا ذلك خرافة. ولا نريد الاطالة وعرض فصول هذا الكتاب لاعتبار انتهاء الفكرة الشيوعية من حيّز الوجود الانساني بفعل عامل السنّة التاريخية نفسه، الذي عوّلت عليه الماركسية كثيراً، ولم يبق من هذه الفكرة سوى بعض ما تعانيه الشعوب في طريقه للزوال. ويحاكي الغربيون النظرية الشرقيّة في الأدب، ولكن قبالة آرائها، فيضع المؤلفان آراءهما وفق النظرة الرأسمالية، وكما ربط الشرقيون ربطاً جدلياً بين التاريخ وواقعهم الاشتراكي، ربط الغربيون ذلك ربطاً وفق الأنظمة والقوانين وعوامل الإنتاج الرأسمالية والاستعمارية.

وتأتي أهمية آراء المدرستين من أهمية الأدب والنقد الأدبي نفسيهما وكونهما يؤثران تأثيراً مباشراً في حركة الأمم والشعوب، ومن خلالهما تخرج النخبة ذات الذوق الرفيع لتوجّه الصراع الحضاري والانساني وفق نظرتها ووفق مرتكزاتها العقيدية. وعندما لا يجد الأديب والناقد والقارئ المسلم عناصر أوليّة اسلامية للفهم الأدبي والنقدي سيلجأ إلى المتوقّف في المكتبة ليكون مطيته في الفهم والكتابة والنقد. وكم تأكّر كُتّابنا المسلمون بآراء المدرستين، وأنتجوا أجيالاً أدبية متأثرة إلى حدٍ بعيد بهما. حتى بدت أكثر الفضائل الروحية رواسب في كتاباتهم يرون محاربتها وحذفها من الذهن، وليس أدلّ على ذلك من نجيب محفوظ والطيب الصالح وعبدالرحمن منيف وجبرا إبراهيم جبرا^(٤) وغيرهم، مع الأخذ بنظر الاعتبار مساحة ومستويات قرائهم.

(٤) لقد اثبت نجيب محفوظ ذلك في روايته اولاده حارثنا و اساء للمقيم الدينية، وكذلك الطيب الصالح في روايته عرس الزين حيث صوّر رجل الدين ذلك الإنسان النافق الأقرب إلى السحر والشعوذة، اما عبدالرحمن منيف فصوّر في الأشجار واغتيال مرزوق حالات من ابطاله كأنها مساجد المسلمين المهجورة، ولا يخفى على القارئ دور جبرا ابراهيم جبرا في كتاباته الأدبية أنه كيف حاول مسح الهوية الشرقية ذات المنسحة الروحانية وهو من كبر رجال التغريب الأدبي في الوطن العربي.

وإذا أردنا ان نناقش الآن فليس أمامنا سوى النظرية الغربية التي إذا بقيت دون طرح مقابل، فمعنى ذلك سيادتها، وبالنتيجة ستخدم التوجّه نحو النظام الدولي الجديد، باعتبارها كتبت على مستوى علاقات وصراعات النظام الرأسمالي، علماً بأنها لا تخدم مجتمعنا لأن أغلب المطروح فيها غير مترجم، وبعيد عن إحساسنا وتوجّهنا الحضاري، آخذين بنظر الاعتبار انعكاس آراء هذه النظرية على الأجهزة السمعية والمرئية التي تغزونا بشكل سريع ومباشر. علاوة على خلو النظريتين تماماً من الأطروحات الأدبية والفلسفية الإسلامية، وكذلك فنونها، وهذا ما يجعلهما ناقصتين لا تبيان الحاجة لجملة أمور منها:

١ - قيمة الأدب والفلسفة والبلاغة والنقد الإسلامي وتأثيرها على حركة تطور الأمم الثقافية والسياسية والاجتماعية.

٢ - تأثير التاريخ الإسلامي على حياة الشعوب.

٣ - القيمة القرآنية والعرفانية في التأثير على عقل غير المسلمين. فعندما تناقش النظريتان التصوف والفلسفة والتاريخ لا تأخذان سوى آراء القديسين والرهبان كالأب أوغسطين وآدم سميث مثلاً.

وعندما نريد ان نشخص الخلل في النظريتين لا نريد ان نلغي كل ما جاء فيهما، لأن هناك عناصر فهم وتأثير مشتركة عند كل بني البشر، رغم اختلاف الأجناس واللغة وعوامل الزمن، لكن أخذ الآراء برمتها يؤدي إلى نتائج سلبية سنطرح مثلاً واحداً عليها من ايران، فعندما سئل أعضاء قواعد حزب توده «الشيوعي» عن سبب اعتناقهم الفكر الشيوعي وهم يعيشون في بلد يختلف حضارياً وعقائدياً عن روسيا وتنشط عندهم الدراسات الحوزوية والدينية الأخرى، أجابوا بأنهم لم يطالعوا رأس المال الماركسي وآراءه في الديالكتيك والاشتراكية بشكل مفصل بل تأثروا بالأدب الواقعي الاشتراكي وعمالقة كدوستوفسكي وتولستوي وغوركي وغيرهم.

أما إذا عدنا إلى سبب عدم بلورة نظرية إسلامية في الأدب والنقد نستطيع ان نشخص جملة عوامل:

١ - تعسف الحكام المتعاقبين على السلطات في البلدان الإسلامية، وبعدهم عن الدين، بل محاربتهم له؛ بل اهتموا بأداب وفنون لهوهم ومجونهم.

٢ - قتل وتشريد الكتّاب والأدباء الذين لا يوالون توجهات السلطة، وكُم أفواههم، وانتهاك حرمتهم، وصعود المتزلفين والمتملقين السطحيين، حتى أصبح لكل أبي فراس مائة متنبّي من الدرجة العاشرة حيث كتب هؤلاء توجهات السلطات وأهدافها^(٥).

٣ - الموقف السلبي للشريعة الإسلامية من بعض الفنون كالنحت والرسم ذي البعد الثالث (المجسم) والموسيقى جعل الكثير من المتخصصين والنقاد يعزفون عن الخوض والدراسة فيها.

لكن كل هذا لن يعتبر عاملاً في عدم بلورة وصياغة نظرية للأدب الإسلامي ففي القرآن الكريم والسنة المطهرة بكل أنواعها القولية والفعلية والتقريرية للرسول الأكرم ﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام أبعاد تفتقر إليها النظريتان، ومثال واحد يكفي للاستدلال على القيمة الأدبية والفنية الإسلامية، ولنتفحص قوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفّس﴾^(٦) سنجد في هذه الصورة الواقعية من البلاغة والبعد الأدبي ما تعجز عنه كل النظريات، حيث فيه الإيجاز، واليقين، والصورة، والواقعية، والعقيدية، وغيرها. كما أن البنيوية الحديثة لا تجاري مثل هذه الصياغة مهما بلغت. وهذا بعد آخر هو الإعجاز.

كما أن السنة النبوية المطهرة تصرح «إن من البيان لسحراً» وهو بالضبط الانسجام الروحي والمتعة الحقيقية للدواخل والمنفعة الواقعية للإنسان.

وبعد، فسنتطرح جملة من المفاهيم الأولية للفهم الأدبي هي في الحقيقة مشتركة بين النظريتين والنظرة الإسلامية للأدب، باعتبار المعادل الموضوعي الانساني. كما سنقوم بطرح مفاهيم إسلامية أولية، ولا نعتبرها آراء، بل محاولات خاضعة للنقاش مع القراء، وليست المناقشة وطرح الآراء الأخرى مختصةً بطلقةٍ دون أخرى، بل تشمل القراء والكتّاب والنقاد، خصوصاً ونحن نخوض الصراع الحضاري مع الأفكار الغربية، ونعيش زمن الصحوة فلا بد لنا من أدب إسلامي خالص، نستطيع التأثير من خلاله والتصحيح في فكر الإنسان

(٥) يسقول الخُصري القيرواني في كتاب «زهر الآداب وثمر الألباب»

المشروح بقلم زكي مبارك على الصفحة «٢٩» عند حديثه عن القرن الرابع الهجري وكتّابه: «ومن أهم الجوانب التي تمثل الحالة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتّاب، فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت من إطماعهم في الحياة المادية، وكانوا يمثلون غالباً طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المغرضة في العصر الحاضر وكان لهم من القوة ما كان للشعراء فلم يكن من بد أن يتنافس أصحاب الملك في تقريبهم، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالحظوة عند الوزراء والرؤساء والملوك». وفي رسائل بدیع الزمان ص ١٤٥ جاء بخصوص الكتاب: «ولا صلحت أحوالهم، الا فسدت أعمالهم، ولا فاض جاههم، إلا غاضت مياههم».

المعاصر، الذي تعصف به المادة والقلق، وأهم العناصر الأولية للفهم والنقد الأدبي كما جاء في النظريتين هي:

١- التفاهم العاطفي والاستمتاع:

وهي علاقة ذات عدة أبعاد نفسية وفكرية، واستعدادات ذهنية للقبول والاستفادة من النص المقروء، ومن شأن هذا إعطاء نتائج إيجابية، كما أنها عبارة عن مفتاح للدخول في عالم النص واستخلاص المراد منه، وشروط مسبقة للقارئ والكاتب والناقد بشكل عام، ولدارسي الأدب أكاديمياً بوجه خاص، لأن فن القراءة والانجذاب إليها هو المثال للتثقيف الذاتي ومعرفة بواطن الأشياء والباحث للتطبيق العملي.

٢- التمييز بين الأدب والدراسة الأدبية:

يقول ويليك: «هما فعاليتان متميزتان إحداها خلاقة فن، والأخرى إذا لم تكن بالضبط علماً فهي ضرب من المعرفة والتحصيل»^(٧).
إذاً المهمة تختلف، ويفصل ذلك: «أن على الأديب المبدع أن يترجم تجربته إلى مصطلحات فكرية، وأن يتمثلها ويحولها إلى خطة متماسكة يجب أن تكون عقلانية»^(٨).

إذاً الاشتراط هنا أن تكون تجربة الأديب المبدع نوعاً من المعرفة، وليست مجرد انفعالات اهليلجية متعرجة، تنزف دون علاج، وهذا معنى قوله: «ضرب من المعرفة» بالإضافة إلى ممارسة الأديب لأُمُور لا عقلانية، لكنها مبرمجة وموجهة نحو هدف عقلائي نافع. كما يميل «ويليك» إلى الرأي القائل بأن الدراسة الأدبية يجب أن تكون إبداعاً ثانياً للنص، من شأنه أن يفضي إلى نتائج. وإلا فعملية تفكيك عناصر النص نفسها بالوصف والعرض تعني عملية نسخ لا حاجة إليها، أو ترجمة عمل فني إلى أسلوب آخر من نفس اللغة يكون في العادة أدنى.

والظاهر من المطروح أنه لم يستخلص رأياً محدداً بل ترك الأمر مفتوحاً

(٧) نظرية الأدب «الغربي»:

(٨) نفس المصدر والصفحة.

لعدة آراء ضرب لها امثلة، منها مسألة الأدب ودراسته التي تؤدي إلى نتائج تشكيكية في طابعها باحتجاج ان الأدب لا يمكن دراسته على الاطلاق، ويرى «ويليك» تثبت التقدير والتذوق والحماسة للنص، وهو وإن كان نقد هذا، لكنه طرحه لأنه لم يجد غيره.

٣- المعرفة المنهجية الخاصة:

مما لا شك فيه أن هناك تماساً وتداخلاً كبيرين بين المنهج العلمي والدراسات الأدبية، إذ من الممكن ان يستفيد الأدب من الاحصاء والرسم والخطوط البيانية، حيث اثبتت هذه العلوم قيمتها أحياناً في مجال أو تكتيك محدود، كاستعمال الاحصاء في مناهج معينة لنقد النصوص أو لدراسة الأوزان، لكنها أخفقت في الكثير من المجالات، مما دعا المشايخين لعملية الغزو العلمي للدراسة الأدبية للإشارة إلى ان الانتصارات المقبلة لحل المعضلات الأدبية جميعها ستكون لعلم الأعصاب.

وبما ان المنهج العلمي لا يمكن استيعاده بسهولة عن الدراسات الأدبية كالاستقراء والاستنتاج والتحليل والتركيب، والمقارنة مشتركة في جميع أصناف المعرفة المنهجية، فإن الحل الأخير هو: «ان للبحث الأدبي مناهجه الخاصة التي لا تتطابق دائماً مع العلوم الطبيعية»^(٩). ومثلما استطاعت علوم الفلسفة والتاريخ والفقه واللغة ان تستنبط مناهجها وقواعدها من أدلتها التفصيلية، فالأدب كذلك، وبما ان لكل علم هدفاً ذاتياً ومنهجية خاصة فيجب ان نعترف بوجود هذا الفرق بين المناهج والأهداف لكل من العلوم الطبيعية والانسانية. فمثلاً الفرق بين مناهج العلوم الطبيعية والتاريخ يأتي انطلاقاً من التعارض بين الشرح والادراك. ويميز الفرنسي أ - د - كسينوبول بين العلوم الطبيعية والتاريخ ب «ان الاولى تشغل بواقع متكرر والثانية بالواقع المتعاقب»^(١٠).

(٩) نظرية الأدب «الغربي»:

(١٠) نفس المصدر: ٨٤.

اما في الأدب فإننا ندرس شكسبير مثلاً، لأننا نهتم بما يميزه عن بقية الناس، وليس بما يشترك فيه معهم، ونريد من ذلك أن نفهم ما تفرّد به، وحتى

دراسة أدب أمة من الأمم يهتم بها الدارس بوصفها حالة فردية ذات خصائص مميزة تفرد بها عما يشابهها من مجموعات أخرى.

من خلال هذا القول نستطيع دعم القول بالمنهجية الفردية باعتبار ان لكل عمل ادبي نسيجية وعينية خاصة في تفاعلاتها وانفعالاتها التي من غير الممكن ان تتكرر.

وفي النتيجة تشكل المناهج الأدبية خصوصية لنفسها من جانب، وهي مشتركة مع غيرها باللغة والكلمات من جانب آخر.

٤ - إمكان وعدم القانون الأدبي:

يدور الأمر بين وضع قانون للأدب بالزّيّ العصري ويطابق المنهجين التاريخي والعلمي، وقد يؤدي هذا الأمر إلى مجرد تجميع للوقائع. والآخر على العكس، والذي يدعو إلى ان البحث الأدبي ليس علماً، انّ الحل المضاد للعلم له مخاطره. فقد يؤدي الحدس الشخصي إلى تقدير انفعالي، وإلى ذاتية تامة. وهنا لنا قول هو: إذا وضعت قوانين علمية للأدب أو المتعة الحقيقية فستكون العملية شبيهة بالفيزياء وفق قاعدة الفعل ورد الفعل، أو شبيهة بالاتحاد الكيميائي، وهذا غير ممكن، لأن الشاعر مثلاً لا يعمل لاتحاد انفعالاته والتقاطات أحاسيسه بالوزن لتنتج مقطعاً أو صورة شعرية أو مفردة، بل العملية عملية انصهار داخلي غير مادي وغير محدودة، لذلك قال «أرسطو»: ان الشعر أعمق من التاريخ، فهو أعمق فلسفة منه.

إنّ العمل الابداعي الأدبي كالانسان، ينفرد بسمات مميزة لشخصيته، وهو في نفس الوقت مشترك في قانون الانسانية مع بني جنسه.

من هنا نرى ان النقد الأدبي يحاول ان يميّز الجزئيات من خلال المصطلحات الكلية.

هذه أربعة عناصر استطعت ان أبوّبها على هذه الصورة، لعل القارئ والأديب يستعين بها مؤقتاً كأوراق خارجية مهمة للدخول في ذاتيات المدارس الأدبية لحين بلورة عناصر جديدة لنظرية إسلامية، نعتقد بإمكان

(١١) نص اللائحة الإسلامية
لحقوق الإنسان نشر في مجلة
رسالة الملكين العدد السابع.

بروزها كما برزت اللائحة الاسلامية لحقوق الإنسان^(١١). والتي حفلت بالعديد من الفقرات والمواد التي لم تتطرق لها اللائحة العالمية، رغم تعديلات جنيف، ومثلما اشتركت اللائحتان في مواد وفقرات عدة.

إنذا ليس من المستحيل صياغة نظرية كبرى للأدب والنقد الاسلامي الذي تتوفر مادته التاريخية والتراثية والثابتة لكل العصور. فلدينا القصص القرآني، والمثل، والحكمة، والسنة المطهرة، علاوة على واقعة الطف، والوقائع التي تلتها، التي نستطيع ان نستخلص منها أعظم الحكم، وأروع الدراما والتراجيديا. واعتقد انه لو صيغت نظرية للأدب والنقد الاسلامي على ضوء ما نملك لأغينا الكثير من تلك التي يسمونها بالروائع والخالدات. «فصموئيل بيكت» ملأ الدنيا وشغل الناس بمسرحية «في انتظار غودو» التي لو استخدمنا أمامها قضية الغائب «عج» لأغيناها، وكذلك هاملت شكسبير الذي وقف له العالم هاتفاً عقوداً من الزمن عندما هتف بمقولته: «أكون أو لا أكون تلك هي المسألة». بينما قال الأعمق والأروع من ذلك العباس بن علي عليه السلام قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً ولم يتداع رغم أحلك الظروف الذاتية والموضوعية، فنراه يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أو تكوني
فهاملت ينتحر، بينما العباس عليه السلام ينتصر. هذا تراثنا وحقيقتنا كمسلمين، وهذه حقيقتهم في أرفع مستويات ثقافتهم. ولنا إذا ترجمنا المواقف الاسلامية للرجال بشكل ادبي، أو استفدنا منها ادبياً فسنلغي الكثير من شخصيات دوستوفسكي وهمنجواي. وما «الأبله» لدوستوفسكي، وما نولي نيقوس كازنترافي في «المسيح يصلب من جديد» إلا شخصيات رفعتها النظرية الأدبية والأكاديمية النقدية لكل مدرسة من المدرستين.

ولنضرب هنا مثلاً واحداً من سيرة الإمام الحسين عليه السلام، ونر كم من الاستنتاجات نستطيع ان نستخلصها، فعندما تقدم جارية له وردة في العيد وتحبيه بتحية الاسلام نراه يرد عليها ويقول لها: أنت حرة لوجه الله. وعندما يستفسر أصحابه منه: أمن أجل وردة تعق جارية؟ يجيبهم عليه: ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حِيْتُمْ بِحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا﴾^(١٢)؛

هنا نستطيع استنتاج ما يلي:

- ١ - الانسانية ومعالجة قضية العبيد والإماء بأبسط الأثمان رغم معرفة السبب الثاني ^{١٣} كيف أصبحت هذه جارية وذاك عبداً.
 - ٢ - الربط الواقعي بين العقيدة والواقع المعاش.
 - ٣ - رهافة الحس والنظرة الجمالية للورد وعكسها على انكسارات الجارية.
 - ٤ - الرحمة وتعويد الأمة عليها.
 - ٥ - المنفعة المادية والروحية.
- وغيرها من الاستنتاجات.

فإذا أردنا أن نقارن جمالياً مع قياس الفارق بين المسلم وغيره نضع النقطة الثالثة أمام بكاء هتار عند سماعه زقزقة العصافير، وكيف عكس هذا الاحساس بالجمال على العالم. والمثال المطروح ليس إلا حالة طارئة وخفيفة وسريعة في حياة المسلمين وقادتهم الحقيقيين، الأمر الذي يدعو لصياغة نظرية أدبية ونقدية مستقلة لنا.

وأرى أن صياغة نظرية أدبية ونقدية للأدب الاسلامي يمكن أن تتضمن بعض المفاهيم الأولية للفهم التي نحاول طرحها الآن بالإضافة إلى ما تقدم:

* النظرة المتفحصية للنص والآراء: فعلى الأديب والناقد والقارئ المسلم أن تكون له إحاطة عقيدية ثابتة لا قلقه بقواعد وأصول وتاريخ عقيدته، حتى لا تمر عليه مختلف النصوص وتجرفه بمتونها وحلاوتها، فعندما يقرأ مثلاً رواية «عشيق الليدي تشارلي» يجب أن يستنتج أنها قصة حب محرمة رغم لواعجها وانفعالاتها، ويجب أن يحكم على الحرب نفسها لا على نتائجها. كما يجب أن تكون له وشائج حميمة بتراثه وشعبه، لا كما فعل الشاعر الكبير «بدر شاكر السياب» عندما ترجم النظرة السلبية عند الإنجليز بخصوص نزول المطر في شعره:

«أتعلمين أي حزن يبعث المطر» (١٣).

وهو بذلك خالف النظرة العقيدية لشعبه وأمته، فالقرآن الكريم يصرح بعكس ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ لَنُخْرِجَ بِهِ

(١٣) الجزء الثاني من ديوان

بدر شاكر السياب، قصيدة
انشودة المطر: ٤٧٦.

حَبًا وَنَبَاتًا ﴿١٤﴾

(١٤) النبا: ١٤ - ١٥.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١٥).

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا...﴾ (١٦).

(١٥) الجن: ١٦.

وغيرها الكثير.

(١٦) ق: ٩.

* البحث عن العناصر المشتركة للمنفعة عند الإنسان: فمن خلالها نستطيع إعطاء الانسانية فكرنا وتغذيتها به وتصحيح أفكارها وركائز معتقداتها، الأمر الذي يتطلب قراءة أفكارهم وممارساتهم لاكتشاف عناصر المتعة الحقيقية والتقبل لديهم.

* اعتبار الأدب من العناصر الأساسية التي تعمل في ضوءها ومن خلالها الأجهزة السمعية والمرئية التي تدخل كل البيوت.

* العبرة: ونستطيع ان نستند في فهم حركة التطور التاريخي للانسانية أو سقوط الحضارات إلى الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٧).

(١٧) يوسف: ١١١.

* الاستفادة من عناصر الفهم الأولي في الفنون المتطورة عندنا، كالخط ومراحل تطور حروفه التي بات عددها إلى ما شاء الله. وكذلك الزخرفة وفن العمارة الذي تطورت الهندسة على ضوءه.

هذه مجرد ملاحظات للنقاش والاثارة، وربما يأتي الذي يلغيا من اسادتنا وادبائنا الرساليين ويأتي بالسديد. كما هي دعوة لبلورة النظرية الأدبية والنقدية الاسلامية - خصوصاً ونحن نعيش زمن الصحوة الاسلامية المباركة، وبحبوحة الحرية الفكرية هنا وهناك، نتيجة لبركات هذه الصحوة - لنرسي قواعدنا في هذا المجال الذي هو خطوة واحدة من مسير الخطوات الكادحة بالانسان نحو الأعلى لا إلى اليمين أو اليسار أو الخلف.

قال الأديب علي بن إسماعيل:

بِالْأَدَبِ تُشَخَّصُ الْفُطُنُ

كتاب في

القضاء في الفقه الإسلامي

تعريف

* اعداد

الشيخ حامد القاهري

■ هوية الكتاب:

اسم الكتاب: القضاء في الفقه الاسلامي.

المؤلف: آية الله السيد الحائري.

الناشر: مجمع الفكر الاسلامي.

القطع: وزيري.

عدد الصفحات: ٨١٤ صفحة.

الطبعة: الأولى (جمادى الثانية ١٤١٥ هـ ق).

ورّعت بحوثه على خمسة فصول؛ خُصّص الأول منها للبحث في مسألة وجوب القضاء، والثاني للبحث في شخصية القاضي، والثالث للبحث في طرق الاثبات لدى القاضي، والرابع للبحث في الحكم على الغائب، والخامس للبحث في مدى نفوذ حكم القاضي.

ومما يميز البحث هو دراسة موقف الفقه الوضعي في وسائل الاثبات في القضاء وبيان مدى موضوعيتها، ومن ثمّ مقارنتها مع ما يقوله فقهاء المدرسة



الاسلامية في ذلك. وهذه دراسة حديثة لم تألفها أبحاث القضاء في حوزاتنا العلمية.

واليك عرضاً ملخصاً لأهم الأبحاث والنتائج التي انتهى اليها السيد المؤلف في تلك الفصول.

الفصل الأول:

عُقد لبحث الدليل على وجوب القضاء على مستويين:

الأول: مستوى معرفة جزء من المخطط الاسلامي الشامل في إدارة المجتمع؛ فمن الواضح أن للاسلام علاجه الخاص من ملء كل المنافذ التي من شأنها إرباك النظام، وخلخلة الوضع الأمني، وخلق حالة من الفساد الخلقي والطغيان الاجتماعي، وافتراس إمكانية ملء ذلك بالنظم الجائرة بحسب اسلوبهم الخاص وإن عالج مشكلة اختلال النظام، فإنه لا يتناسب مع النظام الاسلامي في علاجه للمشكلة بأسلوبه الخاص؛ فالاسلام بوصفه نظاماً يدير شتى مناحي الحياة الاجتماعية يشتمل على وجوب القضاء الحقّ حتماً.

والثاني: مستوى وجوب إقامة القضاء العادل - لو أمكن - ولو في ظل نظام جائر، فقد يقال بعدم صحة الاستدلال على وجوب القضاء في هذا المستوى، بمقدمية القضاء لتحصيل ما يقطع بمطلوبيته لدى الشارع المقدس من حفظ النظام الاجتماعي، ما دامت الحكومة الجائرة تتحمل بطريقتها الخاصة مسؤولية ذلك. لكن مع ذلك نقول بوجوب القضاء الحقّ حتى في ظل دولة غاصبة إن أمكن. وذلك:

أولاً: لأجل تحريم التحاكم لدى الطاغوت - ولو عند امكان التحاكم إلى قضاة الحق - والمفهوم عرفاً من هذا التحريم أن التحاكم هذا مفسدة اجتماعية مبعوضة لدى الشارع لا بد للمجتمع من تجنبها تجنباً لا يوجب اختلال النظام، فكما يحرم الترافع إلى قضاة الجور كذلك يجب على المؤهل للتصدي للقضاء الحقّ أن يتقبل رفع التنازع إليه.

وثانياً: لأن دفع الظلم والجور اللذين يمثلان - في كثير من الأحيان - أساس

القضاء لدى الطاغوت واجب على الكفاية، فيجب على القادرين كفاية التصدي للقضاء الحق تحقيقاً لذلك.

الفصل الثاني:

عُقد لدراسة شخصية القاضي، وبدأه السيد المؤلف بمقدمة تم فيها بحث شخصيته ضمن ثلاثة عناوين فرعية، وانتهى البحث بخاتمة.

أما المقدمة فأوضح فيها الفرق بين القاضي المنصوب وقاضي التحكيم؛ بأن الأول ما كان منصوباً بنصب ابتدائي من قبل الإمام المعصوم، والثاني ما لا يكون منصوباً كذلك إلا في طول رفع التحاكم إليه، فهو مخول بالتصدي للقضاء بعد اختيار المتداعيين رفع الدعوى إليه.

وبما أننا نعيش عصر الغيبة الكبرى لا يوجد قاضٍ منصوب بالنصب الخاص، وإنما يكون النصب عاماً لمن توفرت فيه خصائص معينة.

وأما العناوين الثلاثة التي بحث فيها شخصية القاضي؛ فالأول منها في أصل وصول نصب عام إلينا من قبل الإمام للقضاء وفق خصائص معينة، والثاني من الخصائص المشترطة في المنصوب للقضاء، والثالث في جواز تحكيم غير المنصوب لا من قبل الإمام المعصوم ولا من قبل الفقيه - وهو المسمّى بقاضي التحكيم -.

أما البحث الأول فقد استدلل فيه على النصب العام من قبل المعصوم للقضاء بثلاثة نصوص من السنة الطاهرة.

وأما البحث الثاني - ففي الخصائص المشترطة في القاضي المنصوب مباشرة من قبل المعصوم، وهي ما يلي:

الشرط الأول: العلم.

ولا إشكال في أصل اشتراط العلم بالحكم - بقطع النظر عن كونه علماً بالحكم الواقعي أو الظاهري، ونابعاً عن اجتهاد أو عن تقليد - وذلك بضرورة من الفقه، وبآيات النهي عن اتباع غير العلم الدالة على حرمة القضاء بدونه، وبالروايات المتضافرة على اختلاف أسنتها^(١).

(١) الوسائل ١٨، الباب ٤ من

ابواب صفات القاضي، ج ٦،

٨، ١٠، وكذا الباب ٦، ج ٨.

أما اشتراط العلم عن اجتهاد فهو المفهوم عرفاً من مقبولة عمر بن حنظلة ومن التوقيع الشريف.

وبمناسبة مناقشة سندية في بحث اشتراط الأعلمية في القاضي تعرض السيد المؤلف لنظرية التعويض، وهي نظرية يستفاد منها في الموارد التي لا يمكن فيها تصحيح السند بالطرق المألوفة، فيأتي دورها في بيان كيفية تعويض الأسناد غير المعتبرة بالمعتبرة.

وأصل هذه النظرية من تنقيحات أستاذة السيد الشهيد الصدر^(١) بعد أن وردت فيها كلمات من قبل الأصحاب بشكل بدائي وغير منظم، وهي من الأبحاث السندية المهمة ذات التأثير في تصحيح أسانيد جملة من الروايات. من أرادها فليرجع إلى أصل الكتاب^(٢).

(٢) الصفحة ٥٢-٦٥.

الشرط الثاني: البلوغ.

ويمكن التمسك برواية أبي خديجة الوارد فيها «انظروا إلى رجل منكم»^(٣) لإثبات شرطية البلوغ.

(٣) الوسائل ١٨ : ٤ ، الباب ١

من صفات القاضي ، ح ٥ .

الشرط الثالث: العقل.

الشرط الرابع: الرشد.

الشرط الخامس: الاسلام.

ولا حاجة للبحث في هذه الشروط الثلاثة لوضوحها.

الشرط السادس: الذكورة.

ويستدل لاشتراطها برواية أبي خديجة أيضاً، أو بما دلّ على عدم صلاحية المرأة لإمامة الجماعة، أو على كون شهادتها ليست كشهادة الرجل؛ إمّا بدعوى الأولوية، أو بدعوى مانعية هكذا جوّ تشريعي، من انعقاد اطلاق في دليل القضاء للمرأة.

الشرط السابع: طهارة المولد.

واستدلّ له بما دلّ على عدم صلاحيته لإمامة الجماعة وللشهادة، وبدعوى مانعية هكذا جوّ تشريعي عن انعقاد الاطلاق لدليل القضاء بالنسبة لمن فقد هذا الشرط.

الشرط الثامن: الإيمان.

ويدلّ عليه ما في ذيل مقبولة عمر بن حنظلة، ورواية أبي خديجة، وهو قوله: «ينظران من كان منكم...» وقوله: «انظروا إلى رجل منكم...».

الشرط التاسع: أن لا يكون مصداقاً لسلطان الجور وأياديه ولو كان شيعياً، تمسكاً بإطلاق النهي الوارد عن التحاكم إلى الطاغوت الدال على الحرمة التكليفية، وعلى عدم النفوذ بالدلالة الالتزامية.

وبعد هذا الشرط تعرّض المؤلف لذكر شرط (الحرية) و(الكتابة) و(البصر) ونفاها جميعاً تمسكاً بإطلاقات الأدلة اللفظية الماضية في النصب العام للقضاء.

ثم تعرّض للشرط الثالث عشر وهو (الضبط) واكتفى فيه بتوفّر الجامع بينه وبين ما يؤدّي نتيجته كقيام غيره بالضبط له فيما لا يضبطه.

ثم ذكر شرطي (عدم الصمم والخرس) ولم يجد دليلاً عليهما ما لم يضراً بشرط آخر كالضبط وغيره.

الشرط السادس عشر: العدالة. ويقع البحث فيها من جهات ثلاث:

الأولى: في الدليل على اشتراطها.

والثانية: في معناها المقصود في المقام.

والثالثة: في الكاشف عنها.

أما بالنسبة للدليل على اشتراطها، فمنه التعدي من دليل اشتراط العدالة في الشاهدين إلى القاضي بطريق الأولوية، أو بدعوى عدم تمامية الاطلاق لدليل القضاء بالنسبة لغير العادل في جوّ تشريعي لا يرتضي شهادة غير العادل.

أما بالنسبة لمعناها المقصود في المقام فقد رجّح أن يكون المقصود بها هو الملكة لا مجرد ترك الذنوب ولو كان عن رادع لم يبلغ حدّ الملكة، إذ إنّ في صدق العدالة عرفاً من دون وجود الرادع القويّ البالغ حدّ الملكة نظراً، وكذلك في صدق عناوين أخرى كعنوان (الاستقامة) وعنوان (من تثق بدينه وأمانته). وبمناسبة ذكر معنى العدالة خاض السيد المؤلف بحثاً مفصلاً حول اشتراط ترك الصغائر، ومعنى الصغيرة والكبيرة، ومعنى (اللمم) واشتراط

ترك ما ينافي المروءة.

وأما بالنسبة للكاشف عن العدالة فمقتضى القاعدة هو الاقتصار في مقام ثبوتها على العلم أو الاطمئنان أو البينة، بعد البناء على أخذ الملكة فيها وهي أمر وجودي مسبوق بالعدم، فمقتضى الأصل عدمها.

أما بالنسبة إلى الروايات فهي على طوائف؛ فمنها ما دلّ على مقياسية حسن الظاهر، ومنها ما دلّ على كفاية عدم العلم بالفسق، ويمكن الجمع بين الطائفتين، وعلى ذلك يكون حسن الظاهر مقياساً لمعرفة العدالة.

وبعد الانتهاء من شرائط القاضي المنصوب بالنصب العام من قبل المعصومين عليه السلام، تحدّث السيد المؤلف حول القاضي المنصوب من قبل الفقيه بناءً على الإيمان بفكرة ولاية الفقيه - كما هو الصحيح - وهذا بحث مهم جداً لما له من تأثير عملي في عصر غيبة الإمام الحجة (عج) وبالأخص في ظرف قيام الجمهورية الإسلامية بقيادة الولي الفقيه. وقد انتهت في هذا البحث إلى جواز نصب غير المجتهد قاضياً من قبل الولي الفقيه في عصر الغيبة.

البحث الثالث:

في جواز الترافع إلى قاضي التحكيم وهو غير الواجد لشرائط المنصوب من قبل المعصوم عليه السلام، فلا شك في عدم نفوذ قضائه، إلا بإمضاء من قبل الشريعة لتحكيمه من قبل المتحاكمين، لأنّ الولاية لله، فلا تكون لأحد على أحد من دون تنفيذ من قبل الشريعة.

وأما الخاتمة، ففي البحث عمّن له حقّ تعيين القاضي فيما إذا تعدّد القضاة. ويرى سماحة المؤلف أنه بالإمكان أن يوجّه الاستدلال على كون اختيار القاضي بيد المدعي بأخذ نكنتين بعين الاعتبار:

الاولى: أن يقصد هنا بالمدّعي من إذا ترك النزاع ترك، وإن كان منكراً في النزاع بالمعنى الذي يجعل البيئة على خصمه.

الثانية: أن يقال: إنّ المفهوم عرفاً من النصب للقضاء هو إعطاء حقّ جلب الخصم لتحقيق بشأن النزاع لو شكاه أحد، إضافة إلى منصب فصل النزاع.

وعليه سيكون من حق من يرفع المخاصمة أن يختار أي قاضٍ شرعي شاء، وليس للأخر منعه بل تجب عليه الاستجابة للتحقيق ثم الخضوع للحكم.

الفصل الثالث:

في طرق الاثبات لدى القاضي.

ويتضمن هذا الفصل البحث في موضوعين رئيسيين هما: طرق الاثبات في الفقه الوضعي، وطرق الاثبات في الفقه الاسلامي.

وقد نقل السيد المؤلف ضمن الموضوع الأول طرق الاثبات في الفقه الوضعي التي هي عبارة عن أمور ستة: الكتابة، والشهادة، والقرائن، والإقرار، واليمين، والمعاينة، ثم ذكر بعض النصوص من الفقه الوضعي التي تتحدث عن طرق الاثبات لدى القاضي معتبرة للكتابة القوية المطلقة في ذلك، فيجوز أن تكون طريقاً لإثبات الوقائع والتصرفات القانونية دون تمييز، وهي ذات المقام السامي على الشهادة لعدم تطرق عوامل الضعف اليها من جواز الكذب على الشهود وتعرض ذاكرتهم للنسيان، وأما الشهادة فكان لها المقام السامي في وقت لم تكن الكتابة منتشرة فيه، بل كانت الغلبة للأمية ثم أخذت الكتابة تنتشر فعلت على الشهادة.

وقد علق المؤلف على ذلك بأن الكتابة متى ما أورثت القطع واليقين لدى القاضي دخلت في الطريق الأول من طرق الإثبات في الفقه الاسلامي كما سيأتي، ومتى ما لم تورث القطع فلا ينبغي اعتبارها أسمى وأرفع من مقام الشهادة.

وأما في الموضوع الثاني فقد وقع البحث في طرق الاثبات في الفقه الاسلامي التي هي عبارة عن علم القاضي والبيّنة واليمين والإقرار والقرعة. واليك خلاصة البحث فيها تباعاً:

علم القاضي:

وهو أول طريق للاثبات في الفقه الاسلامي، إلا أن المتبني عادة في الفقه

الوضعي هو عدم حجّية علم القاضي، وممّا يُعلّل به لذلك منافاته لحقّ الخصم في مناقشة الأدلّة التي تقدّم في الدعوى، بحيث يكون علم القاضي دليلاً في القضية ويكون للخصم حقّ مناقشته، فيقتضي الأمر عندئذٍ أن ينزّل القاضي منزلة الخصوم فيكون خصماً وحاكماً، وهذا لا يجوز.

إلا أنّ المعنى المرتكز عقلاً من الخصم الذي لا يجوز عقلاً اتّحاده مع القاضي إنّما هو الخصم بمعنى من يكون طرفاً في النزاع، أي من يحكم له أو عليه، وممّا علّل به عدم جواز حكم الحاكم بعلمه في الفقه الوضعي خراب الذمم، وضعف الوازع الديني، وفساد الضمير في كثير من الناس، وطغيان حبّ المادة على النفوس، ممّا جعل علم القاضي الشخصي مكتنفاً بالظنون والريب. لكن في الفقه الاسلامي الشيعي يكون اشتراط العدالة في القاضي سبباً للوثوق بكون علمه كاشفاً أميناً عن الواقع في غالب الأحيان.

وهناك عدّة وجوه تذكر في فقهنّا للاستدلال على حجّية علم القاضي تراجع في الكتاب.

البيّنة:

وهي من طرق الإثبات في الفقه الاسلامي، ولا شكّ في مطالبة المدعي بها على أساس الحديث النبوي الشريف: «البيّنة على من ادّعى واليمين على من ادّعى عليه»^(٤). ولم يخالف في ذلك الفقهاء الوضعيون، فقد نصّت القاعدة الرومانية على أنّ المدّعي هو المكلّف بالإثبات، والقاعدة الإنجليزيّة على أنّ من يدّعي حقّاً أو يدفعه، أي يدّعي التخلّص منه عليه الإثبات^(٥).

والبحث في المقام يقع في عدّة موضوعات هي:

١ - معنى المدّعي الذي عليه للبيّنة في مقابل المنكر.

٢ - شرائط البيّنة.

٣ - البحث عن وجود مورد للاستثناء من قاعدة: (البيّنة على المدّعي واليمين على المنكر).

٤ - قبول البيّنة من المنكر.

(٤) الوسائل ١٨، الباب ٣ من كيفية الحكم، ج ١.

(٥) رسالة الإثبات لأحمد شحات ٧٠ - ٧٦.

٥ - تعارض البيّنات.

وإليك خلاصة البحث في الموضوعات المذكورة.

١ - معنى المدّعي والمنكر:

قد ذكرت عدّة تعاريف للمدّعي، منها أنه الذي يُترك لو ترك الخصومة، وقد نُسب إلى المشهور، وعُرف أيضاً بأنه من خالف قوله الأصل. وذكر السيد المؤلف أن العرف هو المرجع في تشخيص المدعي بعد عدم ورود حقيقة شرعية أو متشرعية لكمتي (المدّعي) و(المنكر)، لكن يقع الكلام في أن أيّ التعاريف يكون مطابقاً لفهم العرف؟ والصحيح تعريفه بأنه من خالف قوله الأصل إن فُسّر الأصل بمعنى الحجّة.

٢ - شرائط البيّنة:

وهي اثنا عشر شرطاً.

الأول: البلوغ، ولا إشكال في عدم نفوذ شهادة الصبي غير المميّز، وإنّما الكلام في نفوذ شهادة المميّز، فقد استدلّ على عدم نفوذ شهادته ببعض الوجوه التي منها قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾^(٦) بتقريب عدم شمول كلمة (الرجل) للصبي. ومنها ما عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ لم تجز شهادة الصبي، ولا خصم، ولا متهم، ولا ظنين»^(٧).

وهناك موارد وقع الكلام في استثنائها من عموم المنع من قبيل قبول شهادة الصبيان فيما بينهم ما لم يتفرّقوا أو يرجعوا إلى أهلهم، وقبول شهادة الصبي في القتل بأخذ أول كلامه.

الثاني: العقل، ولا إشكال في عدم قبول شهادة المجنون، ويلحق به الأبله الذي لا يعتمد على شهادته، وكثير الخطأ والنسيان لانصراف الأدلّة أو للقطع بالحكم.

(٦) البقرة ٢٨٢.

(٧) الوسائل ١٨: ٢٧٥، الباب

٣٠ من الشهادات، ح ٦.

الثالث: الإيمان بمعنى كونه شيعياً اثني عشرياً، أو الإسلام.

أما اشتراط الاسلام فمن ضروريات الفقه، فلا تقبل شهادة الكافر بحق المسلم في غير ما استثنى ولو كان عدلاً في مذهبه وفرض قاصراً في خطئه الاعتقادي. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ (٨).

(٨) البقرة: ١٠٦.

أما اشتراط الإيمان فقد استدلل له بعدة وجوه، إلا أن السيد المؤلف لم يرض شيئاً منها، بل يرى تمامية الإطلاق في الدليل بالنسبة لشهادة غير المؤمن بالمعنى الخاص، وبذلك انتهى إلى القول بكفاية الاسلام.

الرابع: العدالة، وقد استدلل له بالكتاب الكريم تارة، وبالسنة الشريفة أخرى.

أما الكتاب الكريم، فقد ورد فيه شرط العدالة في موارد خاصة كالطلاق كما في قوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ (٩)، والوصية كما في قوله تعالى: ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ (١٠)، والذين كما في قوله تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونوا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء﴾ (١١).

(٩) الطلاق: ٢.

(١٠) المائدة: ١٠٦.

(١١) البقرة: ٢٨٢.

والسيد المؤلف - مدّ ظله - يرى عدم امكان استفادة القاعدة العامة منها، بل اشتراط كون الشهيد مرضياً في آية الدين لا يدل على أكثر من شرط الوثاقة. أما السنة المطهرة فقد ورد في بعض الروايات عنوان العدالة من قبيل رواية بريد بن معاوية التامة سنداً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألت عن القسامة فقال: الحقوق كلّها البيّنة على المدعي واليمين على المدعى عليه إلا في الدم خاصة، فإن رسول الله ﷺ بينما هو بخيبر إذ فقدت الأنصار رجلاً منهم فوجدوه قتيلاً، فقالت الأنصار: إن فلاناً اليهودي قتل صاحبنا، فقال رسول الله ﷺ للطلابيين: أقيموا رجلين عدلين من غيركم أقره برمته» (١٢).

(١٢) الوسائل ١٨: ١٧١، الباب

٣ من كيفية الحكم، ج ٦.

وهناك روايات أخذ فيها بعض العناوين من قبيل (الصلاح) و(الخير) التي يستفاد منها عرفاً معنى العدالة، كما ورد عن محمد بن مسلم قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الذمي والعبد يشهدان على شهادة، ثم يسلم الذمي ويعتق العبد،

أُتْجُوزُ شهادتهما على ما كانا أشهدا عليه؟ قال: نعم، إذا علم منهما بعد ذلك خير جازت شهادتهما» (١٣).

وقد تحصيل من ذلك تمامية بعض الروايات على شرط العدالة.

الخامس: وهو حسب تعبير السيد الخوئي (رحمه الله) أن لا يكون الشاهد مقنن له نصيب فيما يشهد به (١٤).

وحسب تعبير المحقق في الشرائع: ارتفاع التهمة.

أما بالنسبة إلى الشرط بعنوانه الذي ورد في كلام السيد الخوئي (رحمه الله)، فقد بحث السيد المؤلف ذلك عبر تصوير مراتب خمس لرجوع نصيب من المشهود به إلى الشاهد، ووافق على الشرط المذكور في المراتب الأربع الأولى دون الأخيرة على شرح وتوضيح تجدهما في الكتاب.

السادس: الحرية، وقد عرض السيد المؤلف في هذا الشرط طائفتين متعارضتين من الروايات حول شهادة المملوك، وبعد بحث ونقاش في كيفية العلاج انتهى إلى عدم امكان الجمع العرفي في المقام، فتوسل بتطبيق المرجحين الأساسيين في باب التعادل والتراجع وهما موافقة الكتاب ومخالفة العامة، وقال أخيراً بتقديم روايات نفوذ شهادة المملوك على روايات المنع على أساس أن روايات النفوذ توافق اطلاق الكتاب كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (١٥) بخلاف روايات المنع، كما أنها مخالفة للعامة، بخلاف روايات المنع أيضاً فإنها موافقة لكثير من رواياتهم.

السابع: طهارة المولد، ويستدل له بعدة روايات منها ما عن محمد بن مسلم بسند تام قال: «قال أبو عبد الله (عليه السلام): لا تجوز شهادة ولد الزنا» (١٦).

الثامن: عدم التبزّع بالشهادة في حقوق الناس على ما نسب إلى المشهور، بل ادّعي عليه الإجماع. هذا في حال أداء الشهادة، وأما في حال التحمّل، فلا شك في عدم اشتراط ذلك، وقد استثنى البعض فرض ما إذا خبأ عن المشهود نفسه، فنطق المشهود عليه مسترسلاً، إلا أن السيد المؤلف استفاد من الروايات نفوذ شهادة الشاهد سواء تحمّل بطلب منه، أو صدفة بعلمهما أو عدم علمهما. نعم، لو تحمّل بلا طلب لم يجب عليه أداء الشهادة.

(١٣) الوسائل ١٨: ٢٨٥، الباب

٢٩ من الشهادات، ح ١.

(١٤) مبانى تكملة المنهاج ١

٩٠.

(١٥) الطلاق: ٢.

(١٦) الوسائل ١٨: ٢٧٦، الباب

٣١ من الشهادات، ح ٣.

أما معنى التبرع بأداء الشهادة فقد فُسر بتفسيرين:

الأول: بمعنى الشهادة قبل سؤال الحاكم في مجلس الحكومة.

الثاني: بمعنى الشهادة من دون إذن من له الحق كالدّعي المخاطب بالبيّنة. وقد استعرض سيدنا المؤلف عدّة روايات ينتهي منها بعد بحث وتدقيق إلى نفي مدخلة طلب الحاكم في نفوذ الشهادة، وأما موافقة الدّعي فدخيلة في الحكم لا في نفوذ الشهادة، حيث لا دليل على نفوذ حكم الحاكم على أساس البيّنة لصالح الدّعي من دون طلبه، فتصل النوبة إلى يمين المنكر.

التاسع: أن تكون الشهادة عن حسّ. ولا شك في عدم جواز الشهادة بمجرد الاحتمال والظنّ، ووجوب استنادها إلى مدرك مقبول وهو قد يكون الحسّ، كما لو علم بالواقع بإحدى حواسه كالبصر والسمع، وهو القدر المتيقّن من نفوذ الشهادة، أو ما يقرب من الحسّ، كما لو علم بالواقع بوسيط يوجب العلم لكافة الناس كالتواتر، وهذا ملحق بالقسم الأول لشمول الأدلّة اللفظية الدالّة على نفوذ القسم الأول له.

العاشر: الذكورة. وقد قدّم السيد المؤلف في هذا المقام البحث عن القاعدة الأولى في شهادة النساء، وقال بأن الأصل الأولي فيها هو عدم النفوذ إلّا ما خرج بالدليل، والاطلاقات من قبيل «إنما أقضي بينكم بالبيّنات والأيمان» لا دلالة فيها على نفي هذا القيد. كما ناقش في دلالة الروايات التي قد يتوهم فهم الاطلاق منها لنفوذ شهادة النساء.

ثم وجّه البحث إلى الموارد الخاصة التي دلت فيها الروايات على عدم نفوذ شهادة النساء أو نفوذها وهي الموارد التالية:

المورد الأول: الحدود، فقد ورد فيها ما يدلّ على عدم نفوذ شهادة النساء فيها ما عدا الزنا الذي ورد بشأنه وروداً خاصاً ما يدلّ على نفوذ شهادة النساء على تفصيل فيه.

المورد الثاني: ما لا يستطيع الرجل النظر اليه، فقد وردت فيه روايات عديدة تدلّ على نفوذ شهادة النساء فيه.

المورد الثالث: شهادة المرأة في النكاح، وقد قسّم السيد المؤلف الروايات

الواردة فيها إلى خمس طوائف بحثها السيد المؤلف مفصلاً.

المورد الرابع: شهادة النساء في الهلال، وقد دلت روايات عديدة على عدم قبول شهادتهن فيه من قبيل ما عن حماد بن عثمان بسند تام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تقبل شهادة النساء في رؤية الهلال، ولا يقبل في الهلال إلا رجلان عدلان» (١٧).

(١٧) الوسائل ١٨: ٢٦٢، الباب ٢٤ من الشهادات، ح ١٧.

المورد الخامس: شهادة النساء في الطلاق، وقد دلت روايات عديدة على عدم نفوذ شهادتهن فيه.

المورد السادس: شهادة النساء في الوصية، وقد وردت فيها روايات متعارضة انتهى منها السيد المؤلف إلى القول بنفوذ شهادتهن في الوصية في خصوص المال.

المورد السابع: شهادة النساء في الدّين، وقد دلت الآية الكريمة على نفوذ شهادة رجل وامرأتين في الدّين. قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ (١٨).

(١٨) البقرة: ٢٨٢.

المورد الثامن: شهادة النساء في الرضاع، وقد أوضح السيد المؤلف أنّ الروايات الواردة في ذلك لا تفيدنا شيئاً لا نفيّاً ولا اثباتاً. نعم لو أدخلنا ذلك في عنوان ما لا يجوز للرجال النظر اليه جازت شهادتهن فيه بذاك العنوان.

الحادي عشر: حضور الشاهد عند القاضي، وهذا الشرط وإن لم يذكر بعنوانه لدى الأصحاب - رضوان الله عليهم - وإنما المبحوث لديهم هو كفاية شهادة الفرع وعدمها، ولكن قد يستدلّ على الشرط المذكور بأنّ المتيقّن من مثل قوله عليه السلام: «إنما أقضي بينكم بالبيّئات والأيمان» هي البيّنة الحاضرة، ولا إطلاق في مثل ذلك لنفي شرط الحضور، فتجري أصالة عدم النفوذ في البيّنة غير الحاضرة.

والصحيح أنّ احتمال الفرق بين البيّنة الحاضرة وغير الحاضرة على خلاف المرتكز العقلائي ما دامت البيّنة حجة بملك كاشفيتها ولا دخل للحضور فيه، إلا أنّ الفرق بين الحاضرة وغيرها من جهة أنّ الحاضرة تثبت بالحسّ لدى القاضي، وغير الحاضرة بحاجة إلى طريق لاثباتها، فالضعف

ليس في أصل البيّنة بل في الطريق الموصل لها الذي قد لا يكون حجّة لدى القاضي. فشرط الحضور إذن منتفٍ بالإطلاق المقامي لمثل قوله ﷺ: «إنما أقضي بينكم بالبيّنات والأيمان» لما قلنا من أنه على خلاف الارتكاز العقلائي. وعلى ذلك فالذي ينبغي بحثه هو طريق ثبوت البيّنة لدى القاضي، فهل ينحصر طريق اثباتها بالحسّ أو ما يقرب منه فحسب، أو يمكن أن تثبت بخبر الواحد، أو بالعلم الحدسي، أو البيّنة الفرع؟

وينتهي السيد المؤلف إلى عدم ثبوتها بخبر الواحد ولا بالعلم الحدسي غير القريب من الحس، وثبوتها لديه بالبيّنة إذ أن مقتضى القاعدة في حقوق الناس هو الثبوت، إمّا بارتكاز العقلاء المقتضي لحجّة البيّنة في حقوق الناس بتوسيط عدم الردع عنه، أو بدلالة مثل قوله ﷺ: «إنما أقضي بينكم بالبيّنات والأيمان» بتقريب أن المستفاد منه عرفاً أن القضاء في واقعة ما يستعين بما هو بيّنة وحجّة في نفسه بغض النظر عن القضاء في تلك الواقعة. هذا مضافاً إلى النصوص الخاصة التامة سنداً في المقام.

الثاني عشر: وحدة مصبّ الشهادة، فلو شهد أحدهما على سرقة درهم والآخر على سرقة دينار لم تتم البيّنة لأنهما لم يشهدا بشيء واحد إلا أن تكون الخصوصية المختلف فيها غير مقومة للقدر المشترك بين الشهادتين الذي هو محلّ الأثر، فلا يضرّ الخلاف، كما لو شهدا أنه سرق ثوباً بعينه واختلفاً في قيمته السوقية.

وفي ختام هذا البحث تطرّق السيّد المؤلف لموقع البيّنة في الفقه الوضعي وشرائطها، وذكر أسباب النظرة التحفظية تجاه البيّنة في بنوده، ثم أشار إلى ما أخذه من الشرائط فيها التي منها الحلف، والعلم الحسي، وأداؤها شفهاً أمام القاضي مباشرة، والاعتماد على الذاكرة.

وقد أجرى مقارنة بينها وبين ما هو الشرط في البيّنة من وجهة نظر الفقه الاسلامي، وبين من خلالها خواء ما ذهب اليه الفقه الوضعي في ذلك.

٣- هل تجري البيّنة واليمين على عكس القاعدة ؟

وهناك موردان ادّعي استثناؤهما عن القاعدة المعروفة، بمعنى مطالبة المنكر بالبيّنة دون المدّعي:

الأول: مورد القتل، وقد دلّت بعض الروايات على أنّ القتل مستثنى من القاعدة.

الثاني: مورد اتّهام العامل كالغسل والصّبّاغ بالخيانة أو الإتلاف، إذ قد يخطر بالبال بدواً خروجه عن القاعدة بثبوت البيّنة على الغسل أو الصّبّاغ، وهو المنكر في المقام، لما روي عن أبي بصير بسند تامّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألته عن القصّار دفعت إليه ثوباً، فزعم أنه سرق من بين متاعه. قال: فعليه أن يقيم البيّنة أنه سرق من بين متاعه. وليس عليه شيء، فإن سرق متاعه كلّ، فليس عليه شيء»^(١٩)، بتقريب أنّ العامل هنا منكر باعتباره أميناً غير ضامن للتلّف إلّا عن تفريط، ومع ذلك دلّت الرواية على أنّ عليه البيّنة.

(١٩) الوسائل ١٢: ٢٧٢، الباب ٢٩ من أحكام الإجارة، ح ٥.

٤- مدى نفوذ بيّنة المنكر:

لأجل معرفة مدى نفوذ بيّنة المنكر طرح السيد المؤلّف ثلاثة احتمالات بدوية في تفسير قوله عليه السلام: «البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعي عليه»، واختار منها احتمال أنّ بيّنة المنكر ليست ساقطة عن الاعتبار نهائياً وإنما هي حجة حجّة ذاتية، أي بالحجّة الثابتة قبل القضاء.

فلو لم تكن للمدّعي بيّنة وقدم المنكر البيّنة لم تُغنِ البيّنة عن اليمين إذا لم يثبت لها حجّة قضائية، وقد دلّت الرواية على أنّ المنكر عليه اليمين. ولو كانا معاً يمتلكان البيّنة فتعارض البيّنتان في مرحلة الحجّة الذاتية وتساقتان، وينتهي الأمر إلى يمين المنكر لسقوط بيّنة المدّعي عن الحجّة القضائية أيضاً. هذا كلّ على وفق قاعدة البيّنة على المدّعي واليمين على المنكر.

أما الروايات الخاصة في المقام فتوجد روايتان دالتان على مقالة المشهور في ذلك من رفض بيّنة المنكر وأنّ عليه اليمين فحسب، إلّا أنّهما ساقطتان سنداً.

٥- تعارض البيئتين:

ويقع البحث هنا في موضوعين:

الموضوع الأول: تعارض بيئتي المتداعيين، والروايات في هذا الفرض على طوائف: منها ما دلّ على التحالف، ومنها ما دلّ على استخلاف الأكثر بيئته، ومنها ما دلّ على تقسيم المال المتداعي عليه، ومنها^(٢٠) ما دلّ على القرعة لتعيين من عليه الحلف أو لتعيين من له الحق، ومنها^(٢١) ما فصل بين ما لو كان المال بيدهما فالتقسيم، أو لم يكن بيد واحد منهما فالقرعة.

(٢٠) راجع في ذلك كله الوسائل ١٨، الباب ١٢ من كيفية الحكم.

(٢١) مستدرک الوسائل ٣، ١٩٩، الباب ١٠ من كيفية الحكم، ج ١.

أما مقتضى القواعد لدى تعارض البيئتين في باب التداعي، فهنا تصويران لحقيقة التداعي في مثل توارد اليمين على مال واحد يختلف حكم مقتضى القواعد فيه باختلافهما، والمختار منهما لدى السيد المؤلف هو أنَّ كلاً منهما مدّع في نصف المال ومنكر في النصف الآخر وليس تداعياً في كل المال. ثم استخلص فروعاً ثلاثة:

الفرع الأول: ما لو كانت لهما اليد على المال فمقتضى القاعدة فيه التحالف فلو حلفا أو نکلا قسّم المال بينهما، ولو نكل أحدهما اختصّ به الحالف.

الفرع الثاني: ما لو كان المال خارجاً عن أيديهما، فمقتضى القاعدة فيه التحالف، فلو حلفا قسّم بينهما، ولو حلف أحدهما اختصّ به، ولو نکلا فالقرعة.

الفرع الثالث: ما لو كان مصب الدعوى غير المال كالزوجية، فلو حلفا معاً أو نکلا فالقرعة، ولو حلف أحدهما كان الحقّ له.

أما بلحاظ الروايات التي أشرنا إليها فقد انتهى السيد المؤلف إلى نتائج عرض لها تفصيلاً.

وفي ختام البحث تعرّض سيدنا المؤلف - مدّله - إلى موقف الفقه الوضعي من تعارض البيئتين مقارنةً بإياه بموقف الفقه الإسلامي.

اليمين:

وهو من طرق الإثبات في الفقه الإسلامي ويقع البحث فيه في عدّة محاور: المحور الأول: في كيفية دوران اليمين بين المدعي والمنكر، فلا شكّ

-بضرورة من الفقه - أن دور اليمين يأتي بعد فرض عدم إقامة المدعي بيّنة، وكذا يتوجّه اليمين ابتداءً إلى المنكر، كما هو مفاد رواية: «البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر»... إلّا أنّ الكلام في توقّف توجيه الحاكم لليمين إلى المنكر على طلب المدعي وعدمه.

وينتهي السيد المؤلف إلى أن المقياس في التحليف هو طلب من كان محروماً من الحق المتنازع فيه سواء كان مدّعياً أو منكراً. ولعلّ المجمعين على اشتراط الحلف بطلب المدعي كان نظرهم إلى ما هو الغالب من سيطرة المنكر على الحق.

أما متى يسقط الحلف حقّ المدعي في الدعوى وإقامة البيّنة والتقص فيه احتمالات، أوجهها أن يقال: إنه يسقط قبل حكم الحاكم تمسكاً باطلاق الروايات، إلّا أنه مشروط بكون اليمين بلحاظ قانون المحكمة، لانصراف الأخبار الواردة في مثل اليمين والبيّنة إلى باب القضاء، فلو حلف المنكر بتوافق مع المدعي لا عن طريق القضاء لما كان معتدّاً به.

أما لو ردّ اليمين على المدعي فلا إشكال في القضاء له لو حلف، أمّا لو نكل فالحقّ للمنكر، وتدلّ على ذلك الروايات من قبيل ما عن محمد بن مسلم بسند تام عن أحدهما عليه السلام في الرجل يدّعي ولا بيّنة له قال: «يستحلفه، فإن ردّ اليمين على صاحب الحقّ فلم يحلف فلا حقّ له» (٢٢).

أما لو لم يحلف ولم يرّد اليمين إلى المدعي ففيه قولان، أقواهما عدم كفاية النكول للحكم عليه، بل لا بدّ من ردّ الحاكم اليمين بطلب من هو محروم فعلاً من الحقّ المتنازع فيه.

المحور الثاني: في كيفية الإحلاف، فإنه لا خلاف - في الجملة - في أنّ التحليف في باب القضاء يجب أن يكون تحليفاً باللّه تعالى، ويستدلّ على ذلك بأمرين:

الأول: برواية سليمان بن خالد التامة سنداً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «في كتاب عليّ أنّ نبياً من الأنبياء شكّا إلى ربّه فقال: كيف أقضي فيما لم أر ولم أشهد؟ قال: فأوحى الله اليه: احكم بينهم بكتابي وأضفهم إلى اسمي فحلّتهم به، وقال: هذا لمن لم

تقم له بيّنة» (٢٣).

(٢٣) الوسائل ١٨: ١٦٧، الباب

١ من كيفية الحكم، ج ١.

والثاني: أصالة عدم نفوذ الحلف بغير الله عند الشك.

ولا شك في أنّ الحلف غير قابل للتوكيل، لأنّ ما دلّت عليه الأدلّة هو تحليف المنكر مثلاً، وحلف وكيله لا ينسب اليه كما ينسب اليه مثل البيع لو وقع من وكيله.

ولا إشكال - في الجملة - في كون متعلّق الحلف هو الأمر المتنازع فيه، فالمنكر مثلاً يحلف على نفيه أو نفي العلم به، ولو علم أنه ورى في حلفه لم يعتدّ به، حيث إنّ المفهوم عرفاً من أدلّة تحليف المنكر - مثلاً - هو تحليفه على نفس القضية المتنازع فيها كما هو واضح.

المحور الثالث: في موارد كفاية الشاهد الواحد مع اليمين، وهي خصوص الأموال من حقوق الناس، كما ذهب إلى ذلك المشهور وأدّعي عليه الإجماع دون حقوق الله التي لم يرد فيها دليل على ذلك، بل ورد ما يدلّ على المنع، وليس هو مطلق حقوق الناس كما هو مذهب السيد الخوئي رحمته الله.

وفي ختام البحث عن اليمين أعطى السيد المؤلف لمحة مختصرة عن اليمين في الفقه الوضعي وتقسيمها إلى اليمين الحاسمة، واليمين المتمّمة، ووجود أقسام أخرى إلى جانب اليمين المتمّمة الأصليّة، هي يمين الاستيثاق، ويمين الاستظهار، ويمين التقويم، وأشار إلى موقف الفقه الاسلامي تجاه كلّ مفردة من مفردات اليمين هذه.

الإقرار:

ولا إشكال فقهياً في نفوذ الإقرار في باب القضاء من أيّ واحد من الطرفين، سواء على مستوى نفوذه ما دام مقراً بمعنى إرغامه على العمل وفق إقراره لو أراد العمل خلافه، أو على مستوى نفوذه حتى بعد الإنكار، بمعنى القضاء وفق إقراره السابق وعدم قبول إنكاره لما أقرّ به.

أما دائرة نفوذ الإقرار فإنه لا ينبغي الإشكال في استقرار الارتكاز

العقلاني على نفوذ الإقرار مطلقاً، وكذا الارتكاز المتشعري، إلا بقدر ما ورد في بعض الموارد من الردع عنه كبعض الحدود التي لا يكفي فيها الإقرار إلا أربع مرّات.

وكسقوط حكم القتل عند رجوعه عمّا أقرّ به في بعض الحدود، وكموضوع السرقة حيث ورد فيه ما دلّ على عدم كفاية الإقرار الواحد لقطع اليد، وهذا لا يضر بنفوذ الإقرار مطلقاً في باب القضاء.

وفي ختام البحث عن الإقرار تعرض سيدنا المؤلف لبعض ما يقوله فقهاء المدرسة الوضعية عن الإقرار، وتقسيمهم له إلى الإقرار البسيط والموصوف والمركب وآثار كل منها، ثم ناقشها على ضوء المرتكزات العقلانية وبيّن رأي الفقه الاسلامي في بعض ذلك.

القرعة:

وهي من طرق الإثبات في الفقه الاسلامي، ويستعملها القاضي لتعيين من له الحق في موردين:

١ - التداعي على المال ولم تكن لأحد المتداعيين بيّنة، أو كانت لهما معاً البيّنة المتساوية في العدد ونكلا عن الحلف.

٢ - التنازع في مثل الولد نتيجةً لجهلها بالواقع. وتستعمل لتعيين من عليه الحلف كما لو تداعيا على غير المال كالزوجة مع تساوي البيّنتين، أو بدون بيّنة.

ثم إنّ الظاهر كون حجّية القرعة حجّية قضائية في مورد له تعيين في الواقع، والمقصود بالحجّية القضائية أنّ القاضي هو الذي يستفيد منها في مرحلة قضائه كما يستفيد من البيّنة واليمين، وليست حجّية ذاتية بمعنى أن أحد المتنازعين يمكنه إرغام صاحبه عليها من دون تحاكم، للإشكال سنداً ودلالة في بعض الإطلاقات التي قد يتمسك بها لذلك. وأما اشتراط التعيّن في الواقع فلظهور الأدلّة في ذلك.

الفصل الرابع:

في الحكم على الغائب.

ويقع البحث في هذا الفصل في ثلاثة موضوعات هي:

الموضوع الأول: نفوذ الحكم على الغائب:

ويستدل على نفوذ الحكم على الغائب بالبيّنة بإطلاق دليلها مضافاً إلى ما ورد - بسند تام - عن جميل بن دراج عن جماعة من أصحابنا عنهما عليه السلام قالوا: «الغائب يُقضى عليه إذا قامت عليه البيّنة، ويباع ماله ويقضى عنه دينه وهو غائب، ويكون الغائب على حجّته إذا قدم. قال: ولا يُدفع المال إلى الذي أقام البيّنة إلا بكفلاء» (٢٤).

(٢٤) الوسائل ١٨: ٢١٦، الباب

٢٦ من كيفية الحكم، ج ١.

الموضوع الثاني: أقسام الحكم على الغائب

أما الحكم بالبيّنة فلا إشكال في جوازه كما مضى، وأما الحكم عليه باليمين؛ فاليمين تارة تكون وظيفة الحاضر، وأخرى وظيفة الغائب. مثال الأول: ما إذا ثبت دين للحاضر على الغائب، إلا أن الغائب يعتقد أنه قد أدّاه سابقاً والحاضر ينكره. وبما أن التحليف حق المحروم من الحق - وهنا هو المنكر الحاضر - جاز تحليفه بغياب المدعي.

ومثال الثاني: ما لو ادّعى الحاضر على الغائب ديناً ولا بيّنة له، فلا يعدّ غيابه نكولاً عن اليمين حتى يحلف المدعي، إلا إذا فرض غيابه فراراً عن الحلف وعندئذ فإن لم يشمله دليل حكم النكول باطلاق لفظي فلا أقل من تعدّي العرف من مورد حضور الناكل إلى مورد غيابه لعدم احتمال الفرق. ولا مجال هنا لدعوى كون الغائب على حجّته.

وأما الحكم بالقرعة، فالبحث فيه على عدّة فروع:

منها: ما لو كان هناك تداعٍ على المال ووصلت النوبة - على فرض حضورهما - إلى القرعة إلا أن أحدهما غائب، فلا مورد للحكم بالقرعة لأنها تكون بعد نكولهما عن الحلف، إلا إذا كان غيابه فراراً عن الحلف فصدق عليه

النكول، فيؤخذ عندئذٍ بدليل القرعة.

الموضوع الثالث: أقسام الغائب:

الغائب تارة لا يمكن إحضاره بسهولة وفي وقت يتسامح فيه عرفاً، وهذا هو القدر المتيقن من مورد الحكم على الغائب. وأخرى يفرض إمكان إحضاره، فسواء فرض أن حضور الغائب مؤثر في تغيير موازين القضاء بأن تكون معه حجة كنيته مثلاً، أو فرض علم القاضي بعدم امتلاك الغائب حجة لو حضر، فلا إشكال في وجوب إخباره وطلب حضوره لانصراف أدلة القضاء عقلاً عن كلا الفرضين.

الفصل الخامس:

في مدى نفوذ حكم القاضي:

لا إشكال في نفوذ حكم القاضي بشأن من حكم عليه وبشأن الشخص الثالث ما لم يعلم بخطئه ولم يكن هناك مقياس آخر للقضاء يختلف عن مقياسه، ويكفي دليلاً عليه الارتكاز العقلائي والمتشعري على كون القضاء إنما جعل لفصل الخصومة وشرع للتنفيذ، وإنما ينشأ الإشكال في نفوذه من أحد مناشئ ثلاثة:

المنشأ الأول: فرض الخطأ في المحكوم به كما لو علم المنكر كذب المدعي الذي حكم القاضي له على أساس بيئته، وكما لو قضى لصالح المنكر وفق يمينه لكون المدعي لا بيته له وقد علم المدعي أنها يمين فاجرة، فلا إشكال في نفوذ الحكم على المحكوم عليه لوجهين:

الأول: الارتكاز العقلائي والمتشعري على أن القضاء إنما شرع لفصل النزاع.

الثاني: مقبولة عمر بن حنظلة الوارد فيها: «إذا حكم بحكمنا فلم يقبل، فإنما استخف بحكم الله، وعلينا رد، والراء علينا الراذ على الله...».

وأما بالنسبة للمحكوم له، فمن الواضح أنه لو علم بخطأ الحكم كان عليه رد.

الحق إلى أهله، لأن حكم الحاكم لا يغير من الواقع، ولقوله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَطَعْتَ لَهُ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْئًا، فَإِنَّمَا قَطَعْتَ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ».

المنشأ الثاني: فرض تبدل المقاييس كما لو حكم القاضي على أساس يمين المنكر ثم ترفعوا اليه بعد أن حصل المدعي على بيّنة، أو حكم على أساس نكول المنكر ثم استعدّ بعد الحكم للحلف.

والصحيح أنه لا عبرة بهذه التبدلات التي تحصل بعد الحكم لمقبولة عمر ابن حنظلة الماضية، وللارتكاز القائم على أن القضاء لفصل الخصومات. إلا أن السيد المؤلف استثنى من ذلك موردين:

الأول: ما لو أقرّ المحكوم له بعد الحكم بأن الحق كان مع خصمه، فينقض الحكم الأول ويحكم للثاني لعدم شموله للارتكاز المشار اليه، ولا لمقبولة ابن حنظلة.

الثاني: موارد قاعدة (الغائب على حجّته)، فإضافة إلى وجود النص الخاص عليها ليست مشمولة للارتكاز المشار اليه، بل القاعدة مقبولة لدى العقلاء.

المنشأ الثالث: فرض الخطأ في المقاييس، وهو على ثلاثة أقسام:

الأول: الخطأ في التطبيق كأن يثبت فسق البيّنة التي حكم وفقها، فلا ينبغي الإشكال في عدم دلالة مقبولة ابن حنظلة على حرمة نقضه لو ثبت ذلك لدى نفس القاضي، أو لدى قاض آخر، لأن موضوع حرمة النقض أن يحكم بحكمهم، وما حكم به أولاً ليس كذلك لأنه لم يكن وفق البيّنة العادلة. وكذا لا إشكال من جهة الارتكاز لأنه قائم على نفوذ القضاء المشروع.

الثاني: الخطأ في الكبرى، كما لو اعتقد القاضي خطأ أن البيّنة على المنكر واليمين على المدعي، فحكم على هذا الأساس، ولا إشكال في عدم نفوذه إذ لا مورد للارتكاز، كما لا يمكن تطبيق المقبولة على المقام كما هو واضح.

الثالث: الاختلاف في الاجتهاد؛ كما لو كان القاضي يرى كفاية النكول من المنكر للقضاء ضده، بينما يرى القاضي الآخر لزوم إرجاع اليمين على المدعي.

وهنا وإن لم يكن التمسك بالمقبولة لكون ما حكم به القاضي الأول غير

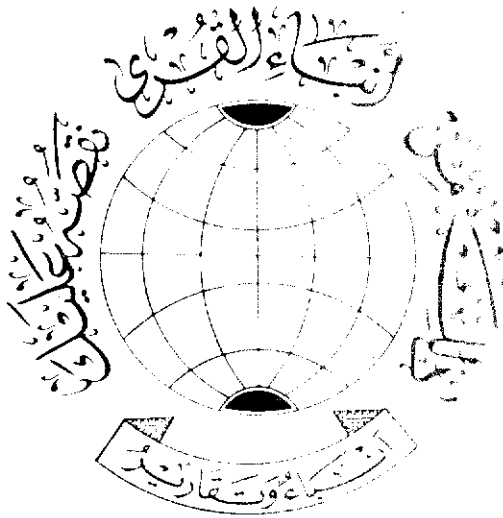
مسلم أنه من حكمهم، لكن لا يبعد القول بنفوذه على أساس الارتكاز العقلائي ما دام القاضي الأول واجداً لشرائط منصب القضاء في الشريعة، واجتهاده مقبولاً في الإطار العام للشريعة. وعليه نقول بعدم صحة الاستئناف في المقام، وعدم جواز نقض الحكم فيه.

وبهذا ينتهي السيد المؤلف من آخر النتائج التي انتهى إليها في أبحاثه في فقه القضاء.

قال أمير المؤمنين (ع) :

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ
الْقَضَاءُ عَلَى الشَّقِيَّةِ الْبَهِيمَةِ

٢٢ : ١٩



من انباء القرى

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير.

■ لبنان

الحرية المضمخة بالدم

عندما تفتح الصدور أمام الرصاص وتستتهزئ الأرواح بقنابل الموت وعناقيد الغضب، وتصفق الأكف وهي تتطاير مع الشظايا وتردد مع غصون الزيتون أناشيد الثورة، يقف العدو مذهولاً على قمة غروره، وهو يرى من حوله الطوفان المحمدي إن لا عاصم من أمر الله.

كتائب حزب الله في لبنان سجلت في تاريخ الجهاد صفحتها المشرقة وهي

تقف بوجه أعنى طواغيت العالم وأشدّهم حقداً وعداوةً للمسلمين؛ فلم تمنعهم المجازر الارهابية التي يقوم بها العدو الصهيوني بين أونة وأخرى من أن يؤدّوا واجبهم تجاه دينهم وشعبهم، بل زادهم ذلك اصراراً على مواصلة المسيرة الجهادية والتصدي للعدوان الصهيوني بكل أساليب المواجهة لردع المعتدين وإبلاغهم بأن الموت الذي يهددونهم به لا يروونه إلا خيراً وانتقالاً من عالم ضيق إلى عالم رحب وعدهم الله فيه بعيش رغيد.

تعالى، ولهذا كانت مواقف حزب الله متشددة إزاء هذه الجريمة النكراء، وأصرّوا على الردّ ومواجهة العدو الصهيوني حتى يتمّ إخراجهم من الأراضي اللبنانية، أمّا الهدنة أو وقف إطلاق النار الذي أعقب مجزرة «قانا» فقد وافق عليه حزب الله من أجل الحفاظ على أرواح الشعب الأعزل، حيث كان الطيران الصهيوني يصبّ جام غضبه على رؤوس الشيوخ والنساء والأطفال معبراً عن عجزه في مواجهة مجاهدي حزب الله في سوح النزال.

مجزرة قانا هذه كانت إحدى نتائج الهزيمة الاستسلامية التي سعى لها العرب في مؤتمر «شرم الشيخ» الذي عبر عن مدى التدهور الذي وصلت إليه القومية العربية التي دعت لها أحزاب علمانية عدّة، حيث لم تخرج بنتيجة أفضل من مسيرة الاستسلام هذه؛ والعجيب في ذلك أنّهم يطلقون مصطلح (الارهابي) على المسلم الذي يطالب بحقه ويصدّ العدو عن داره، في حين يعتبرون اليهودي الغاصب صاحب حقّ، ولا بدّ من الاعتراف به، بل لا بدّ من اعلان (السلام) معه؛ وهذا ما يدعوا حزب الله وغيره من أحرار العالم إلى اليقظة

تبدو الساحة اللبنانية أكثر انفراجاً للتعبير عن الرأي نتيجة للظروف السياسية التي مرّ بها الشعب اللبناني، ممّا ساعد على انبثاق حركات تحرر ومنظمات وأحزاب اسلامية وغيرها تدعو إلى ردع الاعتداء الصهيوني وإعادة السيادة لكل الأراضي اللبنانية؛ ومن هذه الحركات (حزب الله) اللبناني، الذي اتخذ سياسة إسلامية بحته، وراح يجاهد من أجل اعلاء كلمة لا اله إلا الله في هذا القطر الاسلامي، واستقرّ في الجنوب اللبناني ليواجه مباشرة العدو الغاصب ويعزّز المقاومة الاسلامية.

العدو الصهيوني راح يكيد المكائد ويدبّر الخطط للقضاء على هذا الخط الأصيل، وكانت مجزرة «قانا» وما سبقها أو لحقها من أحداث خير شاهد على ما نقول.

الموقف العربي بل الاسلامي تميّز بالسكوت أو الإدانات الهادئة الشبيهة بالعتاب الأخوي، باستثناء الجمهورية الاسلامية في ايران وسوريا وبعض الدول التي لا تتجاوز عدد أصابع اليد، لكن هذا الموقف لم يتّبط من عزيمة حزب الله في لبنان، بل جعلهم أصلب عوداً وحفّزهم للاعتماد على أنفسهم بعد الله

والحذر. وأتباع الوسائل المناسبة لدفع الأعداء من أجل الخلاص والانتعاق.

كانت هناك ردود فعل اسلامية ومواقف استنكارية حيال القصف الصهيوني للجنوب اللبناني من قبل المؤسسات العلمية والشعبية والمنظمات والحركات الاسلامية وبعض الدول كان أبرزها وأجلاها موقف الجمهورية الاسلامية في ايران، وكانت المساعدات التي قُدمت والمسيرات الاحتجاجية ومجالس الفاتحة وغيرها خير دليل على ذلك، وقد اخترنا ما جاء في رسالة سماحة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظلّه) إلى الأمين العام لحزب الله في لبنان، وإليك نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، حضرة العالم المجاهد حجة الاسلام السيد حسن نصر الله - دام بقاءه وعزّه - السلام عليكم بما صبرتم.

إن الأحداث الدامية التي شهدتها لبنان خلال الأيام الأخيرة ونفذتها الأيدي الأثمة للصهيانية الغاصبيين ومناصري الدماء بدعم صريح من قبل الحكومة الأميركية المستكبرة والطاغية أثارت حزني العميق والشديد وحزن

جميع أبناء الشعب الايراني ومسؤولي الحكومة الاسلامية.

إن هذه الفاجعة الكبرى التي راح ضحيتها الأطفال والنساء والرجال المدنيون أثبتت مدى دموية ووحشية الكيان الغاصب لفلسطين واعتدائه على أرواح وأموال واستقلال الشعوب وانتهاكه لكافة الأسس والمبادئ الأخلاقية والدولية واستغلاله لصمت ومهادنة بعض الحكومات العربية حتى تواصل عدوانها ضد الأراضي العربية والاسلامية.

لقد أثبت لبنان حكومة وشعباً شجاعته وشهامته في هذا الامتحان الكبير، ولم يستسلم للعدو الخبيث الجائر.

إن هذا الموقف يستحق الإشادة بحدّ ذاته، كما أن مقاتلي حزب الله المضّحين سطوراً الملاحم في هذه الحادثة الكبرى، وكانوا كما عهدناهم جنوداً أوفياء ومدافعين عن الأرض والشعب اللبناني، وقد أرضوا الله سبحانه عنهم.

أعزائي، إن شرف الدنيا والآخرة في صمودكم بوجه المعتدين على الأرواح والأموال والدين والاستقلال، وتوجيه ضربات القاصمة إليهم حتى يندموا

العقدة تحتاج إلى عقل مدبر يمكنه النهوض بالمجتمع إلى حالة أفضل، من أجل تحسين أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية؛ لأن هذه الأمور تعتبر عصب الحياة لكل مجتمع، وتركيا تمر اليوم بمخاضات عسيرة ليس من السهل الخروج منها، ما لم تتكاتف الجهود المخلصة فتستحق عندئذ أن تتدخل اليد الغيبية لحسم المسألة وكسب النصر لصالح المستضعفين الذين آت لهم أن يتصدوا لقيادة المجتمع.

تصدر حزب الرفاه الاسلامي بزعامة السيد نجم الدين أربكان قائمة الاحزاب التي فازت في انتخابات كانون الاول ١٩٩٥م، التي اسفرت عن توزيع القوى السياسية بطريقة تجعل تكوين حكومة ائتلافية من اعسر المهام، نظراً لاختلاف المصالح والاهواء وتخوف الاحزاب من التوجهات الاسلامية لحزب الرفاه.

واظهرت هذه الاحزاب رغبتها في عرقلة مساعي السيد أربكان الرامية إلى تكوين حكومة ائتلافية، ونادت بضرورة اجتماع العلمانيين على قواسم مشتركة وتكوين ائتلاف بعيداً عن حزب الرفاه

على عدوانهم.

إن ادنى تراجع أمام الصهاينة يجعلهم أكثر وحشية وصلافة، وهذه حصيلة تجربة خمسين عاماً مرّ بها الشعب الفلسطيني.

اتكلوا على الله واستعينوا به واصبروا على الشدائد حتى ينزل الله النصر المؤزر والمشرّف عليكم.

إنكم تقفون اليوم في خط الدفاع الأول عن الاراضي الاسلامية بوجه المعتدين. ينبغي على مسلمي العالم، وجميع الحكومات أن تدافع عن لبنان، وتقدم دعمها للمدافعين عن شعبه.

أدعو الله جل وعلا أن يرشد الحكومات والشعوب المسلمة إلى واجبها الكبير، كما اتضرع بالدعاء لكم ولمقاتلي حزب الله الأبطال والشعب اللبناني بالصبر والنصر المؤزر، وأدعو لشهداء هذه الأحداث بعلو الدرجات، ولذويهم بالصبر والأجر الجزيل.

والسلام عليكم وعلى جميع عباد الله

الصالحين.

✽ تركيا

الاسلام يتجدد

حينما تستفحل الأزمة وتستعصي

الاسلامي.

بعد أن أخفق الائتلاف بين حزب الوطن الأم برئاسة مسعود يلماز وحزب الطريق القويم برئاسة تانسو تشيللر، يأتي دور حزب الرفاه الاسلامي ليؤدي دوره المرجو منه، ولكن عليه أن يتعامل مع الأحداث والعلاقات السياسية التركية القديمة بحذر، بسبب العقوبات الداخلية مثل المشكلة الكردية التي باتت معقدة لأن الخيار السياسي فشل في احتوائها، مما يجعل خيار حزب الرفاه الاسلامي صعباً جداً في حلها نظراً لصعوبة الظروف في الوقت الحاضر خاصة.

وكذلك الاحزاب والتيارات العلمانية مما سيفرض على حزب الرفاه الاسلامي صيغة علمانية الدولة.

اما المشكلة الاقتصادية فهي من اهم المشاكل الخائفة التي تعصف بتركيا منذ حرب الخليج الفارسي الثانية، وقد باتت تشغل بال المجتمع التركي عامة والحكومات خاصة.

اما على الصعيد الخارجي فإن لتركيا خلافات مع دول الجوار، ومنها خلافها مع اليونان في السيادة في بحر ايجه، ومع قبرص بسبب دعم الاتراك في تلك الجزيرة، ومع سوريا والعراق في

قضية تقسيم المياه.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن لتركيا ارتباطاً بقيود دولية منها حلف شمال الاطلسي، كما أن لها مع الدول الأوروبية علاقات اقتصادية وثقافية، واخيراً كانت معاهدة التعاون العسكري مع الكيان الصهيوني.

كما أن الوضع في تركيا معقد جداً بسبب عدم وجود قوة سياسية قادرة بمفردها على قيادة هذا البلد مضافاً إلى أن التناقضات الفكرية بين الاحزاب تفرض حالة من الصراع الدائم والمستمر، الذي يؤدي إلى إضعاف تركيا مما يجعلها تخضع لقوى القهر الداخلية والخارجية. لذا فإن حجم النجاح السياسي للرفاه يعتمد أساسياً على السياسة التي يتبعها السيد اربكان، والتي ستفرع من رصيد حزب الرفاه الاسلامي داخل المجتمع التركي أولاً، وتجعل الوضع السياسي أكثر استقراراً ثانياً، وتكون النتيجة هي كسب الاحزاب العلمانية والحركات السياسية، وكذلك قيادة الجيش من قبل حزب الرفاه مستقبلاً، مما سيساعد على أن يتأهل هذا الحزب لإحداث تغييرات مهمة في المجتمع التركي؛ الأمر الذي يدعوه إلى

الفاصلين، وقضية أن أصحاب المصالح من الرؤساء العرب رمّوا بأنفسهم في أحضان الاستكبار، وهرعوا في ركب الذلّ والخيانة لعقد اتفاقيات سرّية وعلنية داعين اصحاب الحقّ المغتصب إلى «السلام» مع الصهاينة، دون أن يردعهم واعز من ضمير أو خوف من عاقبة. وأشار إلى سياسة التطبيع المفروضة على الشعوب الاسلامية العربية قائلًا: «أعرف أن الشعوب العربية ضد ما يجري، فلماذا تُكره على سياسات لا ترضى عنها؟ من الكاسب من وراء هذه السياسات؟ الواقع أن الكاسب والرابع الوحيد من وراء هذه السياسات هو اسرائيل. نحن الخاسرون على كل صعيد ... ربّما كانت هناك مكاسب لبعض المنتفعين من الناس الذين يريدون أن يثّروا من الحرام وأن يتاجروا مع اسرائيل ويستعجلوا رفع المقاطعة، لكن الشعوب العربية المسلمة يجب أن ترفض التطبيع مع اسرائيل وتبقى المقاطعة. يجب أن تقاطع بضائع اسرائيل وطائراتها والذهاب اليها. على كل أبّي عنده أنف حمي وقلب فتّي وشعور قوي أن يرفض هذا الاستسلام والتطبيع».

التحرك بروية وتأنٍ لترتيب الشؤون التركية بكافة مستوياتها وفق النظرية الاسلامية، وتجذب أسلمة النظريات العلمانية بلا عرض على القرآن الكريم والسنة المطهرة، أو ملاحظة لما يتفق منها معهما.

وهذا ما نتمناه لتركيا أن ترفل بظل حكم اسلامي يعيد لها عزتها وكرامتها، ويرجعها إلى الصف الاسلامي الذي شدّت عنه قرابة قرن من الزمن.

■ قطر

تأبين شهداء لبنان

أمّ جموع المصلين في دولة قطر الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي أحد علماء الأزهر في مصر، بعد زيارة له لهذه الدولة، حيث ائتمّ به جمع غفير لأداء صلاة الغائب على أرواح الشهداء اللبنانيين إثر المذابح الاسرائيلية في الاعتداء الأخير الذي كان ابرزه مجزرة (قانا)، وذلك بعد صلاة الجمعة التي طرّق في خطبتها إلى الاعتداء الصهيوني على بلاد المسلمين، وركّز على قضية أبناء فلسطين ولبنان وما يعانيه أبناء هذين البلدين المسلمين من اضطهاد وقتل على أيدي الصهاينة

وأغطية يراد بها ذر الرماد في العيون حتى لا ترى أن المقصود هو محاربة الاسلام».

ثم بيّن أساليب الغرب في محاربة المسلمين واستفادته من الحكام الظلمة واستخدامهم آلات قمعية ضد الثائرين قائلاً: «الغرب يعمل الآن على محاربة الاسلام بكل سلاح، وفي كل منطقة، وبواسطة حكام المسلمين أنفسهم. أوقعوا ما بين الحكام والشعوب. أرهبوا الحكام وخوفوهم، وقالوا لهم: إن هؤلاء الاصوليين يريدون أن يقتلعوكم من جذوركم. حافظوا على كراسيكم، وحافظوا على ممتلكاتكم بأن تتغذوا بهؤلاء قبل أن يتعشّوا بكم».

ثم أشار إلى عمليات الاستدراج التي يتبعها الاستكبار من اجل قتل المسلمين واحداً تلو آخر، وأكد أن الاسلام هو المستهدف الحقيقي، وأن الحرب قد بدأت على الاسلاميين في كل مكان، حتى الذين ينكرون العنف يحاربون ويحاكمون محاكمات غير عادلة ويقدمون للسجون والمعتقلات.

ثم أكد أن الموقف الذي ينبغي أن يتخذه المسلمون هو موقف المقاومة والتصدي ورفض الذل والهوان قائلاً:

وفي جانب آخر من خطبته حرّض ابناء الاسلام على العمل الجهادي، وشجّعهم على اقتران القول بالفعل، والتعبير عما تكنّه الصدور في ساحات المواجهة قائلاً: «لابد لنا أن نقاوم. نحن نملك أشياء كثيرة لو احتفظنا بها. لا ينبغي أن يكون همنا أن نقول كلمات وتنتهي. الاخوة الذين قالوا لي: نريد أن تفرّغ شحنة الغضب من صدورنا قلت لهم: لا أريدكم أن تفرغوا هذه الشحنة، فلتبق شحنة الغضب تعمل في صدورنا، وتغلي في نفوسنا. نريد لنار الغضب أن تظل تغلي وتغلي حتى يأتي يوم تتفجّر فيه. لابد أن تزيد النار وينفجر القدر. لا يمكن أن تظل هذه الامة على ما هي عليه. لابد أن تنفجر النفوس ويثور البركان الهادئ. هذا الصمت الذي نراه وراءه شيء. هذه الامة لا يمكن أن تسكت على الظلم طويلاً. إن لديها مخزوناً لابد أن يظهر. فيها مكنونات لابد أن تنفجر في يوم من الأيام، ولا يفجرها إلا الايمان والاسلام، وهذا ما يخافه اليهود، وما يخافه الغرب الصهيوني؛ لذلك يحاربون الاسلام باسم محاربة الارهاب وباسم محاربة التطرف وباسم محاربة الاصولية ... وكل هذه أغشية

ثم أعرب الدكتور القرضاوي عن
أمله وتفاؤله بأن يكون النصر والغلبة
للمسلمين قائلًا: «بالرغم مما حدث
ويحدث فإننا مؤمنون بأن الغد لنا، وأن
المستقبل لنا، وأن النصر آت لا ريب، وإن
الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾،
ويقول جلّ شأنه: ﴿إن ينصركم الله فلا
غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم
من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾».
هذا وما زال علماء الأمة الاسلامية
يحثّون ابناء الاسلام على الجهاد،
والوقوف بوجه الصهاينة المعتدين،
وتوحيد الصف من أجل تحرير الاراضي
الاسلامية المغتصبة كافة.

■ العراق

آلام وآمال

الموت البطيء يدبّ في أوصال
العراق، وشعبه يعاني الجوع والحرمان
منذ أكثر من خمس سنوات، ولا أحد من
هيئة الامم المتحدة وغيرها من الهيئات
التي تدّعي الدفاع عن حقوق الانسان
يتحسّس آلامه أو يجسّد رأياً على ساحة
الواقع العراقي ليرفع به ولو جزءاً من تلك
المعاناة التي أهلكت النسل وقضت على

«لا بد ألا نستسلم أبداً مهما كانت
النتيجة. إنها إحدى الحسنيين؛ إما أن
نعيش أعزاء سعداء، وإما أن نموت
شهداء ﴿قل هل تتربصون بنا إلا إحدى
الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم
الله عذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إننا
متربصون﴾».

ثم أكّد موقفه إزاء المجاهدين في
فلسطين ولبنان قائلًا: «إن قلوبنا مع
الشعب اللبناني ومع الشعب الفلسطيني
مع ابطال حماس والمقاومة الاسلامية
وحزب الله ومع كل من يقاوم الطاغوت
ويقف في طريق العدوان. قلوبنا معهم،
وألسننتنا تهتف وتدعو لهم».

ثم أشار إلى أن الله كتب للأمة
الاسلامية العزّة والكرامة، ودعا إلى
توحيد الصفوف والوقوف بوجه الغزو
الاسرائيلي، لأن الفرقة هي السبب في
ذلك، قائلًا: «يتبقّى أن نشعر بأننا الأمة
العزيزة التي كتب الله لها العزّة ﴿ولله
العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون﴾».

والله لو وقفنا وقفة رجل واحد
وصممنا وعزمنا ما استطاعت اسرائيل
أن تفعل شيئاً. إنّما دخلت علينا اسرائيل
حينما أدخلت الوهن في نفوسنا».

أعراف أصيلة وعادات حسنة كانت سائدة بين أوساط المجتمع العراقي.

المتنبع لما يدور في العراق يجد أن أميركا تحاول أن تتفرد بالفريسة، وهي تسيّر قرارات الأمم المتحدة كيما يحلو لها، وطاغية العراق همّ الوحيد الحفاظ على كرسي السلطة، وكرامة العراق وسيادته الوطنية اللتان يتبجّع بهما إعلام النظام ما هما إلا أقراص مسكّنة وزرقات مخدّرة لشلّ حركة الثورة التي أجهضت بسبب حالات الجوع والفقر المدقع والممارسات الإرهابية من قبل أزلام النظام ضدّ أبناء الشعب، حتى عاد العراق وكأنّه مستعمرة أميركية بأيدي صدامية.

أمّا هيئات الأمم المتحدة فتجوب العراق طوّلاً وعرضاً بحجة التفتيش لتضييع الفرص على المعارضة الإسلامية أملاً في العثور على بديل يستناسب والمطامح الأميركية والصهيونية.

بدأت المعارضة الإسلامية العراقية تحرّك الداخل بواسطة قنواتها الممتدة إلى أعماق الشعب العراقي، وهو يتجاوب معها تجاوب المطمئن بعد أن يئس من كل الحلول الوسطية، وراحت تمتنّ

روابطها فيما بينها وتنسق مع من يريد أن يساهم مساهمة حقيقية في الجهد المخلص لانقاذ العراق ليكتمل المشروع الرامي إلى تغيير النظام الحاكم في بغداد بأيدي مخلصه من ابناء المعاناة في العراق.

عقدت عدّة لقاءات واجتماعات بين أقطاب المعارضة العراقية كان أكبرها المؤتمر التداولي في دمشق، الذي جمع كل الأطراف على أن يعقبه مؤتمر آخر يحتمل أن تستضيفه دمشق أيضاً يتم فيه تداول كافّة الشؤون العراقية، بما فيها طريقة الحكم والحكومة التي من المؤمل أن تخلف النظام، مع الأخذ بنظر الاعتبار العوامل الثلاثة: الدولي والاقليمي والداخلي، والتركيز على وحدة العراق أرضاً وشعباً، لما لهذا الشعب الاسلامي العريق من ميزة الوحدة والتآلف بين كلّ طوائفه وطبقاته، بالرغم من محاولات النظام العراقي لإثارة الطائفية والعنصرية في أوساطه.

يلجأ طاغية العراق هذه الايام إلى اساليب بالية وهي العمل لإعادة التركيبية الداخلية لنظامه على أساس عشائري (نظام الشيوخ) عوداً إلى الطريقة

دوراً في هذا المضمار، إذ قلّلت من مستوى الجريمة وضغطت على النظام لأن يفسح المجال أمام الشعب لممارسة طقوسهم الدينية بحرية أكثر من ذي قبل.

لعبة الشطرنج بين الطوائف

أما القرار (٩٨٦) المسجّي بين دجلة والفرات فراح يضمّ بين دفتيه آلاف الصور، واحدة منها (النفط مقابل الغذاء والدواء) التي نزعت فتيل القنبلة الشعبية وعطلت مفعولها مدة طويلة، وما زالت تحاول تخدير الشعب لإطالة عمر جاكيم بغداد، ومن المتوقع أن تُمدّد عقوبات الحظر الاقتصادي أشهراً أخرى على الرغم من تفاؤل بعض الأطراف السياسية.

إن القرارات كثيرة، والشعب العراقي المسلم لم يجنّ غير الولايات، إذ إن الأمم المتحدة والنظام العراقي يمارسان الدور نفسه مع اختلاف الأدوات، كل ذلك من أجل قتل روح المقاومة الاسلامية في بلد الرافدين، ولكن الأيدي الطيبة لأبناء العراق ما زالت ساعية لأن تلمّ الشمل وتوحد الصف لإزاحة هذا الكابوس المرعب عن وجه الشعب العراقي

البريطانية القديمة التي كانت قائمة في العهد الملكي، محاولة منه للحفاظ على عرش السلطة الذي كاد يتهاوى، ولم يستطع أنزله ومن اعتمد عليهم في برلمانه المزعوم الحيلولة دون تفاقم الأزمة الشعبية وامتصاص نقمة الناس الذين باتوا يثأرون من كلّ فرد يعمل لصالح النظام، لأن الدماء التي سالت في انتفاضة ١٥ شعبان الاسلامية عام ١٤١١هـ لمّا تنضب، وما زالت هي المشاعل التي تلهب المشاعر الاسلامية للمجتمع العراقي لتؤجج الثورة من جديد.

ثورة شعبان ما زالت مكبوتة ولم تنته بعد، وبعد أن اعتمد النظام العراقي خطة تجفيف الأهوار للقضاء على المعارضة الاسلامية التي اتخذتها معاقل لها انتقل المجاهدون إلى المدن، ممّا زاد في عقدة النظام وأبطل محاولاته لاحتواء الثورة، بل إن المعارضة الاسلامية عندما انتقلت إلى المدن ازدادت عمليات اغتيال ازلام النظام ممّا حدا بهم أن يتعاطفوا مع الشعب ويقلّوا من ممارساتهم الارهابية حفاظاً على أنفسهم، وقد لعبت رسائل التحذير التي يبعثها مجاهدوا المعارضة الإسلامية

شاءت أن تكون هناك أصوات داعية إلى الاسلام، ومطالبة برفع راية التوحيد على أرض تخيل الكفر أنه ساد عليها.

لقد صمد المجاهدون الشيشانيون بوجه الغزو الروسي ولم يثبّط من عزيمتهم استشهاده زعيمهم «دوداييف» بصواريخ الحقد الشيوعي، تلك الجريمة التي ارتكبتها أجهزة الاستخبارات الروسية بمشاركة أجهزة المراقبة عبر الاقمار الصناعية التابعة لبعض الدول الغربية، كانت ترصد مكالمات هاتفية له استشهد على اثرها.

وما إن مارس خليفة دوداييف «سليم خان اندرباييف» اعماله حتى راحت الأيدي الاستعمارية الخبيثة تروّج الاشاعات، فضجّت الاذاعات ووكالات الأنباء بأخبار مقتله كل ذلك من أجل احباط هم الثوار في الشيشان وزعزعة الوضع الأمني، لكنهم تصدّوا لهذه الاشاعات بعقل وروية، وأثبتوا جدارتهم في ميدان الصراع العقائدي والجهادي، وراح الزعيم الجديد يمارس دوره المناط به، وقد تحدّث الثوار الشيشانيون جيشاً يفوقهم عدّة وعدداً، لكنهم باعتمادهم على الله استطاعوا أن يثبتوا للعالم أن القوة قوة العقيدة

المسلم، وإقامة حكومة إسلامية عادلة تعتمد القرآن والسنة النبوية المطهرة منهجاً في ادارتها لشؤون هذا البلد الاسلامي العريق.

■ روسيا

الشيشان النزف الصامد

النزف الشيشاني لم يكن وليد الساعة، بل هو حصيلة جهود حثيثة صبها الاستكبار من أجل قتل الروح الثورية، ودفن تعاليم الدين تحت ركام المادية وانقراض الصراع الطبقي الذي يزعمون أنه الحل الوحيد الذي يوصلهم إلى قمة الهرم الذي يعبدونه في هذا العالم الغارق بوحل المادة، والنائم تحت ظلال وهمية رسمها الجهل المركب الذي ساد الحضارتين الغربية والشرقية.

الشيشان لم تكن المدينة الروسية الوحيدة التي أعلنت استقلالها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، لكن الغضب الروسي انصبّ على تلك المدينة لأنها كانت تطالب بإقامة الدستور الاسلامي، ليحلّ محلّ القوانين المادية البالية التي سيطرت على ابناء الاسلام هناك مدّة من الزمن، كانت كفيلة بمسخ هويتهم لولا العناية الإلهية والارادة الغيبية التي

والايمان لا السلاح فقط.

هذا وما زال المجاهدون الشيشانيون يواصلون دفاعهم المقدس من أجل تحرير أرضهم ورفع الكابوس الشيوعي بالرغم من الضحايا التي بلغت أكثر من (٣٠) ألف شخص معظمهم من المدنيين وعلى الرغم من وجود مساعٍ لحل أزمة الشيشان إلا أنه ينبغي أن تكون نقطة الثوار الشيشانيين أكبر، خاصة إذا ما بقيت القوات الروسية على مشارف المدينة أو اعطيت لها حرية الحركة فيها، وأن يحذروا من إعطاء تنازلات كبيرة في حال تسوية القضية، وينبغي أن يكونوا هم أصحاب المبادرة في صنع القرار الحاسم في حل القضية الشيشانية وفق ما يتلاءم ومبادئهم الاسلامية النبيلة.

السودة إلى الاصاله

عاش المسلمون في روسيا ظروفاً قاسية بعد هيمنة الفكر الشيوعي على أرجاء هذا الكيان المترامي الأطراف، وراح الشيوعيون يبذلون قصارى جهدهم من أجل تذويب الهوية الاسلامية، وإحلال الافكار المادية محلها في كل المجتمعات الاسلامية في روسيا.

في حين راحت مجموعات ومحاور أصيلة وقوية من المؤمنين تقاوم هذه المحاولات وتسعى لتربية ابنائها على تعاليم الدين الحق، وبدأ مثقفوهم يؤلفون بين آونة وأخرى جمعيات ومنشآت ويعقدون مؤتمرات محاولةً منهم لإحياء الروح الدينية المقاومة لدى ابنائهم، وشدّهم إلى دينهم الذي كاد يموت. وبعد ثورة الامام الخميني رحمته الله دبّت الروح في اوساط المجتمع المسلم في روسيا، وراحوا يتطلعون إلى الاسلام ويتابعون احداث الثورة الاسلامية، ويوجهون جيلهم الجديد لأخذ تعاليم الدين من المصادر الثقافية التي يمكن أن تصلهم عن طريق علمائهم ومكاتبهم، شأنهم في ذلك شأن أبناء الشعوب الاسلامية الأخرى؛ وبعد انهيار منظومة الاتحاد السوفييتي وتساقط لبنات الهرم الشيوعي راح أبناء الاسلام في روسيا يعلنون هويتهم، ويدافعون عن دينهم، ويباركون ويؤيدون مواقف الثورة الاسلامية ودولتها الرسالية في ايران باعتبارها الدولة الحلم التي يعقد المسلمون الآمال عليها للدفاع عنهم وتقويمهم لاثبات هويتهم الاسلامية في مكنخمة الأحداث الجديدة في هذا العالم

الصاحب بألوان الفتن والظلمات.

والمتتبع لمسلمي روسيا يجدهم يتابعون أنباء الجمهورية الإسلامية في إيران ويُحيون ذكرى انتصارها باعتبارها انتصاراً لكل المسلمين؛ ففي «موسكو» يحيي المسلمون ذكرى انتصار الثورة الإسلامية ويشيد أئمة الجمعة والجماعة بالدولة الإسلامية وقيادتها الحكيمة، معتبرين إياها رائدة المسلمين في جهادهم الطويل ضد المستكبرين، ومما قاله امام جمعة موسكو خلال إحدى خطبه: «إن الثورة الإسلامية في إيران حدثت في وقت انهارت معه جميع القيم الانسانية الرفيعة، وقد حققت إيران الإسلامية تقدماً ملحوظاً في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية».

وفي كلمة لمفتي «تاتارستان» في إحدى المناسبات قال: «إن الثورة الإسلامية أثبتت أن الاسلام لا يخضع طائفة معينة أو بعداً بعينه، وكل المجتمعات الاسلامية بمقدورها احياء القيم الانسانية»، ثم ذكر النعمة الكبيرة التي من الله بها على إيران قائلاً: «إن أسعد أيام الإيرانيين هو يوم استقلالهم بالزعامة الحكيمة للإمام الخميني، وقد

استفادت جميع شعوب العالم من توجيهات هذا الزعيم الكبير».

وهكذا شأن أئمة المساجد والعلماء في المدن الأخرى فهم يمارسون نفس الدور في توعية المسلمين وشدهم إلى دينهم القويم ورسالتهم المحمدية الاصيلية.

لقد حقق المسلمون في روسيا مكاسب جديدة، مضافة إلى حصولهم على حرية ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية، حيث اعترف بهم الزعماء الشيوعيون وبعض أعضاء البرلمان واعتبروهم أصحاب دين لا يمكن انكاره. وهناك شواهد كثيرة على ذلك، منها اعتراف زعيم الحزب الشيوعي الروسي «غنادي زوغانوف» في حديثه مع وكالة انباء الجمهورية الاسلامية بدور الاسلام في بناء المجتمع الانساني قائلاً: «إنني درست القرآن بدقة فوجدت فيه قوانين عالمية شاملة وأبدية لهداية وتطور المجتمعات الانسانية»، وأضاف: «إن فقدان هذه النظم والتعاليم يبعد الانسان عن ادراك الفضائل السامية»، ثم أكد ضرورة معرفة دور الاسلام في الحياة الاجتماعية قائلاً: «إن الاسلام هو الدين

سياستها المستندة إلى إشعال الحرب في باقي المناطق». وفي إشارة منه إلى أهداف تكثيف الوجود الأميركي في الشرق الاوسط قال : «ان الهدف الرئيس من وراء تزايد الوجود الاميركي في الشرق الاوسط يكمن في التصدي للجمهورية الاسلامية في ايران باعتبارها دولة ذات سياسة مستقلة».

هذا وما زالت الاعترافات تتروى من قبل الاوساط السياسية الروسية بدور المسلمين وما ينبغي أن يعطى لهم من حرية دينية وسياسية، لما أثبتوه من مواقف مشهودة، وما زال المسلمون في روسيا يسعون لإقامة علاقات رسالية مع الجمهورية الاسلامية في ايران، وذلك بإرسالهم الممثلين والوفود للمشاركة في المؤتمرات الاسلامية والمهرجانات في المناسبات المختلفة.

الفولكا

المسلمون في روسيا على حذر

يتصدى زعماء المسلمين في المدن الروسية بين آونة واخرى للمؤامرات الاستكبارية التي تحاك ضدهم، محاولة منهم لإنقاذ هذه الشريحة الاجتماعية من مسلمي مدنهم كي لا تفرق في بحر

الثاني في روسيا الدولة ذات القوميات المتعددة، ويعتبر الاطلاع على آثاره السياسية والاجتماعية في المجتمع أمراً في غاية الأهمية».

كذلك اعترف رئيس لجنة شؤون الجيوبوليتيك في مجلس الدوما الروسي «مستراخانوف» بدور الجمهورية الاسلامية في ايران، حيث قال في خطابه أمام جمعية السياسيين في موسكو: «إن الجمهورية الاسلامية في ايران دولة ذات ايدولوجية اسلامية قوية، وتشكل عقبة في طريق أميركا تحول دون تحقيقها لمصالحها السياسية والاقتصادية والثقافية في الشرق الأوسط». ثم أشار إلى دور أميركا الخبيث في اثاره الفتن في المنطقة الاسلامية قائلاً: «الرئيس الأميركي السابق (جورج بوش) عندما ترأس وكالة المخابرات المركزية الأميركية وضع خطط الحرب العراقية - الايرانية والحرب بين العراق والكويت، وقد بادر إلى تنفيذها بعد دخوله البيت الأبيض»، أي بعد وصوله إلى رئاسة الولايات المتحدة الأميركية، وقال: «ينبغي المبادرة إلى اعادة التوازن في القوى العالمية، وإلا فإن أميركا ستعتمد إلى

المسلمين اليوم هو اجهاض هذه المؤامرة، وإظهار الصورة الحقيقية للتفوق الفكري والعلمي للاسلام الذي مهد الأرضية لتقدم المجتمع الغربي».

وقد حذر زعيم مسلمي الفولكا المسلمين في روسيا من مغبة السقوط في شباك اللعبة السياسية في الانتخابات لرئاسة الحكومة المزمع اجراؤها في روسيا وقال: «ان الكثير من المرشحين للانتخابات الرئاسية - وللحصول على آراء (٢٠) مليون مسلم في هذا البلد - يرفعون شعارات تدعو إلى التمسك بالقرآن ورفع راية الاسلام؛ فعلى المسلمين أن يوظفوا طاقاتهم من أجل تحقيق الوحدة في المواقف الفكرية والسياسية وأن يحذروا السقوط في شباك هذه اللعبة السياسية».

هذا وما زال المسلمون في روسيا يقارعون الظلم والاستبداد، ويسعون لإقامة كيانهم الاسلامي الموحد على أساس الدين والشريعة الحقّة، دون أن تتدخل اليد الاستكبارية في صنع مستقبلهم أو تحديد شؤونهم، وراحوا يكوّنون المجالس والممثلات سعياً للتمثيل والاثبات وجودهم في هذا البلد المترامي الأطراف.

الشبهوات أو تنجرف مع التيارات العلمانية، فتقف شامخة الرأس قبالة محاولات الانزال وممارسات التذويب التي تستهدف هدم الدين ومسح الهوية الاسلامية لدى ابناء المسلمين في بلدان الشرق والغرب، خوفاً من الصحوّة التي بدأت تجتاح العالم، والتي ستُرجع الانسان إلى فطرته السليمة؛ ففي تصريح نشرته صحيفة «نزاويسمياغاتا» الروسية الصادرة في ١٥ / ٤ / ١٩٩٦م حذر زعيم مسلمي الفولكا في روسيا أبناء هذه المدينة، بل مسلمي روسيا جميعاً، من محاولات الاعلام الغربي لبثّ الفرقة والفتنة بينهم وبين أتباع الديانات الأخرى، وترويج الاشاعات المعادية للاسلام والمسلمين، قائلاً: «إن الاعلام الغربي - وبتحريض من الاستكبار - يعمل من أجل شحن الأجواء لإيقاع الخلاف بين المسيحيين والمسلمين، وذلك لتشويه صورة الدين واعتباره مبنياً على العنف والصراع».

كما راح زعيم مسلمي الفولكا ينبه المسلمين إلى مرامي الاستكبار إلى إضلالهم، ويذكرهم بماضيهم الذي انتقادت به لهم الأمم وكان سبباً في تقدم الحضارات الأخرى قائلاً: «إن من واجب

■ فرنسا

تحدي الحقيقة

يخترق نور الاسلام الحواجز المصنعة التي يضعها الاستكبار أمام الافكار الإلهية الداعية إلى احياء الروح الانسانية والتخليق بها إلى عالم أرفع، وراح بعض أبناء الغرب يرون النور المحمدي من بعيد، فهرعوا إليه ليجدوا الحقيقة التي طالما بحثوا عنها في أعماق فطرتهم كي يرووا عطشهم الروحي من معين الاسلام الذي لا ينضب.

و«رجاء غارودي» أحد المصاديق الحية من الذين هدام علمهم إلى الاسلام فنوروا قلوبهم بمعرفة الخالق، وغيروا نظرتهم السابقة إلى الكون والحياة، وراحوا يكتبون عن الاسلام ليروّجوه في اوساط الشباب هناك، ويدافعون عن هويتهم الاسلامية وكيانهم الذي يعتبرونه كياناً واحداً، صامدين أمام التحديات التي تواجههم ومعلنين عن استعدادهم لدفع الثمن وإن كان غالياً وإليك الأوضاع في فرنسا:

تعرض الفيلسوف الفرنسي «روجيه غارودي» بعد أن أعلن اسلامه إلى ضغوط نفسية وإعلامية، كان بعض أهدافها احباط همته ومنع غيره من

الدخول إلى دين الحق والعدالة، وأشد ما واجهه غارودي من ضغوط هو ما أعقب اصدار كتابه «الاساطير التأسيسية للسياسة الاسرائيلية» الذي تشكك فيه في المبدأ القائل بإبادة ستة ملايين يهودي على يد النازيين في عهد هتلر. وراح غارودي يشرح أساليب المواجهة المسعورة قائلاً: «ما أتعرض له الآن أشبه بعمليات الشنق على الأشجار دون محاكمة، تلك التي كانت سائدة في أميركا في زمن رعاة البقر». وقد تلقى العديد من التهديدات بالقتل بسبب ذلك. وفي محاولة منه لردّ الشبهات والإثارات ضده كتب للصحف ووسائل الاعلام الفرنسية لكنها لم تستجب هي الأخرى، ومما قاله في هذا الصدد: «لقد حاولت نشر ردود في كل الصحف ووسائل الاعلام الفرنسية لكنها رفضت جميعاً نشر حرف واحد مما أرسلته، واكتفت بالهجوم الكاسع على شخصيتي»، وأضاف الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي موضحاً مدى انتهاك الحريات ومحاربة الرأي: «كل من ساندني واجه ارهاباً فكرياً وضغوطاً رهيبه، حتى أن «الاب بيار» الذي وقف إلى جانبي اضطرّ إلى الابتعاد خارج

باريس فوق أحد الجبال ولم يعد يتصل
بإنسان لتفادي الملاحظات والضغوط،
وما جرى للاب بيار - الذي يعتبر من
أكثر الشخصيات شعبية في فرنسا
بسبب نضاله لصالح الفقراء - كان جزاء
وقوفه إلى جانب غارودي.

لقد أجمعت الاوساط الاعلامية
الغربية والأميركية والصهيونية حملة
اعلامية ضد الفيلسوف المسلم روجيه
غارودي، واتهم بإنكار الجرائم ضد
الانسانية، في حين أنه وضّح زيف
الفكرة القائلة بقتل «٦» ملايين يهودي
على يد النازيين، لأنها كانت تهدف إلى
تبرير مؤامرة نقل اليهود إلى فلسطين
المحتلة واستيطانهم في أرض
المسلمين المقدسة. وقد تعرّض
غارودي لتجريح ونقد لاذعين وصور
كتابه الجديد من الأسواق، بل لوفق
شخصياً بكل الوسائل الدعائية
المغرضة كي يصادر رأيه؛ في حين
اعتبرت الاوساط ذاتها «سلمان رشدي»
كاتباً مبدعاً مارس حريته الفكرية ورأيه
الشخصي، وراحت تدافع عنه.

من الواضح أن محاربة هذه
الوساط لغارودي مع تأييدها لرشدي
ناشئة من عداؤها للإسلام والمسلمين،

وإلا فكيف يقف الغرب وأميركا
وإسرائيل بإعلامهم وكل ثقلهم من أجل
الدفاع عن المرتد سلمان رشدي الذي
أساء لرسول الانسانية ﷺ على أنه
كاتب مارس حريته، ثم يقفون لمحاربة
غارودي على أنه كاتب تجاوز الخط
الأحمر؟! حقاً إنه زمن رعاة البقر، كما
وصفه غارودي.

وقد أشار إلى الهدف الآتي من
الحملة المكثفة التي يشنّها الصهاينة
ضدّه، وهو صرف أنظار الرأي العام
العالمي عن جرائمهم التي ارتكبوها في
الجنوب اللبناني مؤخراً، وقال في هذا
الصدد: «في الوقت الذي كان الكيان
الصهيوني يكتف من قصفه لجنوب
لبنان كانت الصحف الفرنسية تشنّ
حملة ضدّي وعلى صفحاتها الأولى»، ثم
أردف قائلاً: «أنا ضد الصهيونية ...
الصهيونية سياسة عنصرية ليست لها
أية علاقة بالديانة اليهودية، وأنا لا
أعترف بوجود اسرائيل لأنه وجود قائم
على القوة»، وأضاف: «بالرغم من أن
الحرب العالمية الثانية قد أزهقت أرواح
(٥٠) مليون انسان، إلا أن الصهاينة
يدعون أنهم ضحايا هتلر الوحيدون
ليضعوا أنفسهم فوق أي قانون،

لبنان بقوله: «لا توجد صحيفة فرنسية واحدة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار تجرأت على استخدام تعبير جريمة ضد البشرية لوصف القصف الصهيوني المتعمد للمدنيين اللبنانيين في موقع لجنود الأمم المتحدة في قانا»، وأضاف: «لم يكن ذلك مجرد خطأ، وإنما نتيجة طبيعية للنظام الصهيوني».

حملات حاكمة على المسلمين وإقبال متزايد على اعتناق الاسلام

إن الحملات المسعورة التي تقودها الصليبية الحديثة والصهيونية الحاكمة في الغرب ضد المسلمين اتخذت عناوين وواجهات صريحة، بعد أن كانت خفية ومن وراء ستار تمارس فيها أساليب الدس والتشويه وغسل الدماغ خصوصاً مع المهاجرين واللاجئين من المسلمين، حتى لقد أصبح من صلاحيات الشرطة العادية في فرنسا ملاحقة المسلمين واعتقالهم بمجرد الظن أنهم من الناشطين في الدعوة للإسلام والدفاع عن حقوق المسلمين المهدورة، فقد صدر قاضي باريس «جان فرنسوا ريكار» إنابة قضائية لمجموعة من رجال الشرطة تمنحهم صلاحية ملاحقة

ويبرزوا ما يقومون به في الداخل والخارج».

وفي مقابلة أجرتها صحيفة «المصور» المصرية في ١٥ / أيار / ١٩٩٦م مع غارودي ظهر هذا المفكر العبقري مظهر القوي، وكان مصرّاً على تأكيد تصريحاته السابقة حول نفي مقتل «٦» ملايين يهودي على يد النازيين بقوله: «قتل يهودي واحد فقط - لأنه يهودي - يعدّ جريمة ضد البشرية، فالعبرة ليست بالعدد، والكل يتفق على ذلك، فلماذا الاصرار على رقم «٦» ملايين وكأنّه أصبح رقماً مقدساً؟! السبب ببساطة أنه كان أساساً لعملية نصب مالية، إذ تلقى اليهود - آنذاك - تعويضات مالية على أساس ذلك الرقم». وفضح غارودي في حديثه لصحيفة «المصور» الجريمة الدولية الاستكبارية وكشف ما وراء الستار باستفهامه: «الغريب أن (اسرائيل) لم تكن قد وجدت بعد عندما وقعت هذه الجريمة التي يدّعونها، فعلى أي أساس - إذن - تلقى الصهاينة هذه التعويضات التي لم يكن لهم أي حق قانوني في تلقيها؟! وانتقد غارودي السياسة الفرنسية وتواؤمها مع الكيان الصهيوني في جريمته بقصفه جنوب

الحجب المادية المغلفة للحياة الغربية
ليصل الانسان إلى الحقيقة من خلال
علاقته بالخالق سبحانه وتعالى.

■ المانيا

الاسلام اسرع انتشاراً من المسيحية

باتت الانسانية تبحث عن الاسلام
لأنه يناغم الفطرة ويدخل القلوب من
أوسع أبوابها، وهو يجوب العالم بهويته
الأصيلة ليخفف أعباء السنين المتراكمة
من الظلم والاضطهاد وعزل الدين عن
السياسة التي منيت بها الأمم الأخرى،
وفي جولة سريعة في ألمانيا تجد أن
السياسيين الألمانين بدأوا يبذلون
جهوداً كبيرة وحثيثة لمعرفة الاسلام
ويسعون لإقامة علاقات واجراء حوارات
بين البلدان الاسلامية والمسيحية؛ فقد
قسمت المستشارة الألمانية
«غودوكرمند» : «يجب بذل جهود
متواصلة وكبيرة للتعويض عن
الماضي» معربة عن تأييدها وترحيبها
بخطوة لجنة الاعمار في مجلس النواب
الألماني لسماعهم وجهة نظر خبيرين
في الشؤون الاسلامية، وقد تم التركيز
على أن أهم ما ينبغي بحثه في هذه
اللجنة هو ما يتعلق بالاسلوب الذي

المسلمين في مدن باريس ومرسيليا تم
على إثرها اعتقال «٣٥» شخصاً صباح
الجمعة ١٠ / أيار / ١٩٩٦م، وكانت
الشرطة وضعت قائمة تشتمل على «٣٠»
هدفاً. كان مقر العمال المهاجرين في
«نانتير» قرب باريس واحداً منها.

وفي نفس الوقت يزداد التوجه
والإقبال لدى الشباب الفرنسي لاعتناق
الاسلام بالرغم مما تقوم به وسائل
الاعلام من أساليب تضليلية وتشويه
للحقائق؛ فقد ذكرت صحيفة «الفيغارو»
الباريسية: «إن إقبال الشباب الفرنسي
على الإسلام في تزايد مستمر». وفي
جانب آخر من حديثها أضافت
الصحيفة: «تعود أسباب إقبالهم على
اعتناق الاسلام إلى ارتيادهم المساجد
واقترانهم بالنساء المسلمات
ومعاشرتهم للشباب المسلم». ونقلت
«الفيغارو» عن شاب فرنسي أسلم حديثاً
له من العمر «١٨» عاماً قوله: «كنت
كاثوليكياً وأتردد على الكنيسة مع
والدي مرة واحدة في الاسبوع فلم
أتمكن من إرواء عطشي الروحي». مما
يعني أن الصحوة الاسلامية بدأت تعم
الانسانية جميعاً لما يحتويه الاسلام من
علاجات روحية ونفسية يمكنها رفع

من إيصال المجتمع الانساني إلى شاطئ الأمان حيث العدل والسعادة والحق الانساني الذي تحلم به البشرية المعذبة.

■ جرجطانيا

مسلمو بريطانيا في تحدٍّ وتصدٍّ

إن الثورة التي فجرها الإمام الخميني رحمه الله وحققت منذ مراحلها الأولى جمهورية إسلامية على أرض إيران، زوّدت أبناء الإسلام بشحنات ثورية دفعت بهم إلى الساحات السياسية والجهادية لاستعادة حقهم المغصوب، وزرعت في نفوسهم الأمل بتحقيق دولة كريمة تعتمد الكتاب الكريم والسنة المطهرة دستوراً في مذهبها الثقافي والسياسي والاقتصادي، تحدد على ضوءه علاقاتها بكل دول العالم وتضمن حقوق الأقليات الإسلامية فيها. وقد أضحى الإمام الخميني رحمه الله قدوة لكل أبناء العالم الاسلامي يستلهمون منه الدروس الثورية التي استلهمها بدورده من الثورة الحسينية التي ألهمت - آنذاك - ضمير الأمة وأوقدت فيه شرارة كل ثورات المسلمين التي أعقبتها. وصنعت إرادة التضحية من أجل الرسالة والوقوف بوجه الطغاة والمستهترين

ينبغي أن تتبعه ألمانيا وأوروبا للتعامل مع العالم الاسلامي، وكذلك حول مدى قبول العالم الاسلامي بأفكار المجتمع الغربي. وقد حذّر الخبيران من مغبة حشر الاسلام في خانة المجموعات «المتطرفة».

أما صحيفة «فرانكفورتر الغمانية» الألمانية فقد أشارت إلى سرعة انتشار الاسلام في الاوساط الألمانية وازدياد عدد مسلمي العالم الذي من المرتقب أن يجتاز عدد المسيحيين قائلة: «بالرغم من أن عدد المسيحيين أكثر من أتباع بقية الأديان الأخرى في العالم إلا أن عدد المسلمين أخذ ينمو نمواً أسرع من أتباع المسيحية».

وقالت: «إن المسلمين في ألمانيا يشكلون ثاني أكبر أقلية فيها، أما عدد الالمان الذين اشتهروا اسلامهم حديثاً فإنه يزيد على المئة ألف نصفهم من النساء، ولهم (٧٠٠) مسجد لتأدية فرائضهم الدينية».

نعم، إن الدين الاسلامي يعلن عن استعداده لإنقاذ البشرية مما هي فيه من الانحطاط الاخلاقي والاضطهاد السياسي، بعد أن فشلت المسيحية المحرفة وغيرها من الافكار الوضعية

بالقيم والمقدسات.

وبريطانيا إحدى الدول التي يقطنها عدد كبير من المسلمين الناشطين فكرياً وسياسياً واجتماعياً، وقد كان لانتصار الثورة الاسلامية في ايران الاثر الكبير في بلورة مواقفهم الرسالية وبروزها صريحة قوية إزاء كل حدث يمسّ مبدأ الإسلام أو شخصياته المقدسة أو أبناءه الذين هم جزء لا يتجزأ منهم، ومنها مواقفهم المشهودة إزاء قضية الكاتب المرتد سلمان رشدي وفتوى الإمام الخميني رحمته الله بإعدامه؛ فقد كان المرحوم الدكتور كليم صديقي رئيس البرلمان الاسلامي في بريطانيا يقول في هذا الصدد: «إن فتوى الامام الخميني بإهدار دم المرتد سلمان رشدي لازالت نافذة المفعول ويجب تنفيذها إذا ما أتاحت فرصة الزمان والمكان». أمّا الأمين العام لمنظمة الاتحاد الاسلامي التي تضم أكثر من (٢٠٠) مجموعة اسلامية في بريطانيا، فقد كان هو الآخر صريحاً وقوياً حين دعا إلى تطوير القوانين البريطانية كي لا تظل مقتصرة على المسيحية، بل ينبغي أن تشمل الدين الإسلامي أيضاً لتتاح الفرصة لمحاكمة رشدي علناً أمام محكمة بريطانية. كذلك

كان موقف اللاجئ السياسي السعودي في بريطانيا محمد المسعري حيث دعا إلى إقامة الحد الشرعي على المرتد سلمان رشدي، ممّا أدّى إلى أن يلاقي مضايقات من قبل الحكومة البريطانية، حيث قررت إخراجها من بريطانيا، لكن مجلس القضاء البريطاني ردّ هذا القرار ووافق على ابقائه مدة أربع سنوات أخرى لاجئاً في المنفى. وردّاً على دعوته هذه قالت صحيفة الصاندي تايمز اللندنية: «إن تاييده لمعاقبة رشدي وهو داخل بريطانيا يعني مناطق مراكز النفوذ في بريطانيا». وقالت أيضاً: «إن المسعري بتأييده لتنفيذ العقوبة بحق رشدي يعني أنه رجّح الأحكام الاسلامية على الاعتبارات السياسية، وأنه رفض تجاهل رسالته الدينية كسباً لرضا لندن». ولكن المسعري ما زال على موقفه إزاء قضية المرتد رشدي وإن كلفه ذلك الخروج من لندن.

لقد أدّت هذه المواقف وغيرها إلى تراجع رشدي وإعلانه أكثر من مرّة أنه يحاول الفرار من هذه الخطيئة التي أدّت به إلى هذه الحال؛ ففي حديث له مع صحيفة الفيغارو الباريسية قال: «إن الكتاب - كتاب آيات شيطانية - أصبح

بين المذاهب الإسلامية اتسم موقف
خلفه الدكتور محمد غياث الدين بالقوة
والوضوح إزاء قضية المرتد سلمان
رشدي؛ ففي الاجتماع الاستثنائي
للبرلمان الإسلامي الذي عقد في لندن -
والذي تم فيه انتخاب الدكتور محمد
غياث الدين رئيساً للبرلمان المذكور -
أكد الدكتور غياث أنه لا يوجد أي تغيير
في موقف البرلمان إزاء فتوى الإمام
الخميني بإعدام الكاتب المرتد سلمان
رشدي.

وقد ذكرت صحيفة التايمز اللندنية
في عددها الصادر يوم الثلاثاء ٧ / أيار /
١٩٩٦م: «إن الرئيس الجديد للبرلمان
الإسلامي أيد موقف الرئيس السابق
للبرلمان بشأن اعدام رشدي».

ومن المواقف الإسلامية المعبرة عن
صحوة المسلمين وقوة مواقفهم
الإسلامية ما كان من مسلمي بريطانيا
إزاء قضية عرض فلم أميركي يسيء
للمسلمين، فقد تجمع حشد من مسلمي
بريطانيا أمام سينما عرضت فلماً
أميركياً يسمي المسلمين بالإرهاب، وذلك
بعرضه قصة اختطاف طائرة من قبل
مجموعة من مسلمي الشيشان وهم
يهددون المسافرين بالقتل، وأعربوا عن

يرهق كاهلي أكثر من اللازم وصار وبالاً
عليّ. أريد أن أنساه»، وأضاف: «إن
الكتاب أساء كثيراً إلى مكانتي
وشهرتي». وفي سياق حديثه أراد
التملص من الآثار المترتبة على ارتداده
بسبب تأليفه هذا الكتاب حيث قال:
«جميل أن يشتهر المؤلف بكتابه، لكن
شهرتي بسبب (آيات شيطانية) انتهت
لغير صالح وصالح كتابي. قراء كتابي
قلّة من الناس، وأكثر الذين عرفوني ليس
من باب فحوى الكتاب وإنما من خلال
الضجة التي أثارها. كنت أمل جداً أن
يعرفني الناس شخصاً غير مؤلف (آيات
شيطانية)، وأعلنت مرّات عدّة في
الاجتماعات العامة بأنني لست سوى
الشخص الذي ألّف الكتاب وعمره (٣٧)
سنة وعمرى الآن (٥٠) سنة»، وأضاف:
«أنا أعجب جداً أن يكتب الشخص في
الثلاثين من عمره كتاباً يظل ماسكاً
بتلابيبه وهو في الخمسين». هذا وما
زالت فتوى الإمام الخميني رحمته الله سارية
المفعول، وستنقذ متى ما أتاحت الفرصة
إن شاء الله تعالى، فبعد وفاة المرحوم
الدكتور سليم صديقي رئيس البرلمان
الإسلامي البريطاني ومؤسسه، وعضو
المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب

تلاحمهم مع مسلمي الشيشان، وأدانوا
الأيادي الاستكبارية التي تدعم هذه
المؤسسات للأساء للمسلمين.
وقد تناولت هذا الحدث صحيفة
(مسلم نيوز) التي تصدر في بريطانيا
وقالت: «إن هذا الفيلم يصوّر المسلمين
أعداء تابعين لدين يشجّع الارهاب». في
حين اعرب المتحدث باسم لجنة حقوق
الانسان في البرلمان الاسلامي
البريطاني عن استيائه من هذا العمل
وقال: «إن الذي يقلقنا هو عرض صورة

العنف لدى المسلمين».

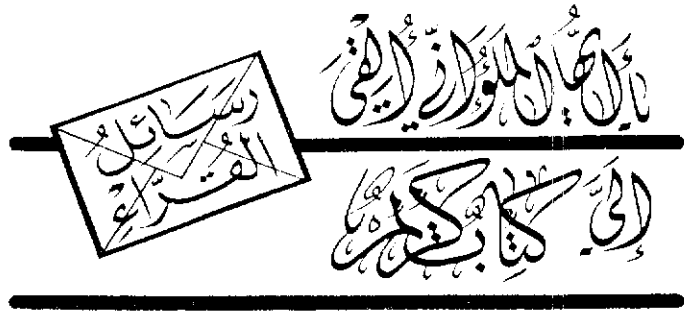
وهذه المواقف وغيرها من قبل
مسلمي بريطانيا تشير إلى عمق
الصحة وانتشارها في اوساطهم،
وأنهم على يقضة وحذر ولا تنطلي
عليهم مؤمرات التذويب الغربي والمسخ
الاستكباري، وهي تطالب بعرض الدين
الاسلامي الصحيح وطرح تعاليمه الحقّة،
وتشجب كل ما يؤدي إلى الاساءة
للاسلام والمسلمين.

مجلس أمناء دار البصائر ١٤٢١ هـ

مَنْ أَحْبَبَ بَرَّ الْبُصَيْرِ
وَبَرَّ الْبُصَيْرِ وَزَيْنَهُ عَلِمَ

الطبعة ٧١٣ ص ٢٢٧

مع قراء الثققلين



باب نفتح منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثققلين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلتهم فكرياً وثقافة ومعرفة وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة:

«التحرير»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● محلاتكم وكتبكم

سلعة غالية وثمينة

نحن أسرة عربية مسلمة اضطررنا الظروف للهجرة إلى هولندا قبل اعوام بسبب الاضطهاد الذي عانىناه في بلادنا. والآن نعيش لاجئين سياسيين، واسرتنا تتكون من ستة افراد من كلا الجنسين. وفي سن الشباب والنمو نحتاج إلى المطالعة وملء الفراغ بما ينفعنا من المواضيع والدراسات الدينية والتأريخية والسياسية والادبية وكذلك

● «رسالة الثققلين»

مجلة شاملة



إني ممن يتشرف بحب آل محمد ﷺ والذين تصل اليهم مجلتكم، وقد قرأتها فوجدتها شاملة لم تترك مجالاً من مجالات الفكر الاسلامي إلا واخذت منه بنصيب، ففيها الدراسات العلمية والادبية والانتباء والتقارير والتحقيقات حول حديث الثققلين.

عمر ابراهيم جوارى
ساحل العاج

جزء يسير من رسالة الثقلين، كما أرجو
تسجيل اشتراك دائم لي في مجلتكم.
هذا وابعث اليكم بعض نتاجي
الادبي. ودمتم مجاهدين في خندق
الثقافة والفكر.

مهدي الحسناوي

ايران - يزد

● بالدعوة والوحدة

تجهض خطط الاعداء،

اخواني الاعزاء، نحن بحاجة إلى
أمثالكم لمواجهة التيارات المعادية
للإسلام، فنحن نشعر بالضيق والالم
عندما نرى التفرق والتشتت الذي يزرع
بذوره الاعداء والمتلبسون بلباس
الإسلام من خدمة الاستكبار العالمي.
فكم من الناس ضلوا في متاهات إما من
جراة الثقافة الغربية أو من جراة
الدعوات الطائفية المضللة، فيجب علينا
التكاتف والوحدة وأن يسعى كل منا من
اجل أن يقف المسلمون صفاً واحداً في
وجه العدو الحقيقي. فذلك عبد الله بن
سلول الذي لم تنزل آية في المنافقين إلا
وهو رأسهم، وذاك الامام علي عليه السلام الذي
لم تنزل آية في المؤمنين إلا وهو
أميرهم. فعندما يعرف المسلمون
عدوهم الداخلي ويتغلبون عليه

الدراسات التي تهتم بالمرأة المسلمة
والطفل المسلم. فنرجو منكم ارسال ما
يصدر عنكم باللغة العربية من الكتب
والمجلات علماً بأن مثل كتبكم
ومجلاتكم تعتبر سلعة غالية و ثمينة هنا.

أحمد محمد

هولندا

● جذبني نحوكم الادب والثقافة

من خلال قراءة مجلتكم الرائعة

جذبني نحوكم الادب والثقافة
بانواعهما مثل المقالة والقصة
والقصيدة والنقد الادبي من خلال قراءة
مجلتكم الرائعة الموسومة بـ «رسالة
الثقلين»، لذا فليس من الغريب أن تروني
اتوغل في حدود أقلامكم وابداعكم
وكتاباتكم فقد انتهيت من اعداد ثلاث
مجاميع شعرية مع مجموعة قصصية
واملي أن ارسل لكم هذا النتاج لكي يرى
النور في مجلتكم، فإن البعض ينظر إلى
الادب وفنونه وللأسف نظرة ضيقة لا
تتعدى كونه تجارة مربحة أو مكسباً
مادياً محدوداً وليس ثقافة أو نشر وعي،
لذلك أرجو منكم أن تدعموا ادبنا
الاسلامي بكل اشكال الدعم. وإني
سأواصلكم ان شاء الله بارسال
النصوص الادبية علني اساهم في اعداد

ضمن المشتركين لكي احصل عليها
تباعاً، وإذا كان بالامكان فارجو تزويدي
بالاعداد السابقة. وأحب أن احيطكم علماً
بأنني مسلم عراقي مقيم في سويسرا
وهناك جالية اسلامية عراقية كبيرة تود
الاطلاع على المجلات والاصدارات التي
تحمل فكر اهل البيت عليه السلام.

وفي الختام لكم خالص احترامي
وتقديري ودمتم لخدمة الاسلام وخط
اهل البيت عليه السلام السديد.

ابو رضا الكندي
سويسرا

* * *

● اصدارات المجمع

تقوي ارتباطنا بنهج اهل البيت (ع)

يشرفني أن اكتب اليكم وذلك
للتعرف على نشاطات المجمع العالمي
لأهل البيت عليه السلام، فالرجاء أن تزودونا
باصداراتكم ليتسنى الاطلاع عليها عن
قرب؛ فإن مثل هذه الاصدارات ذات اهمية
كبيرة هنا في هذه البلاد، وذلك لندرتها
وصعوبة الحصول عليها، فهي ذات اثر
كبير في تقوية ارتباطنا بمدرسة اهل
البيت واتباع نهجهم عليه السلام.

وكلي امل أن يحظى طلبي عندكم
بالاهتمام مع فائق التقدير.

محمود الساعدي
اميركا

سيتمكنون من عدوهم الخارجي
وسيعرفون من قتل فلسطين ومن ذبح
البوسنيين واستباح اعراضهم و....
فليس امامنا للوقوف بوجه هذه
الممارسات إلا التمسك بالدعوة للاسلام
الاصيل، وبالوحدة وعدم التفرق
والصبر على تحمل الصعاب والعقبات.
من هذا المنطلق ومن عمق ايماني
وصدق عقيدتي صممت أن ابذل قصارى
جهدي لكي اكون انساناً رسالياً هادفاً
ادعو إلى الله وإلى الحق بكل ما استطع.
فأرجو أن تلبوا طلبي وأن تزودوني
باصداراتكم الاسلامية الرسالية
بمختلف انواعها؛ لكي استطيع القيام
بالمسؤولية الملقاة على عاتقي وسوف
اكون عند حسن ظنكم إن شاء الله.

حسين أحمد محوت
اليمن

* * *

● « رسالة الثقلين »

مواضيعها ثمينة وحيوية

هذه اول مرة اطلع فيها على مجلتكم
المباركة، وكنت سعيداً عند حصولي
على احد اعدادها وقد وجدتها تحمل بين
ظياتها المواضيع الثمينة الحيوية التي
يمكن أن يستفيد منها القارئ في كل وقت
وكم اكون لكم شاكراً لو ثبتتم عنواني

من التعريف بمعالم مدرسة اهل البيت
المباركة ونشر معارفها، نود أن
نحيطكم علماً بوجود جالية اسلامية
كبيرة وعدد كبير من اتباع مدرسة اهل
البيت عليه السلام في مدينة مانجستر ثالث مدن
بريطانيا يلتقون في المركز الاسلامي،
وهم ونحن بحاجة ماسة إلى
منشوراتكم وإصداراتكم القيمة على
صعيد البناء الفكري والعقائدي والتربية
الفقهية. لذا نرجو منكم الاسهام في
اسناد عملنا هذا من خلال ارسال ما
صدر وما يصدر عن مجمعكم المبارك،
وكذلك تسجيل اشتراك دائم في مجلة
رسالة الثقلين ولكم الاجر والثواب.

الشيخ رشيد باني الظالمي
امام المركز الاسلامي
مدينة مانجستر - بريطانيا

• «رسالة الثقلين»

تحمل رسالتها جمانة واخلاص

الاخوة في مجلة «رسالة الثقلين»
تحية طيبة وبعد،

لقد سمحت لنا الفرصة - ونحن
مجموعة من الطلبة البحرانيين في
الهند - أن اطلعنا على بعض الأعداد من
مجلتكم الرسالية «رسالة الثقلين»،
ولكوننا بعيدين عن الطلبة الذين أهدونا

• «رسالة الثقلين» عوني على

فهم معالم الاسلام الاصيل

احيكم بتحية الاسلام مع فائق
الاحترام والتقدير لعطائكم الكريم
وسعيكم لنشر معالم الاسلام في ربوع
العالم اجمع.

اكتب اليكم من افريقيا - ساحل
العاج - حيث اعيش في مجتمع يبلغ فيه
الجهل والتردي الاخلاقي حداً كبيراً.
وبما أنني وبحمد الله سبحانه وتعالى اقرأ
العربية فقد قرأت مجلتكم الكريمة
(رسالة الثقلين) بعد حصولي عليها من
احد الاخوة المؤمنين من لبنان، فوجدت
فيها الهدف المنشود والمساعد
الاساسي لفهم معالم الاسلام الاصيل
القائم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسير
على هدي اهل بيته عليهم السلام. وبهذه المناسبة
اطلب منكم ارسال مجلتكم الكريمة
لتكون عوني على فهم وتأدية الواجب
الاسلامي الصحيح.

بلدي محمد
ساح العاج

• نحن جاهس الحاجة إلى

اصداراتكم لبنائنا الفكري والعقائدي

نظراً لما احطنا به حول هدف
ورسالة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

بعض تلك النسخ فإنه لا يسعنا الحصول على الأعداد الأخرى.

لقد سررنا بهذه المجلة التي تحمل رسالتها بأمانة وإخلاص.

حبذا لو تفضل الإخوة مسؤولو المجلة بإرسالها لنا إرسالاً منتظماً.

ولكم جزيل الشكر والامتنان.
عن مجموعة من الطلبة البحارنة في الهند
أبو أظهر
الهند

● «رسالة الثقلين»

سفر كريم أعجبنى حقاً

نهنتكم بمولد النور الالهي والرحمة المبعوثة نبي الانسانية جمعاء محمد ﷺ، وبمولد ابنه علم المذهب، وناشر علوم آل محمد الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، اعاد الله علينا وعليكم هذه الايام المباركة والعافية تشملنا في ديننا ودنيانا.

أخوتي وقع بيدي عدد من مجلتكم القيمة «رسالة الثقلين»، فأكبرت جهدكم وأنتم تنشرون رسالة الثقلين ووصية الرسول الاعظم ﷺ وقد أعجبتني المجلة حقاً بما فيها من موضوعات، مما خلق لدي رغبة في الحصول عليها.

واسألكم هل يمكنني الحصول على سفركم الكريم هذا حصولاً مستمراً؟

وإن كان لديكم اعداد قديمة من المجلة فهل يمكن الحصول على بعضها؟

جزاكم الله عني وعن خدمتكم للاسلام ولأهل البيت ﷺ أفضل الجزاء، ويرزقنا وإياكم شفاعة محمد وآله ﷺ.

فيصل حسين ميرغني
السودان - الخرطوم

● اختتم باصداراتكم تقومون

جوعنا الفكري

أخوة الايمان.
يسعدني أن اكتب لكم وابثكم تحياتي الصداقة اليمانية الدائمة.
اخوتي الرساليين بحماسة نحن نحتاج إلى ما يقوم جوعنا الفكري والثقافي، وانتم بوسعكم ان تشبعوا هذا السغب بفيض ما رزقكم الله من علم وقدرة، وإنني أرجو أن تزودوني ببعض اصداراتكم ولكم دائماً دعائنا ودمتم سالمين...

أبو الباقر المحمدي
اليمن

● نطلب المزيد لرفع

المستوى العلمي لمدرستنا

سلامي عليكم والديار بعيدة

وإني عن المسعى اليكم لعاجز

وهذا كتاب نائب عن زيارتي

وفي عدم الماء التيمم جائز

لقد ساقني إلى الكتابة لكم السؤال

عن احوالكم أولاً وتقديم الشكر

والامتنان لكم ثانياً لما ارسلتم لنا من

المجلات والكتب المفيدة، وقد استفدنا

منها في مدرستنا المعروفة بـ (مركز

العلوم العربي الاسلامي) استفادة كبيرة

ونسلم منكم المزيد والاستمرار

بالارسال، لكي يتسنى لنا رفع المستوى

العلمي والدراسي في مدرستنا، ادامكم

الله لخدمة الاسلام والمسلمين.

الحاج عبد الرزاق عبد الكريم

مركز العلوم العربي الاسلامي

نيجريا

* * *

قال أمير المؤمنين (ع) :

كُنَّا الْجِبْرِيلُ غَنَوْنُ عَقْلٍ وَهَذَا فَضْلُهُ

عن فضائلهم : ١١٦

فهر

فهرست الاعداد من (١٣-١٦) للسنة الرابعة

محرم الحرام - ذي الحجة ١٤١٦ هـ

تموز ١٩٩٥ م - مايس ١٩٩٦ م

كلمة التحرير

الصفحة	العدد	الموضوع
٤	١٣	لا معقل امنع من الاسلام.
٤	١٤	من اتخذ الحق لجاماً اتخذته الناس اماماً.
٤	١٥	ان مغالب الحق مغلوب.
٤	١٦	الانزواء الأميركي مرة أخرى

من آفاق القيادة الإسلامية

لولي أمر المسلمين السيد الخامنئي (دام ظله)

الصفحة	العدد	الموضوع
١٣	١٣	نهضة الحسين (ع) وأهمية التبليغ.
١٥	١٤	الحوزة ومتطلبات العصر.
١٨	١٥	عيد الله الاكبر.
٧	١٦	العلم والعمل.

دراسات في القرآن الكريم

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
٢٥	١٣	الشيخ محمد مهدي الآصفي	الشهادة في القرآن الكريم (١).
٢٥	١٤	الشيخ محمد مهدي الآصفي	الشهادة في القرآن الكريم (٢).
٤٥	١٤	عباس علي فراهتي	المسجد - مفهومه وبعض احكامه في القرآن والحديث.

في الاخلاق

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
٦٩	١٣	السيد محمد كاظم الحائري	تزكية النفس من منظور الثقلين (١).
٧٧	١٤	السيد محمد كاظم الحائري	تزكية النفس من منظور الثقلين (٢).
٧٠	١٥	السيد محمد كاظم الحائري	تزكية النفس من منظور الثقلين (٣) علائم فاضحة.

في سيرة اهل البيت (ع)

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٠١	١٣	السيد محمد باقر الحكيم	التنظيم السياسي للجماعة الصالحة من منظور أهل البيت (ع).
١٣٤	١٣	الشيخ فؤاد كاظم المقدادي	القيادة الاسلامية في مدرسة أهل البيت (ع) (الاطروحة والجزور).
١١٣	١٤	السيد محمد باقر الحكيم	النظام الاقتصادي والمالي للجماعة الصالحة (١).
٤٠	١٢	ولي أمر المسلمين السيد علي الخامنئي	قيادة الامام الصادق (ع) (٣).
٢٠٩	١٤	أحمد عبد المجيد حمود	الدور السياسي للامام الصادق (ع) (٢).

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
التكافل الاجتماعي والنشاط الاقتصادي العام في مدرسة أهل البيت(ع)(٢).	السيد محمد باقر الحكيم	١٥	٢٨
نظام العلاقات الاجتماعية في مدرسة أهل البيت(ع)(١).	السيد محمد باقر الحكيم	١٦	١٥

في الفكر والثقافة الإسلامية العامة

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
حديث الغدير ظروفه مداليله، قيمته الحضارية رواية حديث الغدير(٢).	عز الدين سليم	١٣	١٥٤
ظروف حديث الغدير (١).	عز الدين سليم	١٤	٩٤
الاسس المبدئية للوحدة الإسلامية في مدرسة أهل البيت(ع): الاساس الاول (وحدة العقيدة الإسلامية).	الشيخ فؤاد كاظم المقدادي	١٤	١٥٢
الاسس المبدئية للوحدة الإسلامية في مدرسة أهل البيت(ع): الاساس الثاني (التشريع الاجتماعي والسياسي العام).	الشيخ فؤاد كاظم المقدادي	١٥	١٠٥
ظروف حديث الغدير وقيمه الحضارية(٢).	عز الدين سليم	١٥	١٤٨
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. استعادة العزة في فكر الامام الحسين(ع)	الشيخ مصطفى قصير	١٥	١٧٠
وحقيقه السيد الخميني (قدس سره). الوضع الفكري والسياسي للشيعه في العصر الحديث.	د. محمد علي أنرشب	١٥	١٩٤
مداليل حديث الثقلين.	عز الدين سليم	١٦	٢١٢
تأثير المذاهب النبوية في العقيدة والسلوك.	النيل ابو قرون	١٦	٦٦
لمحات من حياة الفقيه السيد احمد الخميني(ره) عباس كاظم		١٦	١٢٦

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
التطور السياسي للمرجعية الاسلامية في تاريخها المعاصر (١).	عبد الكريم آل نجف	١٦	١٦٦

شبهة ورد

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الزواج المؤقت (متعة النساء ومتعة الحج).	الشيخ محمد هادي معرفة	١٣	١١٨
عقيدة الشيعة في أئمة اهل البيت (ع).	الشيخ جعفر السبحاني	١٥	٩٠
البداء في القرآن والحديث (١).	الشيخ محمد هادي معرفة	١٦	٥٠

تحقيقات

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
ابن ابي زينب في طبرية.	الشيخ جعفر المهاجر	١٤	١٧٠
منزلة اهل البيت (ع) لدى المجتمعات الاسلامية.	الشيخ محمد واعظ زاده انخراساني	١٦	١٠٠

من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
مسألة نفى الغرر في المعاملات ورأي الامام الخميني (قدس سره) فيها.	الشيخ محمد علي التسخيري	١٣	٨٨
الاقتصاد الاسلامي اسسه وأرضيته العقائدية والتشريعية.	الشيخ محمد علي التسخيري	١٤	٦٢
الانتفاع ببدن الميت في التعليم الطبي.	الشيخ محمد المؤمن	١٥	٤٩

تقرير

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الدورة التاسعة لمؤتمر مجمع الفقه.	الشيخ محمدصادق الابراهيمي	١٣	١٧٧
حضور الوفد الاسلامي الايراني في مؤتمر بكين.	الامين العام للمجمع العالمي	١٤	٢٢٦

فنون وآداب

شعر

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الحسين ... الاريج والدم	عبد القادر فرج الله	١٢	٢٨
تهويمة حجازية في ولادة البشير النذير	ابو يقين البدران	١٣	٦٥
وحفيده الصادق (ع)	ابو هدي	١٤	١٦٨
من الادب الاسلامي المعرب	انور فرج الله	١٤	٢٠٧
شاطئ الدفء	مصطفى الغماري	١٥	١٤٤
النهر الشهيد	صباح الدين صوناي	١٦	١٦٤
يا من اهذب روجي في محبته			

خاطرة

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
بر الوالدين	ولي أمر المسلمين السيد علي الخامنئي	١٣	٨٦
وهل انت إلا وارث الأنبياء	محمد علي الحلو	١٦	١٨٩

دراسات أدبية

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
نظرية الادب الاسلامي بين الفكرة والتكوين	عامر ملا عيدي	١٦	١٩٧

قصة

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
تحت اشعة الشمس	السيد علي الموسوي	١٥	١٨٨

تعريف كتاب

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
كتاب في مقال: التشيع، نشأته، معالمه	الشيخ مجتبى المحمودي	١٣	١٩٦
كتاب في مقال: منهج الرشاد لمن اراد السداد	الشيخ صادق الكاشاني	١٤	١٩٤
كتاب في مقال: الاسلام وشبهات المستشرقين	د. محمد جواد الطريحي	١٥	٢٣١
كتاب في مقال: القضاء في الفقه الاسلامي	الشيخ حامد الظاهري	١٦	٢٠٧

استطلاع

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
مودة آل البيت في مصر.	محسن باك آئين	١٣	٢١٨

من غرر حكم أهل البيت (ع)

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الصدقة والصحة.	عبد الكريم رؤوف	١٣	٢٢٩
النصحية نظام حياة.	عبد القادر فرج الله	١٤	٢١٩
الوفاء والغدر.	عبد القادر فرج الله	١٥	٢٥٥
حوادث الناس اليكم نعمة.	عبد القادر فرج الله	١٦	١٩٢

من انباء القرنين

مجموعة تقارير واخبار عن احوال المسلمين

واتباع أهل البيت (ع) في انحاء العالم

من اعداد هيئة التحرير

الصفحة	العدد	الموضوع
٢٣٤	١٣	انباء وتقارير عن: (إيران، العراق، فلسطين، لبنان، كشمير، الجزائر، الشيشان، الباكستان، الصين، اندونيسيا، الكويت، الامارات العربية المتحدة، طاجيكستان، العالم العربي، اميركا، كوسوفو، المانيا، هولندا، الصومال، سريلانكا، بنين).
٢٣٤	١٤	انباء وتقارير عن: (فلسطين، الجزائر، اميركا، لبنان، المانيا، روسيا، أذربيجان، اليابان، ماليزيا، البانيا، الصومال، اندونيسيا، طاجيكستان، اريتريا، النيجر، كردستان العراق، بريطانيا، السعودية، البوسنة والهرسك، افغانستان).
٢٥٩	١٥	انباء وتقارير عن: (إيران، فلسطين، العراق، لبنان، البحرين، سوريا، مصر، السودان، تركيا، اميركا).
٢٣٠	١٦	انباء وتقارير عن: (لبنان، تركيا، قطر، العراق، روسيا، فرنسا، المانيا، بريطانيا).

مختارات

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٦٢	١٥	جورج جرداق	حول الامام علي (ع) والثورة الاسلامية.
١٣٤	١٦	فاطمة سالم	قراءة جديدة في اوراق كربلائية.

رأي

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
٢٠٧	١٣	عبد الامير الربيعي	حول مستقبل الاسلام والمسلمين في اوربا.
١٤٦	١٤	روبرت جيرى	الجوع في العالم.

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الكتابة خارج الزمن الرديء.	حسن التل	١٥	٢٤٨
دور المنظمات الشعبية في تحقيق الاهداف الدولية	الأمين العالم للمجمع العالمي لأهل البيت (ع).	١٦	١٤١

أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
روايات انس بن مالك بن النضر.	ناصر البيدهندي	١٣	١٦٩
روايات عبد الرحمن بن صخر الازدي (ابو هريرة).	ناصر البيدهندي	١٤	١٠٧
روايات البراء بن عازب الانصاري الخزرجي.	ناصر البيدهندي	١٥	٢٠٩
روايات الامام علي بن ابي طالب (ع) (١).	ناصر البيدهندي	١٦	١٨١

مقارنات

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
التغيير الاجتماعي المنشود من منظار واقعة الطف (١)	د. السيد زهير الاعرجي	١٥	١٢٧
التغيير الاجتماعي المنشود من منظار واقعة الطف (٢)	د. السيد زهير الاعرجي	١٦	٧٤

مؤسسة الفكر الاسلامي

تقوم مؤسسة الفكر الاسلامي من خلال نشاطها المستمر باصدار ٢٥ مجلة تخاطب مختلف المستويات وبلغات عديدة، وهي على استعداد لا يصال اعلاناتكم الى انحاء العالم يلحظ الانتشار الواسع الذي تحظى به مجلاتها في اصقاع الارض.

وفيما يلي قائمة بالاسعار المقترحة للاعلانات:

تعرفه الاعلان في مجلات مؤسسة الفكر الاسلامي

الصفحة الرابعة للغلاف (ملون)	٢,٠٠٠,٠٠٠ ريال
الصفحتان الثانية والثالثة للغلاف (ملون)	١,٨٠٠,٠٠٠ ريال
الصفحات الداخلية للمجلة ملون لوان	١,٣٠٠,٠٠٠ ريال ١,٠٠٠,٠٠٠
نصف صفحة ملون لوان	٨٠٠,٠٠٠ ريال ٥٠٠,٠٠٠
ربع صفحة ملون لوان	٥٥٠,٠٠٠ ريال ٢٥٠,٠٠٠

ملاحظة: الاسعار المذكورة للمجلات التي لا يزيد عدد نسخها عن ١٠,٠٠٠ نسخة، و تضاف نسبة ٢٪ على السعر لكل ١٠٠٠ نسخة اضافية.

العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - خيابان ولي عصر نرسيده به خيابان

دكتور فاطمي - نبش كوچه كامران - پلاک ٧٦٦

هاتف: ٨٧٥٨٢٩٦ فاكس: ٨٩٢٧٢٥

الصف	فترة الاصدار	اسم المجلة	اللغة
سوية	شهرية	محمودة	الانكليزية
نسوية	فصلية	كوثر	الاسيانية
نسوية	شهرية	الطاهرة	العربية
عامة	شهرية	اكو آوف اسلام	الانكليزية
عامة	شهرية	بيام اسلام	الفرنسية
عامة	شهرية	الوحدة	العربية
عامة	شهرية	صوني يا امه	السواحلية
عامة	غير محددة	ماكون مسلوبجي	الهوسا
متخصصة	فصلية	رسالة الثقلين	الانكليزية
متخصصة	فصلية	رسالة الثقلين	العربية
متخصصة	فصلية	اهل بيت	التركية
متخصصة	فصلية	ثقلين	الاسيانية
متخصصة	فصلية	بيام ثقلين	الاوردية
متخصصة	شهرية	ثقلين	الهندية
متخصصة	فصلية	التوحيد	الانكليزية
متخصصة	فصلية	حكمت	الانكليزية
متخصصة	فصلية	رسالة التقریب	العربية
متخصصة	فصلية	AUX SOURCES DE LA SAGESSE	الفرنسية
متخصصة	كل شهرين مرة	التوحيد	العربية
متخصصة	كل شهرين مرة	التوحيد	الاوردية
متخصصة	كل شهرين مرة	آشنا	الفارسية
للأحداث	شهرية	زمرم	الانكليزية
للأطفال	شهرية	الهدى	العربية
للأطفال	شهرية	صدف مع ملحق مرورید (للأطفال والأحداث)	الفارسية
للأطفال	شهرية	معصوم	الاوردية

الاسم	نمرة الإصدار	اسم المنتج	الكمية	السعر بالريال
مستوية	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
مستوية	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
مستوية	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
مستوية	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	٢٠٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
مستوية	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٣٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٥٠٠
	مستوية	مستوية	مستوية	١٠٠٠



ANNUAL SUBSCRIPTION RATE OF INTERNATIONAL MAGAZINES OF ISLAMIC THOUGHT FOUNDATION

Section	Publication period	Title of Magazine	Language	Subject	Middle East	Asian Countries	European Countries	US Canada Australia	African Countries	Per copy
Women	Monthly	Al-Muhawwar	English	Social, Educational, Religious	35	35	40	45	25	2
		Al-Muhawwar	Arabic	Social, Educational, Religious	25	30	40	40	25	2
	Quarterly	Kunz	Spanish	Social, Educational, Religious	35	35	40	45	25	3
Children	Monthly	Zamaneh	English	Scientific Art	35	30	30	40	25	3
		Yasmin	Arabic	Social, Religious	35	30	40	45	25	3
		Farid	Persian	Islamic Art	35	30	30	40	25	3
		Nasim	Urdu	Cultural, Religious	25	20	25	30	15	1.5
General	Monthly	Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	40	35	40	45	25	2
		Al-Jadid	French	Social, Political, Religious	40	35	40	45	25	2
		Al-Jadid	Arabic	Cultural, Religious	40	35	40	45	25	2
		Al-Jadid	Spanish	Social, Political, Religious	40	35	40	45	25	2
Scientific Journals	Quarterly	Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
	Quarterly	Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	24	24	24	24	20	3
Scientific Journals	Monthly	Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	30	30	30	35	25	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	30	30	30	35	25	3
	Bi-Monthly	Al-Jadid	English	Islamic, Political, Religious	30	30	30	35	25	3
		Al-Jadid	Arabic	Islamic, Political, Religious	30	30	30	35	25	3

* If you want to know the magazine's name, you need to become familiar with the publication of Islamic Thought Foundation.

* The minimum amount of subscription for 12 issues of the magazine for one year is a receipt of \$15.00.

* The subscription fee is \$15.00.

* The subscription fee is \$15.00.

* The subscription fee is \$15.00.

* The subscription fee is \$15.00.

* Please send this form along with the bank receipt to:

1. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

2. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

3. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

4. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

5. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

6. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

7. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

8. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

9. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

10. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

11. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

12. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

13. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

14. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

15. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

16. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

17. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

18. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

19. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

20. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

21. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

22. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

23. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

24. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

25. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

26. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

27. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

28. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

29. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

30. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

31. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

32. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

33. IHRAN 13574 P.O. Box 1417, 19975

☐ **Yes.** Please send me ☐ **No.**

Mr/Ms./Miss/Ms.

Address: _____

Postal Code: _____ City: _____ State: _____ Country: _____

Total Price: _____ Signature: _____

Please debit my ☐ **Credit Card** ☐ **Bank Account**

Card No: _____

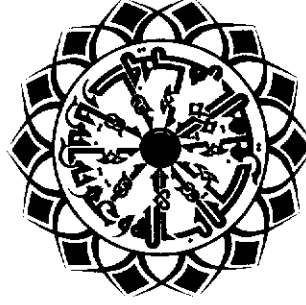
Chosen Bank Account No: _____

Expiry Date: _____

Postage Date: _____



Coupons



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol.4, No.16 - Mar. - May 1996

الغلاف من الداخل

الصفحة الاولى: لوحة فنية بالخط الجلي الديواني تتضمن: حديثاً لأمير المؤمنين
وسيد البلغاء الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

الصفحة الثانية: صورة للضريح المقدس لمثنى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام
تتجلى فيها بدائع من الفن الاسلامي.